الدبلوماسي

السنة التاسعة والعشرون - العدد 309-310
نوفمبر- ديسمبر 2021 الثمن 10 جنيهات

UN CLIMATE CHANGE CONFERENCE UK 2021

United Nations
Climate Change

UN CLIMATE CHANGE CONFERENCE UK 2021

سفير سامح لطفى عبد الهادى

الدنيا فانية يا صديق

ﭪ ﭬﭭﭴ ﮋ ﭼ ﯕ ﭯ ﭶ ﭰ ﮔ ﯕ ﮋﻑ
ﯕ ﭯ ﭽﭴﺒﻚ ﯓ ﭯﺤﻠﻘ ﭴ
ﯓﺑﭪ ﭼﭭﭹ ﭼ ﯕ ﭯ ﭶ ﭯﺑ ﭽ
ﺑﻜﻨﻄ ﭯﭯ ﺃﻘ ﭼ ﭴ
ﭼ ﭯﻘ ﭴ ﭯﭯﻜﭯ ﭬ ﭯﭭ ﯓ
ﭪ ﻄ ﭯﭯ ﭪﺰﭯ ﮋ ﭯﭯﺰﭯ
ﭪ ﭯﭵ ﭪﺑﭽ ﺤﭭﻄﻒ ﯓ
ﯓﺼﭽ ﭶ ﻄ ﭪﻨﭽ ﺡ ﮋ ﭯﻜﭭﭯ
ﯓﺡ ﮋ ﮋﭭ ﯓ ﮋ ﯓﭯﭭﭪ ﯓ ﻑ ﮋﭯﻒ ﭼﻚﯓﺡ ﮋﭽﭽﻨﻄ ﯓ ﻔﭼ ﭯ
ﭽﺒﻚ ﺡ ﭽﺒﭯ ﭼ ﭯ ﮋ ﯕ ﭴ ﮋ ﯕ ﻄ ﯓ ﭶ ﭯﺰﭪ ﭯ
ﺇﭯ ﻜﭯﻒ ﮋ ﯓﭯ ﯕ ﭽﻠﻘ ﭴ
ﭽﭭﭪ ﭯ ﭯﭭ ﭵ ﯓ ﻔﭽ ﭪ
ﯓ ﯕ ﮋ ﭼ ﺡ ﭽﭭﻚ ﺑﭽ ﭴ
ﭽﺒﻚ ﮋ ﭽﮩﭽﻚ ﮋﻄﭽ ﭪ
ﯕ ﭽﭯ ﮋﻜ ﯓ ﭯ ﯕ ﭽﻚ ﺃﭯﯓ
ﭪﺑﭽ ﭯﭯ ﺥ ﭵ ﻔﭽ ﯓ ﯕ ﭯﯓ
ﭪ ﭶ ﭯ ﭺ ﻔ ﭯ ﮋﭯ ﭺ ﺼﭽ ﮋﻘ ﯓ
ﯕﭴ ﭪ ﭽﺉ ﻒ ﮋﭽﻜﭭﭯﭯ

فى هذا العدد

/diplomat.magazine.egypt
diplomatmagazine92@gmail.com

الصعود الصينى .... ومحاولات الاحتواء الأمريكى.. بقلم السفير رضا الطايفى	2
الحقيبة الدبلوماسية	5
كلمة السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى فى مؤتمر التغير المناخى	13
نحو عالم خالٍ من السلاح النووى (1-2) .... سفير د. منير زهران	14
جورج شولتز .. صوت العقل والتوازن..... سفير د. السيد أمين شلبى	16
كيف نسوق سياسات ومصالح مصر ..سفير جمال الدين البيومى	18
بصمة الحضارة المصرية فى العالم (7)....د. مهندس هانئ محمود النقراشى	22
شراكة «أوكوس» الأمنية المعززة: الأهداف والأبعاد الإستراتيجية ....سفير د. عزت سعد	25
نتائج الانتخابات العراقية والتطلع لاجتياز الأزمات .... سفير رخا أحمد حسن	28
بزوغ فجر مصر الحديثة (1) ..... رجائى عطية	30
سد النهضة ومقتضيات الأمن القومى .....سفير د. صلاح حليمة	32
فى حبك يا مصر التقينا ..... د. منال متولى	37
بانوراما أفريقيا (5).....سفير عبدالفتاح عزالدين	38
آفاق الحرب الباردة الامريكية الصينية... سفير د. يوسف الشرقاوى	42
المركز القانونى لإسرائيل من وعد بلفور....مستشار حسن أحمد عمر	44
تحديات الأمن السيبرانى فى الشرق الأوسط (5) .... سفير د. سامح أبو العينين	47
التغير المناخى Climate Change .....سفير أشرف عقل	48
يابيوت السويس...يا بيوت مدينتى .....د.هشام عبدالملك	52
منصة القرم .....سفير أسامة توفيق بدر	55
الطاقة الإيجابية .....سفير عزت البحيرى	56
حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى ...سفير يسرى القويضى	59
الحاج محمود العربى والتجربة اليابانية ..... سفير د. وليد محمود عبد الناصر	60
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين ...تقدمها نادية الريس	62
«المعرفة، الأيديولوجية والحضارة: محاولة لفهم التاريخ» الجزء الأول..... ميسا جيوسى	64
احتفال مصرى بمشروع قانون المسنين ....السفيرة د.عبير بسيونى	67
مصر وعالم البحر الأبيض المتوسط فى التاريخ والسياسة ..... سفير د. عادل السالوسى	68
مبادئ الأمم المتحدة للمدفوعات الرقمية بناء الثقة وتخفيف المخاطر .....د. علاء مبروك	73
عائلة عبدالرسول.. محاولة للإنصاف ... سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى	74
مصر وعودة الروح ..... عادل عبدالصمد	76
فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان	78
الإنسان والاكتئاب .....سفير د. فتحى مرعى	80

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى
أسسها
السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفيرة منال عبد الدايم

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد
سفير أشرف عقل
سفير د. يوسف الشرقاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثان هند منذر

توجه المراسلات إلى
رئيس تحرير مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 202+

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

افتتاحية العدد

رئيس التحرير

السفير رضا الطايفى

taifyreda@yahoo.com

الصعود الصينى .... ومحاولات الاحتواء الأمريكى

« إن القرن الواحد والعشـــرين هو قرن آسيوى بامتياز» – مقولة تناولتها الأدبيات السياســـية منذ أواخـــر القرن الماضى. ومـــع مرور عقدين من القرن الواحد والعشرين يشير سياق الأحداث والتطورات الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية إلـــى أن هذه المقولة الأنبوءة ليســـت ببعيدة عن الحقيقة وربمـــا تكون قابلة للتحقيق رغم بعض المحاذير والتحديات الإقليمية والدولية التى بدأت تلوح فى الأفق .

إذ برغم تعدد وتنوع الأنظمة السياسية فى دول القارة الآســـيوية وخاصة منطقة آســـيا والمحيط الهادى ما بين ديمقراطية مثل اليابان وكوريا الجنوبية وأســـتراليا، وشمولية مثل الصين الشعبية، ومتأرجحة ما بين النظامين مثـــل تايلاند والفلبين، إلا أنها حققت معجزات تنموية وأداء اقتصادياً يتطـــور باضطراد، مثل تجـــارب النمور الآســـيوية «كوريا الجنوبية وســـنغافورة وهونج كونج وتايـــوان» والأجيال المتتابعة والمتوالية للنمور الآســـيوية الجديدة مثل «إندونيســـيا وماليزيا وتايلانـــد وفيتنام وغيرها من دول الآســـيان Asian والعديد من دول منتدى التعاون الاقتصادى لآســـيا والمحيط الهادى APEC».

هذا فضـــلاً عن الصعـــود الاقتصادى المتنامـــى للصين، حيث أصبـــح الاقتصاد الصينى يحتل المرتبة الثانية عالمياً من حيث الحجـــم .. بعد الاقتصـــاد الأمريكى وقبل اليابان والهند وألمانيا وفرنســـا وبريطانيا بإجمـــالى حـــوالى 15.52 تريليون دولار، كما تمتلك الصين حالياً أكبر احتياطى من النقد الأجنبى بلغ عام 2020 حوالى 3.165 تريليون دولار، وأكبر احتياطى من الموارد الطبيعية وأكبر حجم من الأصول المصرفية فى العالم ورابع متلقى للاســـتثمار الأجنبى كما تمتلـــك الصين ثلاثاً مـــن أكبر عشر بورصـــات فى العالم فى كل من هونج كونج وشنغهاى وشنزن.

وقد أضفت مبـــادرة الحزام والطريق مزيداً من الأهمية والاهتمام العالمى بتنامى الاقتصاد الصينى، هذا المشروع الذى تبلغ تكلفته التقديريـــة حوالى 575 مليار دولار للاستثمار فى مشروعات البنية التحتية، ومن المقرر أن تســـتفيد منه 72 دولة يسكنها حوالى 65٪ من ســـكان العالم فى آســـيا وإفريقيـــا وأوروبا والأمريكتين، كما يتوقع أن يســـاهم هذا المشروع الضخم فى زيادة دخول الدول المشتركة فيه بنسبة 3,5٪ مع نهاية التنفيذ، كما يتوقع أن يساهم طريق الحريـــر الجديد فى زيادة حجـــم التجارة الدولية بنســـبة 9,4٪ علمـــاً بأنه بدأ منذ عام 2013 ومن المقـــرر الانتهاء من تنفيذ مشروعاته عـــام 2049 تزامناً مع الاحتفال بالمئوية الأولى لتأســـيس جمهورية الصين الشعبية. ويعد هذا المشروع الطموح تمدداً اقتصادياً وإستراتيجياً غير مسبوق للصين بهذا الحجم خارج حدودها ليس فقط ولكن خارج القارة الآســـيوية، وهو تطور يثير مخاوف وقلق وتحفز البعض وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية.

1 – حقيقة، فـــإن جائحة كورونا وما صاحبها من تراجع اقتصـــادى وتجارى واســـتثمارى ومالى، قد أبطـــأ من وتيرة وسرعـــة عملية النمو الآســـيوى والصعود الصينى، وهى حالة ليســـت مقصورة على القارة الآسيوية بل إنها امتدت لتشمل كافة الدول والقـــوى الاقتصادية وضربت كافة قطاعات الاقتصاد العالمى، ومع ذلك بقيت الصين واحدة من أسرع خمس اقتصاديات نمواً فى العالم وأسرعها اســـتعداداً للتعافى من تداعيات الجائحـــة، برغم أزمة الطاقة التى بدأت تلوح فى الأفق وما يرتبط بها من تداعيات سلبية.

2 – لاشـــك أن النجاحات الآســـيوية والصينيـــة مـــا كانت لتتحقـــق بمحض المصادفـــة حيـــث تضافر فيهـــا عدد من العوامل منها حرص معظم الدول الآسيوية على رفع مستوى معيشة سكانها وحرصها على تنحية نزاعاتها الحدودية جانباً وتجنب الدخول فى صراعات مســـلحة تســـتنزف مواردها خاصـــة بعد التجارب المريرة التى تعرضت لها فى «الحـــرب الكورية 1950 – 1953» و«الحـــرب الصينية – الهندية 1962»، و«حرب الهند – الصينية 1954 – 1973»، و«الحـــرب الأهليـــة الفيتنامية 1973 – 1975»، و«الحـــرب الصينيـــة – الفيتناميـــة 1979»، فضـــلاً عن حالة الاستقرار السياسى الداخلى – ثقافة العمل الجاد – الاستثمار فى التعليم والبحث العلمى – الخطط التنمويـــة الواقعية والمتدرجة – الاســـتفادة من تجارب واستثمارات الدول المتقدمة، حيث لعبت الاستثمارات الأمريكية والأوروبيـــة دوراً مؤثراً فى نجاح العديد من التجارب التنموية فى المنطقة. ولاشـــك أن التحالف الأمريكى – الأسترالى – اليابانى – الفلبينى – الكورى الجنوبى – التايلاندى قد خلق حالة من الـــردع وتوازن القوى فى المنطقة مما ســـاهم فى منع حرب أخرى فى شـــبه الجزيرة الكورية، وحال بين الصين وبين اســـتخدامها للقوة العســـكرية ضد تايوان. ومن جانب آخر فإن حكومة الصين الشعبية قد راق لها المزاج التنموى الآسيوى

وأغراهـــا ما حققته هونـــج كونج والعديد من دول الجوار من نجاحـــات اقتصادية وتجارية ومالية، فتخلت عن «دبلوماســـية التنين» الصدامية وانتهجت «دبلوماســـية الباندا» التـــى تبنت بموجبها سياســـات أخف حدة جنبتها الاستدراج إلى مواجهات عسكرية تستنزف قواتها ومواردها سواء فى مواجهة تايوان أو بسبب نزاعاتها الحدودية المتعددة، بل عـــلى العكس من ذلك نجحت من خلال المفاوضات الســـلمية فى استعادة هونج كونج من المملكة المتحدة عام 1997، واستعادة ماكاو من البرتغال عام 1999، وتفرغت لمشروعهـــا التنموى الطموح الذى بدأ مع زعيمها الأســـطورى دينج شـــياو بنج صاحب نظرية الصـــين «دولة واحدة ونظامين» والذى بدأت معه الصين مرحلة اســـتيقاظ التنين الصينى ورحلة الصعود الاقتصادى والسياسى والعسكرى نحو قمة النظام العالمـــى، والأخذ بنظام اقتصاديات الســـوق والاندمـــاج مع المجتمـــع الدولى والاقتصادى المعرفى وتشجيع الاستثمارات الأجنبيـــة وإقامة مناطـــق اقتصادية حرة عديدة - على غرار هونج كونج - التى كانت بمثابة قاطرة للاقتصاد الصينى مع تطوير النظام المالى والمصرفى وتشجيع الاستثمارات الأجنبية وإقامـــة مشروعات البنية التحتية ومشروعات البنية الأساســـية الاقتصادية والتجارية واللحاق سريعاً بثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بما ساهم فى تحقيق أسرع معدلات نمو فى العالم بلغت فى بعض الســـنوات 13٪، لتصبح الصين الشعبية شريـــكاً اقتصاديـــاً وتجاريـــاً مع معظم الاقتصاديـــات العالميـــة فى مختلف قارات العالم وليرتفع مســـتوى معيشة السكان ومتوســـط دخل الفرد بصورة لم تشهدها الصين من قبل على مدار تاريخها الطويل.

3 - يزيـــد مـــن تأثير هـــذا الصعود المتنامى الصينى على النظام الدولى الأهمية الجيواســـتراتيجية المتصاعدة لمنطقة آسيا والباســـيفيك والتى يقابلها تزايد الاهتمام الأمريكى بهـــذه المنطقة من العالم فى إطار الإستراتيجية الأمريكية لاحتواء الصين التى تسعى من خلالها إلى تطويق الصين بعدد من حلفائها وقواعدها وتحالفاتها القديمة والجديـــدة فى المنطقة. ولاشـــك أن منطقة آســـيا والمحيط الهادى تؤثر وتتأثر بشدة بالدول الأخرى المتاخمـــة ذات الطموحات الدولية والإقليمية مثل الولايات المتحدة التى تسعى إلى تأمين استمرارية وضعها الحالى كقطب أوحـــد للنظام الـــدولى منذ انتهاء نظام القطبية الثنائية بسقوط سور برلين وانهيار الاتحاد الســـوفيتى السابق ومثل وروسيا التى لم يعد يروق لها - خاصة فى ظل رئاسة الرئيس بوتين - استمرار انفراد الولايـــات المتحدة بقيادة النظـــام الدولى، حيث تتطلع روســـيا ومعها الصين وبعض الأطراف الأخـــرى إلى إيجاد صيغة جديدة لنظام دولى جديـــد متعدد الأطراف يراعى المستجدات التى طرأت على المجتمع الدولى والتى تجاوزت مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

كما تمثلت مظاهر وخطوات سياســـة الاحتواء الأمريكى للصين، فضلاً عن سياسة تطويقها بعدد من الحلفاء - فى إعادة انتشار القوات الأمريكية فى منطقة آســـيا والمحيط الهادى التى قررها الرئيس الأمريكى الأسبق باراك أوباما والتى ســـعت الولايات المتحدة من خلالها إلى مضاعفة حجم قواتها فى آسيا والمحيط الهادى بزيادتها بحوالى مائة ألف مقاتل مع رفـــع كفاءتها القتالية بتزويدها بأحدث ما أنتجته الترســـانة الأمريكية من أسلحة ومعدات وزخائر وحاملات طائرات وغواصاتها المزودة برءوس نووية وذلك من خلال قواعدها المنتـــشرة فى اليابان وكوريا الجنوبية وأســـتراليا وجوام، وكذا ســـفن الأســـطول الأمريكى المنتشرة فى المنطقة، ثم الحرب التجاريـــة المتصاعدة منذ عهد الرئيس الســـابق دونالد ترامب، وصولاً إلى التطورات الأخيرة التى شـــهدها هذا الملف فى عهد الرئيس الحـــالى جو بايدن وأهمها التحالـــف الثلاثى بين الولايـــات المتحدة وأســـتراليا والمملكة المتحدة بموجب اتفاق عسكرى وتعاون إســـتراتيجى (أوكوس) يقضى بتزويد أستراليا بأسطول جديد من الغواصات النووية الأمريكية بدلاً من صفقة الغواصات الفرنســـية - ومبادرة التعاون بين كل من الولايات المتحدة واليابان والهند وأستراليا لإجراء مناورات عسكرية دورية ســـنوياً بين هذه الدول الأربع وكذا تحالف العيون الخمس الأنجلو سكســـونى الذى يضم أجهـــزة المخابرات فى كل من الولايات المتحدة وكندا وأســـتراليا والمملكة المتحدة ونيوزيلاندا. وفى هذا الإطار لا يمكن إغفال تطور وتنامى العلاقات بين الولايات المتحدة والهند، هـــذه الأخيرة التى تمثل منافســـاً إســـتراتيجياً واقتصادياً للصين ليس فقط فى القارة الآســـيوية بل فى العالم فضلاً عن مشـــكلات الحدود بين البلدين التى تمتد لحوالى 3488كم والتى كانت سبباً فى حرب الجانبين عـــام 1962، ومن مظاهر تمييز العلاقات الأمريكيـــة - الهندية أن رئيس الوزراء الهندى « ناريندرامودى» منذ فترة توليه منصبه قد زار الولايات المتحدة سبع مـــرات 2014 - 2015 مرتـــين 2016 - 2017 - 2019 - 2021 التقـــى خلالها بثلاثة من رؤســـاء الولايات المتحدة هم على التوالى: باراك أوباما - دونالد ترامب - جو بايدن.

كما يضيـــف ملف تايوان ســـبباً آخر للتصعيد الأمريكى فى سياسة احتواء الصين حيث أعلـــن الرئيس بايدن مؤخـــراً «أن الولايات المتحدة ستدافع عسكرياً عن تايوان إذا شـــنت عليها الصين هجوماً عسكرياً»، كما تسعى الإدارة الأمريكية أيضًا بصورة ملحوظة مؤخراً إلى الدفع بتايوان لأن تلعب دوراً أنشـــط فى بعض المنظمـــات الدولية مثل منظمة الصحة العالمية واتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ.

4 - أثارت هذه التطورات المتســـارعة وخاصة صفقـــة الغواصـــات الأمريكية «فرجينيـــا» واتفاق أوكوس الذى يســـمح بتزويد أســـتراليا بنشر ثمانـــى غواصات نووية أمريكية الصنـــع فى مياه المحيطين

الصعود الصينى .... و محاولات الاحتواء الامريكى

الهندى والهـــادى، موجة من ردود الأفعال الصينيـــة الغاضبة، حيـــث أعلن المتحدث باســـم الخارجية الصينية «تشاولى جيان» أن هـــذه الصفقة تضر بالجهـــود الدولية لمنـــع الانتشـــار النـــووى وأن التحالف الثلاثى الأنجلوسكسونى إنما يدمر السلام والاســـتقرار الإقليمـــى فى منطقة آســـيا والباســـيفيك ويخل بالتوازن الإستراتيجى فى المنطقة ويطلق موجة جديدة من سباق التسليح النووى، هذا فى الوقت الذى أوردت فيـــه مصادر إعلامية صينيـــة بأن امتلاك أســـتراليا لمثل هذا النوع مـــن الغواصات قد يعرضها لضربة عســـكرية نووية وأن هذه الضربة قد تكون اســـتباقية. ويفسر الموقف الصينى الغاضـــب باقتناع الصين بأن الصفقة تمثل تهديـــداً مباشراً لقواتها ومصالحها المتمركـــزة فى المنطقة فى ضوء ما يتردد أن هذا النوع من الغواصات التى تعمل بالطاقة النوويـــة يمتلك القدرة على حمل صواريخ نووية، وأخرى تفوق سرعة الصـــوت ولديها قدرة فائقـــة على التمويه والمناورة وإصابة الأهداف المعادية التى تقع على بعد عدة آلاف من الأميال.

هذا ولم تكتف الصـــين بالتصريحات وردود الأفعـــال الدبلوماســـية والإعلامية الغاضبة، خاصة وأنها لن تعدم الوســـيلة فى تأمـــين وإقامـــة ترتيبـــات وتحالفات أمنية وعســـكرية فى مواجهـــة التحالفات الإســـتراتيجية والعســـكرية الأمريكية فى منطقة آسيا والمحيط الهادى، فإلى جانب ما تقيمه من منشآت وقواعد عسكرية فى بعض جزر بحر الصـــين الجنوبى (بحر الشرق) وإلى جانب مناورات أســـطولها البحرى - الأول عالميـــاً الذى يضم 777 قطعة بحرية عســـكرية وحاملتى طائـــرات وغير ذلك من مدمـــرات وفرقاطات وســـفن دورية وكاســـحات ألغـــام – فى المنطقة، ودخول طيرانها العسكرى المتكرر فى المجال الجوى لتايوان، فقد قامـــت الصين مؤخراً بإجراء أول دوريات مشـــتركة غير مســـبوقة مع سفن حربية روسية فى غرب المحيط الهادى فيما وصفتـــه وزارة الدفاع الصينية «بأنها تدريبات تهـــدف إلى زيادة تطوير الشراكة الإستراتيجية الشـــاملة بين الصين وروسيا فى العصر الحديث وتعزيـــز قدرات العمل المشـــترك لكلا الطرفين والحفاظ بشـــكل مشترك على الاستقرار الإستراتيجى الدولى والإقليمى». وهى تدريبات بحرية عسكرية سبقها خلال أكتوبر 2021 أيضاً مناورات بحريـــة صينية – روســـية فى بحر اليابان عبرت خلالها مجموعة من عشر ســـفن من الصين وروســـيا مضيق «تسوجارو» الذى يفصل بين الجزيرة الرئيســـية فى اليابان وجزيرة «هوكايدو» الشـــمالية. وصفتها وزارة الدفاع الروسية بأنها دوريات تهدف إلى الحفاظ على السلام والاستقرار فى منطقة آســـيا والمحيط الهـــادى وحماية مجالات الأنشطة الاقتصادية البحرية للبلدين.

وفى نفس السياق، أبدت الصين مؤخراً اهتماماً متزايداً بأفغانستان بعد الانسحاب الأمريكى العشوائى منها فى أغسطس 2021 بعـــد فترة احتلال اســـتمرت عشرين عاماً حيث أعلنت الصين عـــن تقديم حزمة من المســـاعدات للنظام الجديد فى كابول بقيمة 31 مليـــون دولار، وهو ما فسر بأنه بمثابة غزل ســـياسى صينى يرمى إلى اســـتغلال الثروات المعدنية الهائلة فى أفغانستان - مما أثار انزعاج الولايـــات المتحدة التى لايروق لها أن تقع هذه الثـــروات فى قبضة الصين – من جانب، وما يلوح فى الأفق من ســـعى من الصين لإقامـــة تحالف مع دول الجوار الأفغانى يضم روســـيا والصـــين وإيران وباكستان وأفغانستان من جانب آخر.

ختاماً: تشير التطورات المتلاحقة السابق الإشـــارة إليها إلى أن منطقة آسيا والمحيط الهادى باتت مسرحـــاً لحرب باردة جديدة – ربما تكون أكثر عنفاً وضراوة من الموجة الأولى للحرب الباردة التى عاشها العالم منذ الحرب العالمية الثانية حتى مرحلة الوفاق الدولى، وتنبـــئ حدتها المتوقعة أن تنال من حالة الاستقرار والازدهار الاقتصادى الذى شـــهدته المنطقة خلال العقود الخمســـة الأخيرة، كما تشـــير هذه التطورات إلى أن المشروع الصينـــى – غير المعلن – للصعود إلى قمة عـــرش العالم الاقتصادى قد يتعثر – ولو لفـــترة – حيث يواجـــه بتحديات خارجية قد تعيق تقدمـــه خاصة من قبل الولايات المتحدة التى تنظر بتوجس شديد لمسار وسرعة الصعود الصينى والتى تعتبر الصين منافســـاً عنيداً وقوياً يمثل تهديداً كبيراً لمكانتها الدولية كقطب أوحد على قمة النظام الدولى. ومن بين هذه التحديات أيضًا احتمالات دخول الصـــين فى حلقة جديدة من ســـباق التســـلح وخاصة الصاروخى والنووى وزيادة إنفاقها العســـكرى الذى وصل عام 2020 إلى حـــوالى 252 بليون دولار، كما أنه ليس من المســـتبعد استدراج الصين إلى الدخول فى نزاعات عسكرية كانت قـــد نجحت فى تفاديها فى الســـابق خاصة فى ظـــل وجود العديد من البؤر الآســـيوية المرشحة للتصعيد فى أى وقت والتى تتماس فى مصالحهـــا وحدودها مباشرة مع الصين مثل تايوان وشبه الجزيرة الكورية – بحر الصـــين الجنوبى – المشـــكلات الحدودية مع الهند هـــذا بخلاف المصالح الاقتصادية والاســـتثمارات الصينية الممتدة والمنتشرة فى العالم التى قد تتعرض لأى تهديدات فى إطار الحـــرب التجارية المعلنة على الصين. ولا شك أن تزايد الإنفاق العسكرى الصينى بصورة كبيرة أو دخـــول الصين فى حروب ولو محدودة الزمن والنطاق ســـوف يكون على حساب قوة الاقتصاد الصينى المتداخل بصورة كبيرة مع كافة الاقتصاديات العالمية بما فيهـــا الاقتصاد الأمريكـــى - التى لن تســـلم هى الأخرى من أية تداعيات سلبية للاقتصاد الصينى. كما أن المنطقة العربية وإفريقيا هى الأخرى لـــن تكون فى مأمن من الانعكاسات الســـلبية للسيناريوهات المتوقعة لأى تصعيد بـــين الولايات المتحدة والصين ولن تكون استثناء من تأثيرات ما قد يحدث، وبرغم ذلك يظل لموازين القوى وتوازن الردع العســـكرى والرعب النووى دور وارد لمنـــع الانزلاق إلى حروب لا تحمد عقباها كما ســـبق وأن حدث مراراً خلال الموجة الأولى من الحرب الباردة مثلما حدث فى أزمـــة الصواريخ الكوبيـــة التى جعلت العالم يحبس أنفاســـه على مدار أسبوعين خلال أكتوبر 1962حتـــى انفراج الأزمة بشكل سلمى.

احتفالا بالمئوية الاولى لوزارة الخارجية المصرية

تعتـــزم اسرة تحريـــر مجلـــة الدبلومـــاسى اعـــداد ملف خاص يصدر فى اول مارس 2022 وبهذه المناسبة يسعدنا دعوة من يرغب من رمـــوز وقامات الوزارة من وزراء وســـفراء ودبلوماسيين ومن كتاب واعلاميين للمشـــاركة باسهاماتهم فى هذا العدد ترســـل المقالات الى رئيس التحرير بمبنى الوزارة بماسبيرو الدور 28 غرفة 2820 او على الايميل الاتى taifyred@yhoo.com او adelabdelsamed@yahoo.com

وزير الخارجية سامح شكرى يستقبل المفوضة الأوروبية للشئون الداخلية

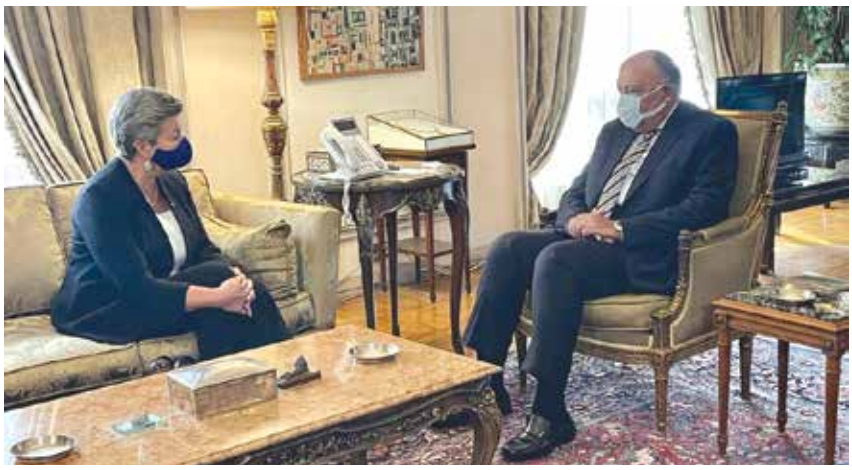

استقبل وزير الخارجية سامح شـــكرى، مفوضة الاتحاد الأوروبي للشئون الداخلية «إيلفا يوهانســـون» بمقر وزارة الخارجيـــة، وذلك للتباحُث حول التعـــاون بين مصر والاتحاد الأوروبي في مجال الهجرة ولاســـيما في ضوء الأهمية التـــي تحظى بها مصر كدولة مقصد ومعبر ومصدر للهجرة.

وأوضح السفير أحمد حافظ، المُتحدث الرسمي باســـم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى أشـــار إلى النهج الشـــامل الذي اعتمدته الحكومة المصرية للتعامل مع التدفقات المختلفة للهجرة، وانخراطها على المســـتوى الدولي في المناقشات المتعلقة بإيجاد سبل لتعزيز خطاب أكثـــر إيجابية حول المهاجرين، مضيفاً أن الحكومة اتبعـــت نهجاً قائماً على احترام حقوق الإنســـان للمهاجرين واللاجئين بما يسمح بدمجهم في المجتمع المصري مع القضاء على كافة أشـــكال التمييز ضدهم. كما أكد على أهمية خلق مسارات للهجرة الشرعية إلى أوروبا كأحد الحلول لظاهرة الهجرة غير الشرعية.

وزير الخارجية سامح شكرى يستقبل وزير الدولة البريطانى للشرق الأوسط وشمال إفريقيا

اســـتقبل وزير الخارجية سامح شـــكرى، وزير الدولة البريطانى للشرق الأوسط وشمال إفريقيا «جيمس كليفرلى» بمقر وزارة الخارجية، وذلك للتباحُث حول ســـبل دفع العلاقات الثنائية بين مصر والمملكة المتحدة، ومناقشـــة القضايا الإقليميـــة والدولية محل الاهتمام المشترك.

وأوضح السفير أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باســـم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى ووزير الدولة البريطانى رحبا خلال اللقاء بالتطورات التى شـــهدتها العلاقات الثنائية بين مصر وبريطانيا خلال الآونة الأخيرة، لا ســـيما مع دخول اتفاقية المشاركة بين البلدين حيز النفاذ مع بداية العام الجارى، فضلاً عن الإجراءات التى اتخذت لتخفيف قيود الســـفر ما بين البلدين ســـعيًا نحو دفع حركة السياحة والاستثمار بين الجانبين، وبما يُسهم فى تعزيز العلاقات الثنائية فى مختلف القطاعات، ويصب فى دعم جهود التنمية فى مصر.

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

بـــدء فعـــاليـــات الـــحـــوار الإســـتـــراتـــيـــجـــى بـــيـــن مـــصـــر والـــولايـــــات الـــمـــتـــحـــدة

عقدت الجلســـة الافتتاحيـــة للحوار الإســـتراتيجى بين مـــصر والولايات المتحدة برئاســـة وزيـــرى خارجية البلدين سامح شكرى وأنتونى بلينكن، وبمشـــاركة ممثلين عن كل من وزارة الدفاع، والتجارة والصناعة، والتعليم العالى، والهيئة العامة للاستثمار.

صرح المتحدث الرســـمى باسم وزارة الخارجية الســـفير أحمـــد حافظ أن الوزير شكرى أكد فى كلمته الافتتاحية تفرد العلاقات بين مـــصر والولايات المتحدة على كافة الأصعدة، وضرورة مواصلة العمل نحو تعزيز كافة أطر التعاون الثنائى بـــين البلدين، بما فى ذلك مجالات التجارة والطاقة والبحث والتطوير والتكنولوجيا والتعليم العالى والتبادل الثقـــافى والرعاية الصحية، وهى المجالات التى توفر آفاقاً وفرصًا لتعميق العلاقات بين مصر والولايات المتحدة.

كما أعرب الوزير شـــكرى عن أهمية الشراكـــة الإســـتراتيجية القائمة مع الولايات المتحدة، والدور الذى أسهمت فيه أطر التعاون من أجل تعزيز قدرة الدولة المصرية على مواجهة التحديات، بما فى ذلك التعاون فى مكافحة الإرهاب والأيديولوجيـــة المتطرفـــة، وفى دعم جهود الدولة الدؤوبة لتحقيق التنمية للشعب المصرى .

وزير الخارجية يستقبل مبعوث الأمم المتحدة الخاص لعملية السلام فى الشرق الأوسط

استقبل وزير الخارجية سامح شكرى، مبعوث الأمم المتحدة الخاص لعملية السلام فى الشرق الأوسط «تور وينسلاند»، وذلك بمقر وزارة الخارجية.

وصرّح السفير أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى أكد خلال اللقاء على أهمية مواصلة المساعى الرامية إلى توفير المُناخ الملائم لإحياء المفاوضات بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، وضرورة توافر إرادة حقيقية تستهدف التحرك الجديّ فى هذا المسار بالتنسيق مع الأطراف الإقليمية والدولية المعنية، وبما يُسهم فى الدفع قُدمًا بمسار السلام استنادًا إلى مبدأ حل الدولتين ومقررات الشرعية الدولية وصولاً إلى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على حدود الرابع من يونيو وعاصمتها القدس الشرقية.

شكرى يلتقى رئيس حكومة الوحدة الوطنية الليبية

التقى وزير الخارجية سامح شكرى ، بالسيد عبد الحميد الدبيبة رئيس حكومة الوحدة الوطنية الليبية، وذلك فى مستهل زيارة الوزير شكرى للعاصمة الليبية طرابلس للمشاركة فى مؤتمر دعم استقرار ليبيا.

وصرح السفير أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية أن اللقاء تطرق إلى آخر مستجدات الأوضاع فى ليبيا، حيث أكد الوزير شكرى على ما توليه مصر من حرص بالغ لدعم الشقيقة ليبيا فى إطار العلاقات الثنائية أو عبر تعزيز مختلف المساعى التى من شأنها أن تفضى إلى إيجاد تسوية سياسية شاملة، وتنفيذ كافة مقررات خارطة الطريق التى أقرها الليبيون، وخروج جميع القوات الأجنبية العسكرية والمسلحة من ليبيا بما يلبى تطلعاتهم للانطلاق إلى مستقبل أفضل. من جانبه، أعرب رئيس الحكومة الليبية عن تقديره لدور مصر وجهودها الداعمة لتحقيق استقرار ليبيا ودفع كافة مسارات التسوية السياسية وتقريب وجهات النظر بين كافة الأطراف الليبية .

وزير الخارجية سامح شكرى يلتقى سكرتير مجلس الأمن الروسى نيكولاى باتروشيف

التقى وزير الخارجية سامح شكرى، بسكرتير مجلس الأمن الروسى نيكولاى باتروشيف، حيث تم تناول سُبل دفع ملفات التعاون الثنائى فى إطار متانة وتنوع العلاقات بين القاهرة وموسكو، فضلاً عن عدد من القضايا الدولية والإقليمية التى تهم البلديّن.

وصرح السفير أحمد حافظ، المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى أشاد خلال اللقاء بما تشهده العلاقات الثنائية من قوة دفع وزخم كبيرين على كافة المستويات، مشدداً على أهمية الحفاظ على وتيرة التطور الذى تشهده كافة أوجه العلاقات الثنائية بين الدولتين خلال المرحلة الحالية، فضلاً عن أهمية مواصلة تكثيف التشاور السياسى والتنسيق المستمر بينهما، معرباً عن تقديره لقرار الجانب الروسى باستئناف حركة الطيران المنتظم إلى مطاريّ شرم الشيخ والغردقة.

وأضاف المتحدث الرسمى أن اللقاء تناول أيضاً عدداً من الملفات الدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك، على رأسها الأوضاع فى ليبيا.

وزير الخارجية يلتقى مبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى سوريا

التقى وزير الخارجية سامح شكرى، مبعوث الأمم المُتحدة الخاص إلى سوريا جير بيدرسون.

وصرَّح السفير أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية أن اللقاء تطرق إلى سبل تنسيق الجهود الدولية المُختلفة من أجل الدفع قدمًا بالتسوية السياسية الشاملة للأزمة السورية، حيث أعرب الوزير شكرى عن دعم مصر للمساعى التى يبذلها المبعوث الأممى لحلحلة الجمود الراهن، مؤكدًا على ما توليه مصر من اهتمام بالغ لوضع حد لتلك الأزمة على كافة الأصعدة السياسية والأمنية والإنسانية، اتساقًا مع مرجعيات الشرعية الدولية وقرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٤، وبما يحفظ استقلالية سوريا وسلامة أراضيها؛ مع التشديد على ضرورة أن تكفل أى تسوية سياسية تثبيت ركائز الاستقرار بمنأى عن أى تجاذبات لا تصب فى صالح الشعب السورى.

الاحتفال بمناسبة اليوم العالمى للأمم المتحدة

نظمت وزارة الخارجية بالمشـــاركة مع مكتب المنسقة المقيمة للأمم المتحدة احتفالية بمناســـبة اليوم العالمى للأمم المتحدة والذى يوافق الذكرى الـ ٧٦ على إنشائها، وذلك تحت شـــعار «الأمـــل الملهم والجهـــود متعددة الأطراف نحو تحقيق أهداف التنمية المســـتدامة»، وقد شارك فى الاحتفالية مجموعة من رؤساء وأعضاء السلك الدبلوماسى الأجنبى المعتمدين فى القاهرة، وكذا رؤســـاء المكاتب والوكالات التابعة للأمم المتحدة العاملة فى مصر.

ألقى الســـفير إيهاب بدوى، مســـاعد وزير الخارجية للشـــئون متعددة الأطراف والأمن الدولى كلمة بالنيابة عن وزير الخارجيـــة، حيث أكد على الدور الحيوى الذى تلعبه الأمم المتحدة، والتعـــاون القائم من أجل مواجهة أزمة جائحة فيروس كوفيد، والجهـــود المبذولة لتدارك تداعياتها الأمنية والاقتصادية والاجتماعية والإنســـانية، فضلاً عن التحديات القائمـــة أمام الحكومات والمجتمع الـــدولى فى تحقيق أهداف التنمية المســـتدامة والحد من الفقر وخلق فرص عمـــل جديدة، فى ظل أوضاع معقدة وغير مسبوقة.

كما تناول مســـاعد وزير الخارجيـــة فى كلمته عدداً من الموضوعات المهمة مثل ظاهـــرة الهجرة وأهمية تضافر الجهود لتعظيم الاســـتفادة منها والحد من أخطارها، وأهمية تمكين الشـــباب، مســـتعرضاً الجهود المصرية المبذولة فى هذا الصدد وفى مقدمتها رعاية الســـيد رئيس الجمهوريـــة لمبادرات وطنية تهـــدف إلى رفع وتطوير إمكانات الشـــباب مثل منتدى العالم للشـــباب والذى ســـتنعقد النســـخة الرابعة منه بمدينة شرم الشيخ فى مطلع عام ٢٠٢٢، وكذا الأمن الغذائى مثمناً فى هذا الشأن مبادرة سكرتير عام الأمم المتحدة لعقد قمة أممية حول الغذاء.

كما ألقت المنسق المقيم للأمم المتحدة «إيلينا بانوفا» كلمة عبرت من خلالها عن تقديرها لاستضافة وزارة الخارجية للفعالية، وسلطت الضوء على روابط التعاون بين مصر والأمم المتحدة فى شـــتى المجالات، موضحة أن مصر تعد شريكاً رئيسياً فى الحفاظ على السلم والأمن العالميين.

معهد الدراسات الدبلوماسية يستضيف وفداً إعلامياً من دولة السودان الشقيق

استضاف معهد الدراسات الدبلوماســـية التابع لوزارة الخارجية، يوم ٦ أكتوبر ٢٠٢١، وفداً إعلامياً من دولة الســـودان الشقيق، فى إطار برنامج تدريبى متكامل نظمته وزارة الدولة للإعلام خلال شـــهر أكتوبر ٢٠٢١.

هذا، وأكد الســـفير جمال عبد الرحيم متولى، مساعد وزير الخارجية مدير معهد الدراسات الدبلوماسية، أن استضافة هذا اليوم التدريبى للإعلاميين الســـودانيين يأتى تقديراً لخصوصية العلاقات التـــى تجمع مصر بدولة السودان الشقيق على مختلف المســـتويات الرسمية والشعبية، وأوضح أن اليوم التدريبى تضمن عقد محاضرتين.

اختتم معهد الدراســـات الدبلوماســـية التابع لوزارة الخارجية فاعليات دورة تدريبية فى مجال تنمية المهارات الدبلوماسية لعدد من أعضاء السلك الدبلوماسى بدولة اليمن الشقيق، والتى استمرت لمدة أربعة أسابيع، وذلك بالتعاون مع الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية.

ميلانو

قامـــت القنصل العام فى ميلانو منال عبد الدائم بزيارة إيبارشـــية ميلانو للأقباط الأرثوذكس بجنوب ميلانو، حيث اســـتقبلها الأنبا أنطونيو أسقف ميلانو بحضور عدد من آباء الكنيسة، وذلك فى إطار تعزيز التواصل الدائم بين القنصلية العامة فى ميلانو والجالية المصرية.

اســـتعرضت القنصل العام منال عبد الدائم ســـبل دعم القنصلية العامة للجالية المصرية فى شـــمال إيطاليا، وأكدت الحرص على مواصلة التواصل المباشر مع الكنيسة والجالية المصرية فى شـــمال إيطاليا للعمل على تذليل أى معوقات قد تواجه أعضائها. ومـــن جانبه، رحب الأنبا أنطونيو بزيارة القنصل العام فى بداية فترة عملها، مؤكداً حرص الكنيســـة الدائم على دعم روابط الأخوة والمحبة بين الجالية المقيمة فى شمال إيطاليا، فضلاً عن إيلائه أهمية قصوى للتواصل المستمر مع القنصلية العامة فى ميلانو.

نشاط السفارات

جيبوتى

استقبل رئيس جمهورية جيبوتى السيد إسماعيل عمر جيله السفير حسام الدين رضا لتقديم أوراق اعتماده سفيراً لجمهورية مصر العربية لدى جيبوتى.

هنأ الرئيس الجيبوتى السفير المصرى على مهمته الجديدة، مشيراً إلى الزخم غير المسبوق الذى تشهده العلاقات الثنائية بين البلدين على خلفية زيارة السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى إلى جيبوتى فى مايو الماضى، ومعبراً عن امتنانه لاهتمام السيد الرئيس بتطوير العلاقات الأخوية بين البلدين ودفعها إلى الأمام، موضحًا أن ثمار الزيارة الرئاسية انعكست بشكل سريع فى دفع العديد من المشروعات المشتركة.

كما حرص الرئيس الجيبوتى على إبداء التزام بلاده حكومةً وشعباً بتطوير العلاقات بين البلدين الشقيقين، مؤكدًا توجيهه كافة المؤسسات الجيبوتية بالعمل على تذليل أى عقبات قد تعترض تطوير العلاقات الثنائية بين الجانبين.

نيبال

استقبلت رئيسة جمهورية نيبال السيدة بيديا ديفى بندارى، السفيرة نهى الجبالى، لتقديم أوراق اعتمادها سفيراً لجمهورية مصر العربية لدى نيبال، وذلك فى حضور كبار المسئولين النيباليين وفى مقدمتهم وزير الخارجية ورئيس الأركان.

وعقب إتمام مراسم الاعتماد، عقدت رئيسة نيبال اجتماعاً مع السفيرة المصرية، حيث نقلت السفيرة تحيات السيد رئيس الجمهورية عبدالفتاح السيسى مؤكدةً حرص مصر على تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين على كافة المستويات، والعمل على استكشاف آفاق وفرص جديدة للارتقاء بها وتوسيع أطر التعاون خلال الفترة المقبلة، ومواصلة التنسيق المتبادل بين البلدين فى المحافل الدولية وحول القضايا ذات الاهتمام المشترك. كما استعرضت السفيرة جهود مصر الناجحة فى التصدى لجائحة كورونا من خلال التوسع فى إنتاج وتوفير اللقاحات المضادة للفيروس لجميع المواطنين.

كيجالى

قدمت السفيرة رانيه البنا، سفيرة جمهورية مصر العربية لدى رواندا، أوراق اعتمادها إلى السيد الرئيس بول كاجامى رئيس رواندا، حيث قامت بنقل تحيات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى إلى نظيره الرئيس الرواندى.

وأشارت السفيرة المصرية إلى التطورات الأخيرة التى شهدتها العلاقات بين البلدين على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية، معربةً فى هذا السياق عن الأهمية التى توليها مصر لتعزيز العلاقات مع رواندا فى مختلف المجالات وبصورة تحقق المصالح المشتركة للبلدين والشعبين المصرى والرواندى. من جانبه، عَبّر الرئيس الرواندى عن تقديره لشقيقه السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى، وأثنى على العلاقات الثنائية المتميزة بين البلدين، كما وجّه أعضاء حكومته بالاستجابة لمتطلبات تعزيز العلاقات مع مصر.

بوخارست

قدَّمَ السفير مؤيد الضلعى، سفير جمهورية مصر العربية لدى رومانيا، أوراق اعتماده إلى الرئيس كلاوس يوهانس، رئيس رومانيا، حيث قام بنقل تحيات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى إلى نظيره الرومانى.

وأكد السفير مؤيد الضلعى على عمق العلاقات التى تجمع بين مصر ورومانيا، حيث تمتد العلاقات الدبلوماسية بين البلدين لأكثر من مائة عام، منوهاً بالمستوى المتميز الذى وصلت إليه العلاقات خلال السنوات الأخيرة، وخاصة بعد زيارة السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى لبوخارست فى يونيو ٢٠١٩، مُعرباً عن التطلع إلى مواصلة تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين على مختلف الأصعدة، وكذا بحث سبل فتح مجالات جديدة من التعاون. من جانبه، أكد الرئيس الرومانى على عمق وقوة العلاقات التى تجمع بين مصر ورومانيا.

جمهورية المالديف

اســـتقبل رئيس جمهورية الماليف إبراهيم محمد صليح بالقصر الرئاسى بالعاصمة ماليه يوم ١١ أكتوبر الماضى الســـفير حسين السحرتى، سفير مصر غير المُقيم لدى المالديف، قُبيل انتهاء فترة عمله، حيث أعرب الرئيس صليح عن تقديره واعتزازه بالعلاقات التاريخية المُتميزة التى تجمع مصر بالمالديف، وطلب نقل تحياته للســـيد الرئيس عبدالفتاح الســـيسى. كما أثنى على ما شـــهدته العلاقات من دفعة ملحوظة خلال السنوات القليلة الماضية بانعقاد جولة استثنائية للمشـــاورات السياســـية بين وزارتيّ خارجية الدولتين بالقاهرة فى ديســـمبر ٢٠١٩ للاحتفال باليوبيل الذهبى لإقامة العلاقات الدبلوماسية، وزيادة عدد المنح الدراسية المقدمة من الأزهر الشريف للطلبـــة المالديفيين فى مختلف التخصصات، والارتقاء بمستوى التعاون والتنسيق بين الدولتين خاصة فى إطار عضويتيهما فى منظمة التعاون الإسلامى.

مالاوى

قدّم السفير محمد الشريف، ســـفير جمهورية مصر العربية لدى مالاوى، أوراق اعتماده إلى الســـيد الرئيـــس «لازاروس مكارثى شـــاكويرا» رئيس مالاوى، حيث قام بنقل تحيات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى إلى نظيره المالاوى، مُقدماً التهنئة على تولى مالاوى رئاسة مجموعة تنمية الجنوب الإفريقى SADC، ومُعرباً عن ثقة مصر فى قدرة مالاوى على تعزيز جهود التكامل الاقتصادى داخل دول التجمع ووضع رؤية موحدة لمواجهة التحديات المشتركة لدول الجنوب الإفريقى. هذا، وأكد الســـفير المصرى على عمق العلاقات بين مصر ومالاوى، كما اســـتعرض دور الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية فى دعم العملية التنموية داخل مالاوى، معرباً عن تطلعه إلى مواصلة تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين على مختلف المستويات. ومن جانبه، طلب الرئيس المالاوى نقل تحياته إلى أخيه السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى، مُشيداً بالعلاقات التاريخية التى تجمع البلدين .

غينيا الاستوائية

التقى الســـفير حداد عبد التواب الجوهري، سفير مصر في مالابو، بوزيـــر خارجية جمهورية غينيا الاســـتوائية Simeón Oyono Esono Angué.

أكد وزير خارجية غينيا الاستوائية خلال اللقاء على عمق العلاقات بين البلدين، مشيداً بالتعاون المثمر بينهما في شتى المجالات خلال الفترة الماضية، ومعربًا عن حرص بلاده على التنسيق مع الجانب المصري في مختلف المحافل الدولية.

من جانبه، أعرب الســـفير حداد الجوهري، عن تطلعه إلى تعزيز التعاون بين البلدين في شـــتى المجالات، موضحاً في هذا الســـياق رغبة العديد من الشركات المصرية في التواجد في غينيا الاستوائية، فضلاً عن وجود آفاق كبيرة للتعاون في العديد من مجالات التعاون الثنائي الأخرى.

سريلانكا

اســـتقبل الرئيس السريلانكى «جوتابايا راجاباكسا»، فى القصر الرئاسى بالعاصمة كولومبو، الســـفير المصرى حسين السحرتى قُبيل انتهاء فـــترة عمله، حيث أعرب الرئيـــس السريلانكى عن اعتزازه بالعلاقات التاريخية المتميزة التى تجمع سريلانكا بمصر وما شـــهدته العلاقات الثنائية من تطورات إيجابية على مختلف الأصعدة خلال الســـنوات الأخيرة؛ وطلب نقـــل تقديره وتحياته للسيد الرئيس عبدالفتاح السيسى.

كما التقى السفير الســـحرتى بكل من رئيس الوزراء السريلانكى «ماهيندا راجاباكســـا» ووزراء الخارجية والســـياحة والصحة والعدل وعدد من كبار المســـئولين لتوديعهم قُبيل مغادرته، حيث قدّم لهم الشـــكر على ما أبدوه من تعـــاون وثيق مع مصر كل فى اختصاصه بما ســـاهم فى تحقيق دفعة قوية للتعاون الثنائى بين الدولتين فى شتى المجالات.

جوبا

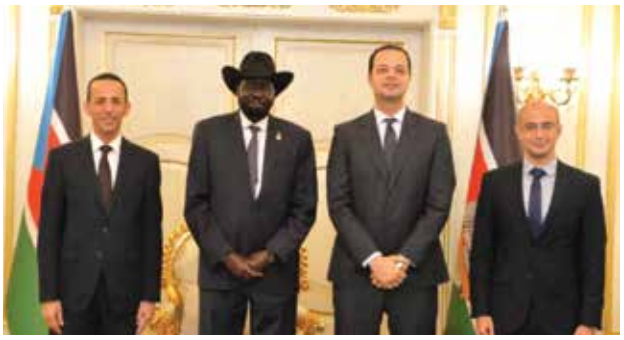

قدّم السفير قدح عرضاً لمُجمل العلاقات بين البلدين خلال الفترة الماضية، مبرزاً الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس عبدالفتاح السيسى إلى جوبا فى شهر نوفمبر ٢٠٢٠، والزيارة الأخيرة للرئيس «سالفا كير» إلى القاهرة، بالإضافة إلى انعقاد الجولة الأولى للجنة العليا المشتركة بين البلدين فى القاهرة فى يوليو الماضى. كما قدّم السفير المصرى الشكر للقيادة والشعب الجنوب سودانى الشقيق على الدعم والمؤازرة طول مدة عمله فى جوبا.

من جانبه، أعرب الرئيس «سالفا كير» عن اعتزازه بالعلاقات التاريخية والأخوية بين مصر وجنوب السودان، وعن تقديره لجهود السفارة المصرية فى جوبا لتعزيز هذه العلاقات، مؤكداً دعمه لكل ما يُحقق صالح شعبى البلدين الشقيقين. كما أشاد بما تحقق حتى الآن على صعيد التعاون الثنائى.

بيلاروس

استقبل وزير خارجية جمهورية بيلاروس فلاديمير ماكى السفير إيهاب نصر، سفير جمهورية مصر العربية غير المُقيم لدى جمهورية بيلاروس بمناسبة قرب انتهاء فترة عمله، حيث استعرض السفير المصرى ما تم إنجازه بين الدولتين على صعيد تعزيز العلاقات الثنائية خلال الأعوام الماضية. ومن جانبه، أعرب الوزير البيلاروسى عن تقديره لإسهامات السفير المصرى فى تطوير العلاقات بين البلدين.

كما التقى السفير إيهاب نصر بكل من وزراء التعليم، والثقافة، والزراعة بجمهورية بيلاروس فى إطار مقابلات التوديع التى قام بها، بالإضافة إلى كبار المسئولين بوزارة مكافحة الاحتكار والتجارة، ووزارة الصناعة، فضلاً عن لقاء مدير غرفة التجارة البيلاروسية، وذلك فى إطار متابعة تنمية العلاقات بين الجانبين المصرى والبيلاروسى.

طوكيو

فى إطار توديع وزارة الخارجية اليابانية للسفير المصرى فى طوكيو؛ استقبلت وزيرة الدولة اليابانية للشئون الخارجية Takako Suzuki السفير أيمن كامل، وذلك فى ضوء العلاقة الوطيدة التى تربط بين البلدين. قام السفير بإحاطة المسئولة اليابانية بالتطورات الإيجابية والإنجازات التى تحققت على مدى السنوات الأربع الماضية على صعيد العلاقات الثنائية، والتى كان من أبرزها الزيارات المتبادلة رفيعة المستوى؛ وفى صدارتها زيارتيّ السيد رئيس الجمهورية إلى اليابان فى يونيو وأغسطس ٢٠١٩.

تطرق السفير المصرى كذلك إلى التطور الكبير الذى يشهده التنسيق السياسى بين البلدين، فى ضوء ما يربط الدولتين من أواصر وثيقة اتصالاً بالعديد من المشروعات التنموية بمختلف المجالات، فضلاً عن التعاون الأكاديمى والعلمى كون مصر هى الدولة الوحيدة التى يتواجد بها جامعة يابانية للعلوم والتكنولوجيا (جامعة E-JUST)، إلى جانب مبادرة الشراكة المصرية اليابانية فى مجال التعليم EJEP والتجربة الفريدة للمدارس اليابانية فى مصر EJS.

الهند

قدّم السفير وائل حامد، سفير جمهورية مصر العربية لدى حكومة الهند، أوراق اعتماده إلى الرئيس الهندى "رام ناث كوفيند" بمقر رئاسة الجمهورية الهندية بالعاصمة نيودلهى. كما اجتمع السفير المصرى مع الرئيس الهندى، حيث نقل تحيات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى للحكومة والشعب الهنديّين، وأشار إلى حرص الحكومة المصرية على دعم وتعزيز الروابط التاريخية التى تجمع البلدين، وأعرب عن تطلعه لأن تشهد فترة مهمته فى الهند نمواً بمختلف مجالات العلاقات الثنائية، وأهمية الاستفادة من الخبرات المتراكمة لدى الجانب الهندى فى قطاعات تكنولوجيا المعلومات والصناعات الدوائية والزراعة وبناء القدرات، وكذلك نقل التجارب المصرية الرائدة فى مجالات البنية التحتية والطاقة الجديدة والمتجددة والنقل والمواصلات وبناء المدن الذكية، منوهًا إلى ما توفره بيئة الاستثمار فى مصر من مزايا تفضيلية لا سيما فى المنطقة الاقتصادية الخاصة لقناة السويس.

مابوتو

اســـتقبل رئيس جمهورية موزمبيق فيليب نيوسى الســـفير حاتم الألفى، ســـفير جمهورية مصر العربية فى مابوتو، بمناسبة قرب انتهاء مهمته، حيث أعرب الرئيس الموزمبيقى عن اعتزازه وتقديره للعلاقات التاريخية التى تجمع البلدين وطلب نقل تحياته إلى السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى. كما أثنى على ما شهدته علاقات البلدين من تطور ملحوظ خلال السنوات الماضية خاصةً بعد الزيارة التى قام بهـــا إلى القاهرة عام ٢٠١٩، معرباً عـــن التقدير للدعم الذى تتلقاه بلاده من الجانب المصرى فى عدد من القطاعات التنموية.

من جانبه، أعرب السفير الألفى عن شكره وتقديره لقيادة وحكومة وشـــعب موزمبيق على الدعـــم الذى تلقاه خلال فـــترة مهمته فى موزمبيق، مما كان له بالغ الأثـــر فى تعزيز العلاقات بين البلدين خاصةً فى مجالات الصحة والشباب والرياضة.

كوالالمبور

قدّم السفير رجائى توفيق نصر، سفير جمهورية مصر العربية لدى ماليزيا، أوراق اعتماده إلى ملك ماليزيا الســـلطان عبد الله رعاية الدين المصطفى بالله شـــاه، حيث قام بنقل تحيات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى إلى ملك ماليزيا.

وقد أكد الســـفير رجائى نصر على عمق العلاقات المصرية الماليزية والمســـتوى الجيد الذى وصلت إليه خلال الفـــترة الأخيرة، مُعرباً عن التطلع إلى مواصلة تعزيز العلاقـــات الثنائية بين البلدين على مختلف الأصعدة، وكذا بحث سبل فتح مجالات جديدة من التعاون بما يتناســـب مع العلاقة التاريخية الراسخة بين الشعبين المصرى والماليزى.

من جانبه، أكد السلطان عبد الله رعاية الدين المصطفى بالله شاه على عمق وقـــوة العلاقات التى تجمع البلديـــن مُعربًا عن تقديره للسيد رئيس الجمهورية ولدور مصر.

مالطا

اســـتقبل وزير الشـــئون الخارجية والأوروبية المالطى إيفارست بارتولو - نيابة عن د.روبرت أبيلا رئيس الوزراء المالطى- السفيرة ندى دراز، ســـفيرة جمهورية مصر العربية فى مالطا بمقر وزارة الخارجية المالطية، وذلك بمناسبة قرب انتهاء مهام عملها بالبلاد.

تنـــاول الاجتماع مجـــالات التعاون المختلفة بين البلدين وســـبل تطويرها، كما تمت مناقشـــة عدد من القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشـــترك، حيث أثنت السفيرة المصرية على التنسيق القائـــم مع مالطا فيمـــا يخص العلاقات التـــى تجمع بين مصر والاتحاد الأوروبى.

أشـــاد الوزير المالطى بالتطور الذى شهدته العلاقات بين البلدين خلال فترة عمل السفيرة ندى دراز، والذى يُمكِن البناء عليه لتحقيق مزيد من التعاون بين مصر ومالطا.

بنما

قدّم الســـفير ياسر الشواف، ســـفير جمهورية مصر العربية لدى جمهورية بنمـــا، أوراق الاعتماد إلى لورينتينـــو كورتيزو كوهين، رئيس جمهورية بنما، بحضور وزيـــرة الخارجية، إريكا موينز، حيث نقل تحيات الســـيد رئيس الجمهورية عبدالفتاح السيسى إلى الرئيس البنمى، مؤكداً الاهتمام الذى توليه مصر لتعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين، لاسيما تعظيم التعاون بين قناة السويس وقناة بنما، وبين المنطقة الاقتصادية لقناة الســـويس والمنطقة الحرة فى كولون.

من جانبـــه، أكد الرئيس البنمى على أهميـــة دور مصر الرائد على الصعيدين الإقليمى والدولى، مشـــيراً إلى تمتع كل من مصر وبنما بمواقع جغرافية إستراتيجية، إضافةً إلى قناة السويس وقناة بنما، واللتين تساهمان بشكل فعال فى تسهيل حركة التجارة الدولية.

مسقط

قدّم السفير خالد راضى، سفير جمهورية مصر العربية لدى سلطنة عُمان، أوراق اعتماده إلى جلالة السلطان هيثم بن طارق سلطان عمان.

وفى أعقاب مراسم تقديم أوراق الاعتماد، نقل السفير المصرى تحيات السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى لجلالة السلطان هيثم بن طارق وشعب سلطنة عمان الشقيقة، مشيرًا إلى حرص الحكومة المصرية على دعم وتعزيز روابط الإخاء والتعاون بين البلدين والشعبين الشقيقين؛ وأعرب عن أهمية استمرار تنسيق الجهود بين مصر وسلطنة عُمان بشأن القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك، بما يسهم فى تحقيق الاستقرار بالمنطقة ويخدم تطلعات شعوبها.

كما أكد السفير المصرى تطلعه لبذل كافة الجهود اللازمة خلال فترة تواجده بالسلطنة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة لمواصلة الارتقاء بمستوى العلاقات بين البلدين.

بلجراد

- استضاف سفير مصر فى بلجراد «عمرو الجويلى»، حفل استقبال على شرف بعثة فريق سلة الاتحاد السكندرى برئاسة أحمد عبدالمجيد عضو مجلس الإدارة فى ختام تواجده فى صربيا لإقامة معسكر خارجى، بحضور أحمد مرعى، المدير الفنى للفريق. وتلقى «الجويلى» خلال اللقاء اتصالاً هاتفياً من رئيس مجلس إدارة نادى الاتحاد السكندرى «محمد مصيلحى» للاطمئنان على حسن سير المعسكر المغلق الذى أجراه الفريق استعداداً للبطولات القادمة.

- استقبل سفير مصر فى بلجراد «عمرو الجويلى» نيافة الأنبا «جوفانى» أسقف وسط أوروبا للكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى زيارته الأولى إلى صربيا، حيث تناول اللقاء تعزيز قنوات التواصل، فضلاً عن رعاية الجالية المصرية بمختلف أنحاء صربيا. فى سياق متصل، أشار «الجويلى» إلى سابق مقابلته مع بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية الصربية «بروفيرى» التى تطرقت إلى تنظيم عدة أنشطة للتعريف ببعض جوانب الموروث الثقافى المصرى .

- شارك سفير مصر لدى صربيا «عمرو الجويلى» فى افتتاح المعرض الدولى لرسومات الأطفال ذات الحجم الصغير بقاعة مجلس مدينة فليكا بلانا، موجهاً التهنئة إلى الطفلة المصرية «دانيا الحمامصى» ذات الثمانى سنوات التى حصلت على الجائزة الثانية من حوالى ٥٠٠٠ عمل فنى من ٣٥ دولة.

بودابست

قدَّمَ السفير محمد إبراهيم الشناوى، سفير جمهورية مصر العربية لدى المجر، أوراق اعتماده إلى الرئيس يانوش آدار، رئيس جمهورية المجر، حيث قام بنقل تحيات السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى إلى نظيره الرئيس المجرى.

وأكد السفير محمد الشناوى على عمق العلاقات المصرية المجرية والمستوى المتميز الذى وصلت إليه خلال السنوات الأخيرة، مُعرباً عن التطلع إلى مواصلة تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين على مختلف الأصعدة، وكذا بحث سبل فتح مجالات جديدة من التعاون بما يتناسب مع حجم العلاقة التاريخية الراسخة بين الشعبين المصرى والمجرى.

من جانبه، أكد الرئيس المجرى على عمق وقوة العلاقات التى تجمع بين مصر والمجر، وأعرب عن تقديره للمستوى المتميز الذى وصلت إليه العلاقات الثنائية بين قيادتيّ البلدين.

شيكاجو

- فى إطار الحرص على تكريم المصريين الأمريكيين فى المهجر تقديراً لهم ولإنجازاتهم فى ولايات وسط وغرب الولايات المتحدة ولتعزيز ودعم التواجد المصرى فى الولايات المتحدة، قام السفير / د. سامح أبو العينين قنصل عام مصر فى شيكاجو - بعد رفع بعض القيود المتعلقة بفيروس كورونا - بزيارة أول عمدة مصرية أمريكية لمقاطعة بولنجبروك بولاية إلينوى، وذلك لبحث التعاون التجارى السياحى ما بين مصر وإلينوى.

- اجتمع القنصل العام مع العمدة/ مارى بسطا وعضوى مجلس المدينة وسكرتير عام المحافظة، حيث بُحثا سبل التعاون المكنة ما بين المقاطعة وجمهورية مصر العربية حيث تم الإعراب المتبادل عن الحرص على بحث أوجه التعاون مع جمهورية مصر العربية سواء فى المجالات التجارية أو السياحية أو اتفاق تآخ.

- قدم القنصل العام عرضاً للحاضرين لأهم قطاعات الاستثمار فى مصر ولأهم المناطق الصناعية التجارية، ولقوانين الاستثمار والتسهيلات التى تقدمها الدولة المصرية للمستثمرين. وقام بعرض ملف يتضمن المؤشرات الرئيسية لأداء الاقتصاد المصرى ولما تحقق من إنجازات فى التنمية الشاملة والبنية الأساسية والمرافق والإسكان والاهتمام الكبير الذى يوليه السيد رئيس الجمهورية.

نص كلمة السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى

أمام قمة جلاسجو لرؤساء الدول والحكومات لتغير المناخ

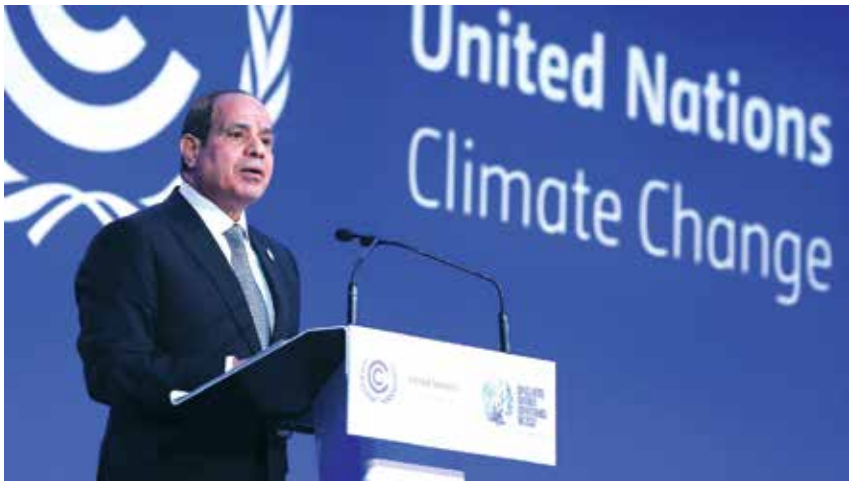

السيد بوريس جونسون، رئيس وزراء المملكة المتحدة،

السيد أنطونيو جوتيريش، السكرتير العام للأمم المتحدة،

أصحاب الفخامة رؤساء الدول والحكومات،

يسرنى أن أتواجد معكم اليوم للتباحث بشأن قضية المناخ التى باتت تؤثر علينا جميعاً.

السيدات والسادة،

لقد أكد التقرير الأخير للجنة الحكومية الدولية حول تغير المناخ أن تعزيز عمل المناخ لتحقيق هدف الـ1.5 درجة مئوية صار أمراً حتمياً لا يحتمل التأخير، ولذلك سأركز حديثى اليوم على النقاط التالية:

أولاً: بادرت مصر باتخاذ خطوات جادة لتطبيق نموذج تنموى مستدام، يأتى تغير المناخ والتكيف مع آثاره فى القلب منه، ويهدف إلى الوصول بنسبة المشروعات الخضراء الممولة حكومياً إلى 50٪ بحلول 2025 و100٪ بحلول 2030.

فعلى سبيل المثال، تمثل مصادر الطاقة المتجددة اليوم نحو 20٪ من مزيج الطاقة فى مصر، ونعمل على وصولها إلى 42٪ بحلول 2035 بالتزامن مع ترشيد دعم الطاقة، كما تعمل مصر على التحول إلى النقل النظيف من خلال التوسع فى شبكات المترو والقطارات والسيارات الكهربائية وتجهيز البنية التحتية اللازمة لذلك، فضلاً عن إنشاء المدن الذكية والمستدامة، كما تنفذ مصر مشروعات لترشيد استخدامات المياه وتبطين الترع، والإدارة المتكاملة للمناطق الساحلية. ولتمويل تلك المشروعات، أصدرت مصر مؤخراً الطرح الأول للسندات الخضراء بقيمة 750 مليون دولار.

وحتى توضع هذه الجهود فى إطارها المؤسسى، انتهت مصر من إعداد الإستراتيجية الوطنية لتغير المناخ 2050، والتى ستفتح الطريق أمام تحديث مصر لمساهماتها المحددة وطنياً، بحيث تكون السياسات والأهداف والإجراءات المتضمنة بهذه المساهمات مكملة لجهود الدولة التنموية ولمساعيها للتعافى من آثار جائحة كورونا، لا عبء عليها.

ثانياً: مثلما تدرك مصر واجباتها، فإنها تعى حجم التحديات التى تواجهها كافة الدول النامية. وهنا، أود التأكيد على أن تنفيذ الدول النامية لالتزاماتها فى مواجهة تغير المناخ مرهون بحجم الدعم الذى تحصل عليه، خاصةً من التمويل الذى يعد حجر الزاوية والمحدد الرئيسى لقدرة دولنا على رفع طموحها المناخى، فى إطار التوازن الدقيق الذى مثله اتفاق باريس، والذى يتعين الحفاظ عليه لضمان تعزيز جهود خفض الانبعاثات والتكيف مع الآثار السلبية لتغير المناخ على قدم المساواة.

وإننا نشعر بالقلق إزاء الفجوة بين التمويل المتاح وحجم الاحتياجات الفعلية للدول النامية، علاوةً على العقبات التى تواجه دولنا فى النفاذ إلى هذا التمويل، ومن ثم فلا بد من وفاء الدول المتقدمة بتعهدها بتقديم 100 مليار دولار سنوياً لصالح تمويل المناخ فى الدول النامية، ونؤكد على دعمنا لما نادى به السكرتير العام للأمم المتحدة من ضرورة ألا يقل حجم التمويل الموجه إلى التكيف عن نصف التمويل المتاح، وعلى أهمية بدء المشاورات حول الهدف التمويلى الجديد لما بعد 2025.

ثالثاً: على الرغم من عدم مسئوليتها عن أزمة المناخ، تواجه القارة الإفريقية التبعات الأكثر سلبية للظاهرة وما يترتب عليها من آثار اقتصادية واجتماعية وأمنية وسياسية. ومع ذلك، تعد القارة نموذجاً لعمل المناخ الجاد بقدر ما تسمح به إمكانياتها والدعم المتاح لها. ومن ثم، تدعو مصر إلى ضرورة منح القارة الإفريقية معاملة خاصة فى إطار تنفيذ اتفاق باريس، بالنظر لوضعها الخاص وحجم التحديات التى تواجهها.

السيدات والسادة،

إننى واثق أن المداولات التى ستشهدها قمتنا والنتائج التى ستخرج بها ستعبر عن التزامنا السياسى بمواجهة تغير المناخ والتكيف مع آثاره السلبية. كما أثق أن ذلك سوف يصل إلى وفودنا التى تستعد الآن لبدء التفاوض حول الموضوعات المطروحة على جدول أعمال المؤتمر، ليكون دافعاً ومحفزاً لها للخروج بنتائج إيجابية، كما أود الإعراب عن ترحيبنا بلجنة «اختراق جلاسجو» وبالتقارير التى ستصدر عنها، وكذلك دعمنا للرئاسة البريطانية للمؤتمر التى سنعمل معها على مدار الأيام والأشهر القادمة، وصولاً إلى الدورة القادمة للمؤتمر التى نتطلع إلى استضافتها فى مصر باسم القارة الإفريقية، حيث سنسعى خلال رئاستنا إلى تعزيز عمل المناخ الدولى للوصول إلى أهداف اتفاق باريس، تحقيقاً لمصالح شعوب قارتنا وشعوب دول العالم أجمع.

نحو عالم خالٍ من السلاح النووى (1-2)

قامت الدول الأطراف فى معاهدة منع الانتشار النووى بالإعداد لمؤتمر مراجعة معاهدة منع الانتشار النووى الذى كان من المنتظر انعقاده عام 2020، على ضوء ما أسفرت عنه اللجنة التحضيرية الثالثة لمؤتمر المراجعة العاشر لمعاهدة منع الانتشار التى عُقِدَت فى نيويورك فى أبريل/ مايو 2019. وبسبب معاناة الدول الأطراف فى المعاهدة من وباء Covid-19، تأجَّل انعقاد مؤتمر المراجعة مرتين، ومن المنتظر أن يُعقَد المؤتمر القادم فى مقر الأمم المتحدة فى نيويورك فى عام 2022.

سفير د. منير زهران

ومن المفيد الإشارة إلى ثوابت المعاهدة لتقييم مدى تحقيقها لأهدافها، سواء إيجاباً أو سلباً، وهى: منع الانتشار النووى، ونزع السلاح النووى، والاستخدام السلمى للطاقة النووية، والذى يهدف إلى إخلاء العالم من السلاح النووى. ويعتبر إخلاء منطقة الشرق الأوسط من السلاح النووى وغيره من أسلحة الدمار الشامل، خطوة نحو تحقيق هذا الهدف وفقاً للمادة السابعة من المعاهدة. والجديد منذ مؤتمر مراجعة المعاهدة عام 2015 هو إبرام معاهدة حظر الأسلحة النووية (TPNW) فى 7 يوليو 2017، باعتبارها إحدى أهم الخطوات على طريق إخلاء العالم من السلاح النووى.

وسوف نعرض فيما يلى أهم تلك المتطلبات لتحقيق هذا الهدف، ومدى إسهامها فى إخلاء العالم من السلاح النووى، باعتباره أكثر الأسلحة فتكاً ودماراً وتهديداً لبقاء الجنس البشرى.

أولاً: منع الانتشار النووى:

أُبرِمَت معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية فى يونيو عام 1968، واعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 12 يونيو 1968 بقرارها رقم 2373 (XXII). وحرىٌ بالذكر أن أحكام معاهدة منع الانتشار لا تلتزم بمبادىء ميثاق الأمم المتحدة التى نصَّت عليها المادة الثانية، والتى تدعو إلى ركائز هامة، ومنها المساواة فى السيادة بين جميع الدول الأعضاء، وحظر التهديد باستخدام القوة أو استخدامها فى العلاقات الدولية، فقد ميَّزت المعاهدة بين الدول الأطراف، بالسماح لخمس دول فقط؛ وهى الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن، بالاستمرار فى الاحتفاظ بترساناتها النووية، وهو ما يعتبر تمييزاً، وتهديداً باستخدامها وتهديداً بفناء الجنس البشرى. أما بالنسبة لباقى الدول الأطراف، فيُحظَر عليها امتلاك أو حيازة السلاح النووى.

وقد دعت الوثيقة الختامية لدورة الجمعية العامة للأمم المتحدة المخصَّصَة لنزع السلاح (SSODI) إلى «ميثاق شرف سلمى تقره الدول التى يجب أن تمتنع عن امتلاك أو استخدام الأسلحة النووية أو التهديد باستخدامها». (1) ومن جانبها، أكدت الجمعية العامة من جديد على أن أى استخدام للأسلحة النووية والأجهزة التفجيرية النووية (NEDs) سيكون انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة وجريمة ضد الإنسانية. (2) يُضَاف إلى ذلك أن أى تهديد باستخدام تلك الأسلحة ينبغى إدانته لأنه ينتهك مبادئ ميثاق الأمم المتحدة كما هو منصوص عليها فى الفقرة الرابعة من المادة الثانية.

وشدَّدت الجمعية العامة فى قرارها رقم 72/59 على أن إبرام اتفاقية دولية بشأن حظر استخدام الأسلحة النووية تُعَد خطوة مهمة ضمن برنامج تدريجى للإزالة التامة للأسلحة النووية والأجهزة التفجيرية النووية الأخرى فى إطار زمنى محدد. وكرَّر ذلك القرار طلبه السابق إلى مؤتمر نزع السلاح (CD) لبدء مفاوضات حول مثل تلك الاتفاقية التى تحظر استخدام الأسلحة النووية أو التهديد باستخدامها تحت أى ظرف من الظروف. وبالإضافة إلى ذلك، شدَّدت الجمعية العامة فى قرارها رقم 72/30 وغيره من القرارات على أنه من صالح البشرية ألا يتم استخدام الأسلحة النووية مرة أخرى، بعد استخدامها فى هيروشيما وناجازاكى فى أغسطس 1945، تحت أى ظرف من الظروف، وأن الضمانة الوحيدة لعدم استخدام الأسلحة النووية مرة أخرى هى إزالتها بالكامل. هذا، وقد أقرت الجمعية العامة فى قرارها رقم 73/74 بأن الحظر الملزم قانوناً بشأن استخدام الأسلحة النووية يسهم فى الجهود الدولية الرامية إلى تحقيق عالم خالٍ من الأسلحة النووية والمحافظة عليه، كما أعادت فى الفقرة الثامنة من القرار المشار إليه التأكيد على أهمية إبرام اتفاقية دولية لحظر استخدام الأسلحة النووية، ضمن إطار زمنى محدد.

وقد دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة جميع الدول إلى حظر استخدام الأسلحة النووية، ومنع انتشارها الرأسى والأفقي؛ لتحقيق نزع الأسلحة النووية. وعلى الرغم من هذه الدعوات، فإن بعض الدول الحائزة على الأسلحة النووية (NWSs) قامت بتطوير وتحديث ترساناتها من الأسلحة النووية وموائمتها لاستخدامها فى نزاعاتها المسلحة. تلك الأنشطة تُعَد انتشاراً رأسياً للأسلحة النووية، وانتهاكاً لنص وروح معاهدة منع الانتشار النووى (NPT)، وكذا معاهدة حظر الأسلحة النووية (TPNW). وغنى عن البيان أن هذا التطوير والتحديث للأسلحة النووية يشكل عقبة رئيسية أمام تحقيق نزع السلاح النووى، ويُعيق تحقيق هدف تحقيق عالم خالٍ من الأسلحة النووية.

لذلك يلزم أن تلتزم الدول النووية تماماً بتعهداتها المستمدة من المادتين (I) و(VI) من معاهدة منع الانتشار النووى، كما يجب عليها أن تتوقف فوراً - دون قيدٍ أو شرط - عن سياساتها المتمثلة فى مشاركة مخزونها من الأسلحة النووية مع دول أخرى أعضاء فى حلف شمال الأطلسى (NATO)، والدول غير الحائزة على الأسلحة النووية الأخرى (NNWSs) أو الدول التى لم تنضم إلى معاهدة منع الانتشار كدول غير حائزة على الأسلحة النووية، مثل جمهورية كوريا (الجنوبية) أو كوريا الشمالية والهند وباكستان وإسرائيل، تلك الدول مطالبة بوضع جميع منشآتها النووية تحت الضمانات الكاملة للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

ويلزم الإشارة هنا إلى أن الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس قد أعلن، فى خطابه أمام مؤتمر نزع السلاح فى جنيف فى 26 فبراير 2018، عن مبادرة جديدة للأمم المتحدة لنزع السلاح النووى. وأعرب عن قلقه إزاء حيازة الدول النووية على 15 ألف رأساً نووياً، وتخصيصها 1.5 تريليون دولار للإنفاق على تلك الأسلحة. وتهدف تلك المبادرة إلى إعطاء زخم جديد وتوجيه أكبر للأجندة العالمية لنزع السلاح؛ ومن ثَمَّ القضاء التام على الأسلحة النووية.

وينبغى أن يكون لمبادرة السكرتير العام أنطونيو غوتيريس تأثير مهم على سياسات وممارسات الدول النووية.

كما أنه يلزم التذكير بقرار الجمعية العامة رقم 73/70 الذى حثَّ فى فقرته الثامنة عشر جميع الدول الأطراف فى معاهدة منع الانتشار النووى على التنفيذ الكامل دون تأخير لالتزاماتها بموجب المعاهدة، ووفقاً لما تم الاتفاق عليه فى مؤتمرات المراجعة للأعوام 1995 و 2000 و 2010، والمضى قدماً فى تنفيذ التزاماتها بموجب المادة السادسة من معاهدة منع الانتشار النووى. كما حثَّ نفس القرار الدولَ الحائزة على الأسلحة النووية على أن تقوم بتقديم معلومات مفصلة تتعلق بتنفيذ التزاماتها بشأن نزع السلاح النووى فى التقارير المقرر تقديمها دورياً خلال عملية مراجعة معاهدة منع الانتشار.

وهكذا، ينبغى تحويل الإنفاق المالى الكبير المُكرَّس حالياً لإنتاج الأسلحة النووية وتطويرها لدعم السلم والأمن الدوليين، جنباً إلى جنب مع توفير حياة كريمة لكافة البشر وتحقيق رفاهيتهم، بما فى ذلك تنفيذ أهداف التنمية المستدامة (SDGs).

ثانياً: حظر السلاح النووى:

وقد حدث تطور هام فى الالتزامات التعاهدية فى مجال نزع السلاح منذ مؤتمر مراجعة معاهدة منع الانتشار النووى لعام 2015؛ حيث تم اعتماد معاهدة لحظر الأسلحة النووية (TPNW) فى 7 يوليو 2017، بعد تصويت 122 دولة لصالحها. وقبل ذلك، شاركت 130 دولة فى مفاوضات المعاهدة فى مقر الأمم المتحدة فى نيويورك فى عام 2017، بينما قاطع العديد من الدول النووية (NASs) وحلفائها تلك المفاوضات. بيد أن بعض وفود الدول أعضاء الاتحاد الأوروبى شارك فى المفاوضات المشار إليها، بما فى ذلك وفود النمسا وأيرلندا والسويد، وبالإضافة إلى سويسرا التى انضمت لاحقاً للمعاهدة فى عام 2018، بناءً على ضغوط المجتمع المدنى فيها وأعضاء البرلمان السويسرى. وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد رحَّبت بهذه المعاهدة بقرارها رقم 73/70، الذى تم اعتماده فى 5 ديسمبر 2018، كصك ملزم قانونًا لحظر الأسلحة النووية، تمهيداً للقضاء التام عليها.

وقد تم فتح باب التوقيع على تلك المعاهدة، غير محددة المدة، فى 20 سبتمبر 2017 فى نيويورك، فى بداية الدورة الثانية والسبعين للجمعية العامة، على أن يبدأ نفاذ المعاهدة بعد مضى 90 يوماً على تصديق 50 دولة عليها. ولقد دخلت المعاهدة حيز النفاذ بالفعل فى 22 يناير 2021 وأضحت جزءاً من القانون الدولى، بعد استكمال النصاب القانونى المطلوب لذلك، باستكمال هندوراس للإجراءات الدستورية للتصديق على تلك المعاهدة فى 24 أكتوبر 2020، لتكون الدولة الخمسين المُصدِّقة عليها. هذا، ولقد بلغ عدد الدول المُوقِّعة على المعاهدة فى نهاية أكتوبر 2021، 86 دولة، فيما صدَّقت عليها 56 دولة، منها 5 دول عربية مُوقِّعة (الجزائر وجزر القمر وليبيا وفلسطين والسودان) ودولتان عربيتان فقط مُصدِّقتَيْن، وهما فلسطين وجزر القمر.

وجديرٌ بالذكر أن الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس صرَّح بعد اعتماد المعاهدة فى 7 يوليو 2017، بأن: «المعاهدة تمثل خطوة مهمة ومساهمة جادة لتحقيق عالم خالٍ من الأسلحة النووية»، رغم أن الدول الحائزة على السلاح النووى عارضتها، ولا يُتوقَّع أن تنضم إليها، ومن ثمَّ لن تكون مُلزمَة بأحكامها. ويُذكَر فى هذا الصدد أن فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية أصدرت بياناً مشتركاً مُعارِضاً للمعاهدة فى 7 يوليو 2017، وأعلنت صراحةً استمرار اعتمادها على الأسلحة النووية كآلية تستخدم فى الردع مستقبلاً. وتجدر الإشارة إلى أن بقية الدول أعضاء حلف الناتو أصدرت بياناً مستقلاً، أعلنت بمقتضاه أنه من المهم البدء فى تنفيذ المادة السادسة من معاهدة منع الانتشار (NPT)، والتى تؤدى افتراضاً ولكن بصياغة مراوغة، إلى نزع السلاح النووى. وهكذا يُلاحَظ أن أعضاء حلف الناتو شهدوا انقساماً فى المواقف فيما يتعلق بمعاهدة حظر الأسلحة النووية.

ولقد حثَّت الجمعية العامة جميع الدول الحائزة على الأسلحة النووية على اتخاذ تدابير فعَّالة لنزع تلك الأسلحة لتحقيق الإزالة الكاملة لجميع الأسلحة النووية فى أقرب وقتٍ ممكن، بما فى ذلك الوقف الفورى لإنتاج وتخزين الأسلحة النووية وإيقاف عمليات تطويرها ونظم إيصالها. (3) وقد أعادت الجمعية العامة التأكيد على التعهد الواضح الذى قطعته الدول الحائزة على الأسلحة النووية على نفسها فى الوثيقة الختامية لمؤتمر مراجعة معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية لعام 2000 بالعمل على القضاء التام على ترساناتها النووية فى سياق تحقيق نزع السلاح النووى، بما فى ذلك الإجراءات العملية الـ 13 لنزع السلاح النووى. إلا أن ذلك التعهد يعيبه أنه لم ينص على تحديد إطار زمنى محدد لتحقيق هذا الالتزام. وقد حثَّ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 73/70 الدولَ النووية على تنفيذ التزاماتها المتعلقة بنزع السلاح النووى، نوعاً وكمَّاً، بطريقة تُمكِّن الدول الأطراف فى المعاهدة من مراقبة مدى التقدم فى هذا الأمر بصفة دورية، ومن خلال معايير محددة، بما يُسهِم فى تعزيز الثقة، ليس فقط بين الدول الحائزة على الأسلحة النووية، ولكن أيضًا فيما بينها وبين الدول غير الحائزة على تلك الأسلحة، بما يُسهِم فى تعزيز عملية نزع السلاح النووى.

ومن المحتمل أن يكون لتلك المعاهدة تأثير على سياسات وممارسات الدول الحائزة على السلاح النووى، ولاسيَّما فى حالة اتخاذ الدول الأطراف فى المعاهدة موقفاً حاسماً بوقف الاستثمار فى شركات الأسلحة النووية، ومن شأن تلك المقاطعة دعم الحملات الداعية للتأثير على البرلمانات والحكومات لفرض قيود على المُخصَّصات المالية الموجهة لبناء وتطوير الأسلحة النووية. ويمكن أن يشجع البرلمانيون ومنظمات المجتمع المدنى الدول الأطراف فى المعاهدة على حظر الاستثمار فى الشركات المُنتِجة للأسلحة النووية عن طريق تسليط الضوء على الإنتاج غير الأخلاقى لأسلحة الدمار الشامل المدمرة، والتحذير من مخاطرها على الجنس البشرى.

هذا وقد حصلت المنظمة غير الحكومية المُسمَّاة «الحملة الدولية للقضاء على الأسلحة النووية (ICAN)» على جائزة نوبل للسلام فى عام 2017، وذلك تقديراً لحملتها ذات الصلة التى أدت إلى مفاوضات وإبرام معاهدة حظر الأسلحة النووية، هذا إضافة إلى الجهود التى بذلتها مراكز الفكر الأخرى، بما فيها جمعية الباجواش المصرية والمجلس المصرى للشئون الخارجية (ECFA). إن مثل هذه الجائزة ستضع المزيد من الضغوط لتحقيق ضمانات الأمن السلبية (NSA) من أجل تحقيق عالم خالٍ من الأسلحة النووية.

وفيما يتعلق بالدول النووية، فيلزم عليها الانضمام لمعاهدة حظر السلاح النووى (TPNW) والتصديق عليها دون مزيدٍ من التأخير، وقد شاركت منظمة «برلمانيون لمنع انتشار الأسلحة النووية ونزع السلاح (PNND) إلى جانب برلمانيين آخرين - فى حملة لتقليص إنتاج الأسلحة النووية، وعدم بذل الجهود فى تطويرها أو تحديثها، ومن المأمول أن يتم دعم هذه الحملة من قِبل جميع الدول المحبة للسلام.

المراجع

الفقرة 58 من الوثيقة الختامية لدورة الجمعية العامة للأمم المتحدة المخصَّصَة لنزع السلاح (SSODI).

راجع قرارات الجمعية العامة أرقام 73/68 و 72/59، و 1651 (XVI)، و 34/83، و 36/92.

راجع قرارَى الجمعية العامة رقمى ٧٢/٣٠ و ٧٢/٣٨.

جورج شولتز .. صوت العقل والتوازن
فى السياسية الخارجية الامريكية 1982 – 1988

نبهنا السفير عبد الرؤوف الريدى، باعتبار خبرته الطويلة فى الشئون الأمريكية وشخصياتها إلى رحيل جورج شـــولتز، الذى كان من حظى حين كنت أعمل فى ســـفارة مصر فى واشنطن (1982 – 1986) أن أشهد اختيار الرئيس الأمريكى السابق رونالد ريجان له وزيراً للخارجية بعد أن اختير الجنرال الكســـندر هيج الذى ظن أن أفكاره ومفاهيمه خاصة حول اتفاقيات السلاح والتسلح النووى والعلاقة مع الاتحاد السوفيتى تتفق مع مفاهيمه، غير أنه ما لبث أن تبين أن إدارته للسياسة الخارجية الأمريكية اتسمت بالاضطراب والتشدد.

سفير د. السيد أمين شلبي
sams_maadi@yahoo.com

فقد جاء رونالـــد ريجان إلى الحكم فى يناير عام 1981 لكـــى يمثل واحداً من أكثر الرؤساء الذين عرفتهم أمريكا محافظة وأقلهم اســـتعداداً للمساومة مع الاتحاد الســـوفيتى. وقد كان مما له مغزى حول اتجاه سياســـته الخارجية خاصة تجاه الاتحاد السوفيتى اختياره فى البدايـــة لألكســـندر هيـــج وزيراً للخارجية. وقد اختاره أساساً لموقفه من اتفاقية سولت 2 وانتقاده لها الأمر الذى أقنع ريجان أنه يتفق معه فى نظرته إلى اتفاقيات التسلح مع السوفيت.

وقد بدأ ألكســـندر هيج سياســـته بالإعلان عن أنه ليس هناك شئ جوهرى يمكن التحدث عنه مع الســـوفيت، ولا شـــئ يمكن التفاوض حوله حتى يبدأ الاتحاد الســـوفيتى فى إثبات استعداده كقوة مســـئولة، كما ذهـــب إلى القول «إن إشـــاراتنا للسوفيت يجب أن تكون تحذيراً واضحاً أن وقت مغامراتهم التى لا يتحكم فيها شـــئ فى العالم الثالث قد انتهى وأن قدرة الولايات المتحدة على أن تتســـامح مع تصرفات عملائهم فى كوبا وليبيا قد تجاوزت حدودها».

وقـــد صبغ هـــذا التوجـــه ووجه ممارســـات الإدارة الأمريكية الجديدة إزاء الاتحـــاد الســـوفيتى ســـواء تلك المتصلة بالعلاقات المباشرة أو فى المناطق والمجالات التـــى تتأثر فيهـــا علاقات القوتين وتتداخل وذلك على الوجه التالى:

1 – ففى مجال بناء القوة العسكرية، شرعت الإدارة فى تقوية نظمها الدفاعية، وأصرت على مستوى من الاتفاق يواجه متطلبات مســـتويات عالية من التقدم، على أســـاس أن هـــذا يخـــدم الموقف الأمريكى والغرب فى أية مفاوضات مع الاتحاد السوفيتى بمستوياته المختلفة.

بل إنه قد بدأت تـــتردد فى أرجاء الإدارة أفكار حول الحـــرب النووية المحدودة، اعتقاداً بأنها أصبحت أكثر احتمالاً من صراع إقليمى محدود يتضمن استخدام القوى النوويـــة والتقليدية، وتصورت هذه الأفكار أن هذه الحرب يمكن شنها إذا ما أعد لها بشكل دقيق، وإستراتيجية فعالـــة، ونتيجة لذلـــك، تصورت هذه الأفكار أن عـــلى الولايات المتحدة أن تعد لقدرة ضاربة نوويـــة. والواقع أن هذه الأفـــكار لم تكن جديدة فقد ســـبق أن ترددت فى البنتاجون خلال إدارة كارتر ولكن ليس بهذا التصميم التى بدت عليه فى الإدارة الجديدة.

2 – كمـــا تبنـــت الإدارة مفهوم أن التعاون الاقتصـــادى والتكنولوجى مع الســـوفيت ســـوف ينتهى بدعم لبنائه العسكرى، ولذلك اتجهت إلى فرض حظر على الشركات الأمريكية والأوروبية التى تساهم فى بناء خط أنابيب غاز سيبيريا، الأمر الذى لـــم يتقبله الأوروبيون وخلق ظلالاً فى العلاقات الأمريكية الأوروبية.

3 – وفى مجال حقوق الإنسان، فقد بدأت الإدارة عهدها برفض تناول إدارة كارتر لهذا الموضوع ومعلنة أن أمريكا لا تستطيع أن تعادى شركاءها فى العالم الثالث لما لهم من أهمية فى الصراع ضد الشيوعية.

4 – وارتباطاً بمفهومها حول العالم الثالث، والـــذى لم تر فيـــه الإدارة إلا أرضاً للصراع بين الشرق والغرب، فقد انعكس هذا على تصورها للأمم المتحدة والمنظمات المتعـــددة الأطراف، باعتبار أغلبية دول العالم الثالث فيها، واتخاذها هـــذه المنظمات للتهجم عـــلى الولايات المتحدة.

ولم تقتصر الممارســـات الأمريكية فى هذه المرحلة عـــلى الجوانب المتصلة مباشرة بالعلاقات الأمريكية السوفيتية، وإنما امتدت أيضاً إلى المناطق التى تدخل فى ســـياق التنافس بين القوتين وشملت مختلف مناطق العالم التى تتداخل فيها علاقاتهما:

أ – ففـــى منطقة الشرق الأوســـط، ركزت الولايات المتحدة على التعامل مع مشكلاتها من منظور المواجهة العالمية مع الاتحاد الســـوفيتى، وكان هذا هو أساس المفهوم الذى صاغه ألكسندر هيج حول «التوافق الإستراتيجى Stratigic Conscensus الـــذى دعا دول المنطقة أن تتبناه، واعتمد هـــذا المفهوم على أن ما يهدد نظـــام الأمن الإقليمى فى الشرق الأوســـط ليس النزاعات المحلية فيه أو المصادر الحقيقية التى تهدد استقراره، وإنما الأخطـــار الخارجية التى تتهدده وفى مركزها الخطر السوفيتى. وحين لم تظهر الأقطار العربية كما كان متوقعاً تقبلاً لهذا المفهوم اتجه هيج إلى تحقيقه فى العلاقة الأمريكية الإسرائيلية بتوقيع مذكرة التفاهم الإستراتيجى Stratigic Memorandum مع إسرائيل فى ديسمبر عام 1981.

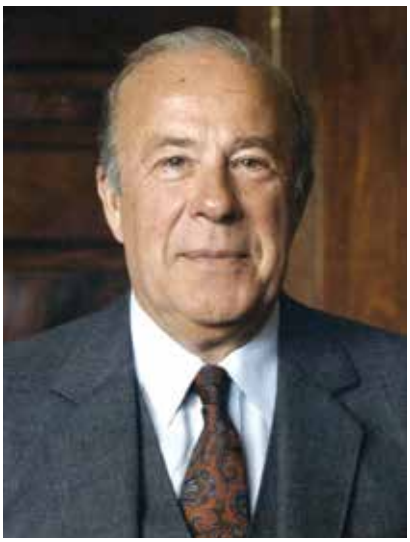

جورج شولتز

الجنرال الكسندر هيج

ب - وفى منطقة إقليمية حساسة أخرى وهى منطقة الكاريبى، لم يشغل هيج نفسه بتحليل الأوضاع السياسية الداخلية لدول هذه المنطقة وخاصة نيكاراجوا والسلفادور، وإنما يركز على المطالبة بأن يضغط الاتحاد السوفيتى على كوبا التى اعتبرها مسئولة عن اضطراب الوضع فى هذه المنطقة وإلا فإن الولايات المتحدة يجب أن تستخدم قوتها الاقتصادية ونفوذها السياسى مع واقع قوتها العسكرية لكى تضغط على كوبا ولكى تعالج الوضع «فى منبعه» Retam to the source.

ج - وفى العلاقة مع الصين الشعبية، اتجه ريجان مع بدايات حكمه، واتساقاً مع ما جاء به من عدم التضحية، بالأصدقاء، إلى تزويد تايوان بالأسلحة الأمر الذى هدد العلاقة الأمريكية مع بكين بالأبعاد الإستراتيجية والتوازنات الدولية التى تضمنها بيان شنغهاى فى فبراير عام 1972 فى تطويرها وتطبيقها بالكامل فى عهد كارتر.

من التشدد إلى محاولات التهدئة:

غير أن إدارة ريجان ما لبثت أن تبينت أن هذه الممارسات المتشددة لم تحقق تقدماً يذكر فى مسائل السياسة الخارجية بل على العكس هددت عدداً من الإنجازات التى حققتها إدارات سابقة مثل التقارب مع الصين، كما خلقت توترات فى العلاقة مع الحلفاء الأطلنطيين، وفى الشرق الأوسط الذى تصاعد فيه الصراع والتوتر واحتمالات التورط الأمريكى فيه نتيجة للغزو الإسرائيلى للبنان والذى نشأ الاعتقاد بأن سياسات هيج فى التركيز على التحالف مع إسرائيل قد شجعت عليه.

لذلك ظهرت الحاجة لا إلى التخلى عن المرتكزات الرئيسية لفكر وسياسة الإدارة، وإنما لإيجاد عنصر توازن فى توجهاتها وممارساتها وكان من مقدمات ذلك تعيين جورج شولتز وزيراً للخارجية فى يونيو عام 1982، وبدأت فى الظهور اتجاهات تغير ملحوظ فى الأسلوب وإلى حد ما فى المضمون. ومرة أخرى لم يكن ذلك يعنى انفصال الرئيس الأمريكى عن نظرته العاطفية التى تجد جذورها فى غريزته السياسية وأيديولوجيته، وإنما لتعرضه لحقائق العالم واكتسابه للخبرة العملية بشئونه، وهى الخبرة التى أظهرت له الحاجة إلى قدر من المرونة والواقعية الأمر الذى أظهر معه ريجان قابلية واستعداداً للتغير والاستجابة للمتغيرات الدولية الجديدة. كذلك ساهم فى تعزيز هذا الاتجاه مجئ جورج شولتز كوزير للخارجية فى يونيو عام 1982، ولم يكن ذلك لأنه كان يختلف عن ألكسندر هيج فى توجهاته الأساسية ولكن لنمط شخصيته وخصائصها وأسلوبه الهادئ، وتحرره من الطموح السياسى، وإدراكه للطابع المعقد للقضايا، والاستعداد للحلول الوسط، وأكثر من هذا قدرته على بناء علاقات عمل متناسقة مع شخصيات الإدارة، والعمل بروح الفريق.

وقد بدأ المراقبون يرصدون محاولات إدخال عناصر جديدة من المرونة فى سياسات الإدارة والتى بدأت تظهر فى:

أ - البدء فى إعطاء قدر من الاهتمام لمحادثات الحد من التسلح، وذهبت فى هذا إلى التقدم بمقترحات اعتبرتها أكثر مرونة من مقترحاتها السابقة المعروفة بـ Zero option والتى كانت تطالب بسحب السوفيت لصواريخهم مقابل عدم إقامة صواريخ برشنج وكروز فى أوروبا، واقترحت بدلاً من ذلك الاتفاق على أعداد متساوية من الصواريخ على الجانبين على أقل مستوى تقبله موسكو.

ب - رفع الحظر عن الشركات الأوروبية والأمريكية التى تبيع التكنولوجيا بمشروع غاز سيبيريا، وأنهى بذلك التوتر الذى نشأ فى العلاقة مع الأوروبيين حول هذا الموضوع.

ج - كما بدأت الإدارة الأمريكية تخفض من الربط الصارم الذى كانت تقيمه بين ما تطالب به السوفيت من تغيير سلوكهم فى المناطق الإقليمية، وبين التقدم على جبهات أخرى، واعتبر شولتز أن هذه السياسة لم تكن فى صالح الولايات المتحدة، وضرب مثلاً على ذلك بقرار حظر بيع القمح للاتحاد السوفيتى خلال إدارة كارتر.

د - كذلك بدأ شولتز يعالج بهدوء العقبة الرئيسية فى العلاقة مع الصين وهى مبيعات السلاح الأمريكى لتايوان حيث توصل الطرفان إلى اتفاق تعهدت فيه الإدارة الأمريكية بأنها «لا تنشد اتباع سياسات طويلة الأجل لمبيعات السلاح لتايوان، وفى هذه المبيعات التى تزيد سواء فى الكم أو الكيف عن مستوى السنوات الماضية، وأنها تعتزم تدريجياً تخفيض مبيعاتها من السلاح لتايوان عبر فترة من الزمن يتم فيها التوصل إلى اتفاق نهائى.

هـ - وبينما تجاهلت الإدارة الأمريكية فى عامها الأول العناصر المحلية فى النزاع العربى الإسرائيلى، وركزت بدلاً من ذلك على ما تتصور أنه يخدم اعتبارات إستراتيجيتها الأوسع والتنافس مع السوفيت فى هذه المنطقة، وهو التصور الذى قاد كما رأينا إلى التنسيق الإستراتيجى مع إسرائيل بعد أن فشل ألكسندر هيج فى إقناع العرب بمفهومه حول: التوافق الإستراتيجى، نجد أن عهد شولتز شهد تقدم الإدارة بما عرف بمبادرة ريجان للشرق الأوسط، والتى تضمنت عدداً من العناصر التى تعالج مسائل رئيسية وضرورية لتقدم عملية السلام فى المنطقة مثل دعوتها لتجميد المستوطنات الإسرائيلية.

كيف نسوق سياسات ومصالح مصر

الحفاظ على المال العام وحسابات الوقت

تناول الرئيس جمال عبد الناصر فى إحدى خطبه ظاهرة الفســـاد، فقال إن ما يقلقه ليس الموظف الصغير الذى يبيع ذمته بقروش، بقدر خشـــيته من البيروقراطى الذى يعطل المصالح، إما للحفاظ على «أهميته» أو لأنه يرى فى أصحاب رءوس الأموال أعداء للشعب وفقاً لنظرياته وانتماءاته العقائدية.

سفير جمال الدين البيومي
gbayoumi@hotmail.com

تذكرت هذه المقولة عندما استضفت منذ ســـنوات بعـــض نـــواب البرلمان الأوروبى، فى النادى الدبلوماسى المصرى، ومعهم بعـــض كبار رجـــال الأعمال المصريين. وسألناهم عما يمكن أن يشجع رجال الأعمـــال فى أوروبا على العمل فى مصر، وأيضاً ما الـــذى يمكن أن يعوق أعمالهم، ويجب تجنبـــه. ولخص أحد الضيوف رأيـــه بالقول إن رجل الأعمال يحسب الزمن الذى عليه أن يضيعه من ساعة إيداعه لأول مليون دولار فى البنك، حتى تسلمه أول ألف دولار من الأرباح. وأضـــاف إن أكبر عوائق الاســـتثمار فى الدول الناميـــة عموماً هو بطء إجراءات البيروقراطية وتشمل بطء العدالة، وأن دراســـة لصندوق النقد الدولى رصدت أن الوصول لحكم قضائـــى فى البلدان النامية يســـتغرق نحو عشر سنوات فى المتوسط، بتكلفة تصل إلى نحو 9٪ من رأس المال سنوياً. فيحصل المتقاضى على حكم بحقه بعد ضياع رأسماله الأصلى فى تكلفة الوصول للعدالة.

أضـــاف محدثنا أن مـــن بين أهم وسائل جذب المستثمر سهولة حصوله عـــلى الخدمات بسرعـــة. وضرب مثلاً بأنه شكا لموظف الاســـتقبال فى فندقه بسنغافورة من أنه لا يجد صحفاً ألمانية. فسأله الموظف عن صحيفته المفضلة. ثم إذا به يرســـل لغرفته نسخة مستخرجة من «الإنترنـــت» للصحيفة التى طلبها. وكان من الســـهل عليه «كموظف» أن يعتذر لعدم توفر صحف ألمانية بالفعل.

وحدث لى مثل ذلك عندما طلب منى أستاذى رئيس الوزراء الأسبق الدكتور عبد العزيز حجازى (رحمه الله) ســـنة 1996 أن نحصـــل له على نتائج مؤتمر دولى للمحاسبين عقد فى جنيف. فطلبت من زميلى «الملحق» هشـــام طه أن يبرق لبعثتنا فى جنيف بطلب المســـتند. فإذا بزميلى يأتينى بالأوراق فى دقائق. وتعلمت منه كيفية التعامـــل مع «الإنترنت» هذا الصندوق الســـحرى. وكسبنا المزيد من ثقة أستاذنا. ودائماً أدعو لزميلى وجيله الذى علمنا التعامل مع وسائل الاتصال الحديثة.

وفى نيويورك خرجنـــا من المسرح بعد منتصف الليل ومشـــاهدة مسرحية «شيكاجو» ووجدنا بعض المحال مازالت تعمل فى ذلك الوقت المتأخر. وأثار انتباهنا أن بعضها يعرض بضائع مفيدة وذات مستوى جيد وبأسعار مجزية، جعلتنا نظن – بحســـنا الشرقى – أن وراءها ما يعيبهـــا. لكن تبيّن لنا أن هذه المحال تستخدم تمويلاً يســـمى «تمويل أثناء الليل»Overnight loan وهو يقترض أموال البنوك المعطلة من ساعة الإغلاق حتى ســـاعة العمل فى الصباح. ويكون على المقـــترض أن يوفر بضائع «جذابة» جودة وسعراً ويبيعها قبل صباح اليوم التالى بربح قليل وبحجم أكبر، ليســـدد قرض الســـاعات الأربعة عشرة للبنك. وهو نوع من التجارة والاستثمار يحسب بالدقائق والساعات ولا يحتمل التأخير.

وعندمـــا شـــاركت فى الكويـــت فى مؤتمر دعت إليه الهيئة العربية لضمان الاســـتثمار. ســـألت بعض الأخوة من الســـعوديين والكويتيين عما يجذبهم للاســـتثمار فى مصر، فـــرد أحدهم أنه بجانب ما يطلبه المستثمر من مدخلات وخدمات وبنية أساســـية وعمالة مدربة تتميز بها مصر، فإنه فى مصر لا يشعر بالغربة، نتيجة وحـــدة اللغة والثقافة. ولأنه يستطيع أن يصطحب أسرته معه ويستأجر لهم شـــقة مفروشة ويتحرك هو فى الخارج مطمئنـــاً على أن أسرته تعيش فى وسط قريب ومرحب.

قبل ذلك فى ســـنة 1972 تعلمنا من دراســـة تخرج الملحق حمدى سند لوزة من المعهـــد الدبلومـــاسى (نائب وزير الخارجية الحالى) أن أحد أهم محددات التنميـــة وجذب الاســـتثمار هو معيار «القدرة الاســـتيعابية للاقتصاد» والتى تفسر لماذا يســـتثمر العرب نحو 1800 مليار دولار فى الأسواق العالمية وأقل من 70 مليار داخل الســـوق العربى. كما يســـتثمر المصريون فى الخارج – وفقاً لصندوق النقد الدولى – نحو 180 مليار دولار، وليســـت لديهم نفـــس الفرصة للاســـتثمار داخل مصر. ذلك أن قدرة الاقتصاد على الاستيعاب تحكمها عناصر كثيرة مثل عدد السكان والعمالة المدربة وتوفر الأرض والمياه والطاقة ووســـائل الاتصال والمواصـــلات والنقل والنظام المـــصرفى الحديـــث وأداء البيروقراطية والعدالة الناجزة.

اختيارات مصر

تحتاج مـــصر والمصريون للوصول إلى وفاق مجتمعى حول حاجتنا للقطاع الخاص وللاســـتثمار الأجنبى المباشر. فالاقتصاد المصرى يحتاج للنمو بمعدل يفوق ثلاثة أضعاف معدل نمو السكان كى يغطى الزيادة السكانية التى بلغت منذ ثورة 2011 نحو 22 مليون مولود جديد. وكذلك تطلعات النمو وتحســـين جودة الحياة. ويعنى ذلك اســـتهداف معدل نمـــو يزيد عـــن 7.5٪ وهو ما يتطلب بالحساب البسيط أن ندخر 30٪ من الناتج القومـــى المصرى لتوجيهها للاستثمار. لكن وفق إمكانياتهم يدخر المصريون حالياً نحـــو 15٪ فقط من الناتج القومى. ويعنـــى ذلك أن هناك

ثغرة فى التمويل تعادل نحو 15٪ من الناتج القومى، تمثل الفجوة بين ما يدخره المصريون وما ينبغى استثماره. ومن أجل توفير ما يملأ هذه الفجوة يمكن اللجوء للقروض والمنح الخارجية، وهى غير كافية وتزيد من أعبائنا. والبديل الآخر هو جذب استثمار من مصادر خارجية مثل أموال المصريين فى الخارج والاستثمارات العربية وأيضاً استثمارات أوروبية وأمريكية وآسيوية تأتى وتصاحبها تكنولوجيا متقدمة. ويرى بعض «العقائديين» أن الاستثمار يستفيد من أرباح وفرص نحن أولى بها. ولا يرون أنه يوفر سلعاً وخدمات مطلوبة، وفرصاً للتوظف، والقدرة على غزو الأسواق الأخرى والاستفادة من إمكانيات وموقع مصر.

عاشت مصر تجارب تنمية اقتصادية عديدة. انتقلت فيها بين عدة نظم. من نظام الدولة المحتكرة لكل أدوات الإنتاج وجعل الناس كلهم أجراء (محمد على باشا)، إلى نظام اقتصاد حر متسيب بدءاً بعهد إسماعيل باشا الذى أتاح المجال للأجانب أكثر من المصريين. ثم نهضت الوطنية المصرية اعتباراً من طلعت باشا حرب، لتؤسس قاعدة وطنية للاقتصاد يتملكها المصريون. واستمر ذلك طوال حكم الملكية، وحتى السنوات العشر الأولى من ثورة يوليو 1952. التى أقامت السد العالى وأممت قناة السويس وتبنت مشروع السبعمائة مصنع وترجمة الألف كتاب وأتاحت التعليم لكل الطبقات وانحازت للطبقة العاملة. ثم كانت بداية التحول عن الاقتصاد الحر واستثمار القطاع الخاص عندما أصيبت مصر بأول «نكسة وطنية» ــ حسبما أسميناها وقتها سنة 1961 ــ بانفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة. فاتجهت مصر لموجة ما سمى بالتأميم. وكان فى الحقيقة مصادرة لأملاك مصريين لم يرتكبوا أية جرائم وفق ما أثبتته المحاكم العليا لاحقاً فى أحكام نهائية، سوى ما قيل أن رأس المال وبعض الدول العربية مولوا مؤامرة انفصال سوريا سنة 1961، فاتجه المزاج العام لنزع ملكية الناس وأموالهم. وعندما عينت قاضياً فى المحكمة العليا للقيم التى كانت تنظر فى تصفية هذه القضايا اطلعت على قدر الخطأ الذى ارتكبناه فى حق أنفسنا وفى حق مصر.

لم يدرك البعض أن ملكية رأس المال ليس المشكلة الأكثر إلحاحاً، وإنما كفاءة إدارته – مع الموارد والممتلكات – إدارة رشيدة. فأحمد عبود باشا، وأحمد فرغلى باشا، وأحمد الطرابيشى، وعبداللطيف أبو رجيله، وعثمان أحمد عثمان، وسيد ياسين، وأحمد الطويل، بل والفنانون أنور وجدى ومحمد فوزى ومئات غيرهم، صودرت أملاكهم فخسرنا بأكثر مما خسروا. فقد خسروا المال، وخسرنا الرجال والإدارة المقتدرة للأملاك. وأغلبهم بدأ من جديد وكون ثروات فى الخارج بأضعاف ما صادرناه من أموالهم فى الداخل. وحصل بعضهم على أحكام قضائية نهائية برد أموالهم أو بعضها. وعندما شرفت بعضوية المحكمة العليا للقيم (2009 / 2010) لمست تفاصيل وحجم الخسارة التى تحملها الاقتصاد المصرى بمصادرة أملاك الناس دون حق.

انتقلنا مجدداً إلى نظام الاقتصاد الذى يقوم على آليات السوق فى عهد الرئيس أنور السادات، فأكملت مصر السد العالى وأدارت قناة السويس بكفاءة عالمية. وأنشأت مترو الأنفاق، والموانى والطرق، وتوسعت زراعياً وضاعفت طاقة الكهرباء فى طفرات غير مسبوقة، وأصلحت أحوال الاتصالات وأنهت مشكلة التليفونات، وحققت نهضة سياحية كبيرة. لكن اقتصاد السوق كان يتطلب إحكام الرقابة على حركة رأس المال ومنعه من الانحراف والممارسات الضارة بالمنافسة الشريفة. خصوصاً بعد ما كشفته أزمة النمور الآسيوية سنة 1997 التى كانت ضحية سياسات الصرف الجامدة، والأزمة المالية العالمية سنة 2008 التى نتجت عن انحراف رأس المال الأمريكى المتسيب.

والدرس هو أنه لا يوجد فى الأنظمة السياسية أو الاقتصادية والاجتماعية حلول كاملة الأوصاف أو اقتصاديون يحلقون بأجنحة الملائكة. ولكن أنجح التجارب لم تكن بالضرورة ابنة اليسار الذى ينتمى لفكر الاقتصاد الذى تديره الدولة وتكون هى المنتج والمحتكر للسلع والخدمات، ولا لممارسة اقتصاد السوق بكل تسيباته، وإنما تكون تجارب البناء الناجحة هى تلك التى تقدمها قيادات من النخبة تساندها غالبية الناس، وتتبنى مشروعات قومية للبناء يجتمع خلفها ويستفيد منها غالبية المواطنين. فهذا الوطن أفضل بكثير مما نصوره، ويستحق أكثر وأفضل بمراحل مما حققناه حتى الآن. فالمستقبل وأحفادنا ينتظرون أن نبذل لأجلهم ما يستحقون من جهد وعناء. وفى هذا يضرب المثل بالفارق الشاسع فى قدر نجاح أو إخفاق هيلموت شميت وهيلموت كول – فى ألمانيا – فى إدارة موازنة الدولة من العجز إلى الفائض عندما نجح الثانى فى مواجهة الأزمة بحل غير تقليدى. كما يضرب المثل بين العاطفين – رئيسى الوزراء صدقى وعبيد، فى مصر – فى إدارة نفس سياسة الإصلاح الاقتصادى، عندما كسب الأول ثقة الناس، ولم يوفق الثانى فى النجاح بنفس السياسة.

الاستثمار الأجنبى والاقتصاد المزدوج

تعالج علوم الاقتصاد مزايا ومشاكل الاستثمار الأجنبى، ومن بين تلك المشاكل أنه يخلق ما يسمى «بالاقتصاد المزدوج» لأنه يستخدم تكنولوجيا متفوقة تنافس ما يستخدمه الاقتصاد المحلى. كما أنه يوظف كفاءات عالية تحظى بأجور مجزية ومرتفعة نسبياً مقارنة بالأجور المتاحة لموظفى المؤسسات الحكومية والمشروعات المحلية. ويثير ذلك غضب من يعملون بالأجور المحلية المتواضعة. ولقد واجهنا عملياً الكثير من المشاكل

نتيجة هذه الممارسة.

ففى مشروع مصري/ أوروبى لرفع قدرات أجهزة ومؤسسات الحكومة المصرية، كنّا ننتقى أفضل العناصر المصرية ونتيح لها التعاون مع أفضل العناصر الأوروبية التى تتنافس لتحظى بتقديم خبراتها لمصر، فتكتسب المزيد من السمعة الطيبة. فاستفدنا من الخبرة السويدية فى مجال سلامة النقل البحرى وواجهنا - بفضل الله - حوادث النقل البحرى. واستفدنا من الخبرة الفرنسية فى هيئة البريد، والخبرة الألمانية فى الكهرباء والتليفونات والبيئة بالتخلص من النفايات السامة والصلبة، ومن كفاءة الهيئة الألمانية المسئولة عن الاستثمار. ومن كفاءة هيئة السياحة النمساوية للسياحة والتى أدهشتنا بأن النمسا التى يبلغ تعدادها ثمانية ملايين مواطن، تجتذب أربعين مليون سائح (خمسة أضعاف السكان). وكانت المعضلة التى واجهتنا هى الخلل فى الأجور على الجانبين. مما كان يهدد سلامة التنفيذ. فالموظف المصرى الذى يستفيد من نظيره الأوروبى لم يكن بإمكانه مجاراته فى استخدام نفس وسائل السفر أو المبيت أو الغذاء، أو حتى تناول فنجان من الشاى فى أماكن تواجدهما معاً.

يؤدى ذلك النشاط الموسع إلى التعامل مع أرقام ضخمة من حركة المال فى الداخل والخارج. وهو ما تقوم به أقدم بيروقراطيات العالم فى مصر بكفاءة يحترمها الكثيرون. لكنها تتطلب متابعة ومراجعة ومراقبة من قبل الأجهزة المحاسبية التى تؤدى هذا الواجب على أفضل ما يكون. ومع ذلك فلهذه الأجهزة قواعدها الجامدة التى قد تعرقل سرعة وكفاءة الأداء، بسبب غيبة المعرفة الكاملة لتفاصيل إدارة العمل والتمويل وعلوم الإدارة الحديثة. ومن هنا ظهرت حالات عديدة لاعتراض أجهزة الرقابة على تصرفات بدت لها غير متوافقة مع قواعد وأصول المحاسبة أو قوانين المشتريات. فانطلقت تجرمها أحياناً، ثم تتبين فى النهاية أننا بحاجة لفهم أفضل لاختيارات صانع القرار التى استهدفت دقة الأداء وتوفير النفقات والتكاليف. وأثيرت قضايا أثبتت أخيراً

المنتدى الاقتصادى مصر - التشيك بحضور سامح شكرى

أن بيروقراطيتنا بخير.

عندما تواجه البيروقراطية العدو الخطأ

مجموعة طابا - من مضحكات البيروقراطية:

كلفت بأن أقوم بأعمال الأمانة العامة «لمجموعة طابا» المكونة من وزراء الاقتصاد فى مصر والأردن وفلسطين وإسرائيل وأمريكا. وتنعقد دورياً فى فندق هيلتون طابا. واكتشفت أن عليّ أن أدفع تكلفة غرفتى فى الفندق البالغة وقتها 600 جنيه فى الليلة، فى الوقت الذى كان فيه بدل سفر سيادة السفير أمين عام اللجنة 18 جنيهاً فى اليوم. وقال لى زميل مسئول بترفع: ادفع يا أخى، ألست بسفير؟ ونسى أن راتب السفير كان وقتها 1200 جنيه فى الشهر. لا تكفى أجر غرفة الفندق فى الأيام الثلاثة للمؤتمر.

قضية الصناعة

من أشهر القضايا التى أثيرت فى الثمانينيات كانت قضية وكلاء وزارة الصناعة فى شأن صناعة ورق الصحف من مصاصة القصب. وكانت ألمانيا تحتكر أسرار هذه الصناعة، وقدمت «منحة» لمصر لشراء المصنع المطلوب. وكان من الطبيعى أن يتخذ القرار بإسناد التوريد للدولة «صاحبة المنحة». لكن البيروقراطية رأت أن اللجنة تصرفت «بالأمر المباشر» فى صفقة بالملايين، وأحيل كل أعضاء اللجنة للنيابة، وجرى حبسهم سنوات للتحقيق، مات خلالها أحدهم فى الحبس، وانفرط عقد أسر بعض من الباقين. ثم تبين فى النهاية أنه لم يشب قرار اللجنة أية مخالفة، فحصلوا على البراءة. لكن ألغت الدولة المانحة المشروع فضاعت المنحة والمصنع، والناس.

والمدهش أن يتكرر ذلك فى الألفية الحالية مع نفس الدولة فى قضية أرقام السيارات التى حظيت مصر فيها بمنحة منها لدعم نظام المرور وسلامة النقل البرى الذى يشمل أرقام السيارات الحديثة. ومع أن المنطق هو أن يتم شراء النظام والأرقام من الدولة صاحبة «المنحة» فقد أحيل للمحاكمة الوزراء الذين اتخذوا القرار ورئيس الوزراء الذى اعتمد قرارهم. ثم تبيّن سلامة الإجراءات فى الوقت المناسب فلم نخسر المنحة ولله الحمد. ولكن عذبنا من اتخذ القرار السليم.

هناك عشرات الأمثلة التى توضح شدة الحاجة إلى مواكبة أجهزتنا لتطورات عمل البيروقراطية الحديثة بمعناها الحميد. ومازلنا نذكر قضية وزير المالية الفاضل الذى اعتمد قرار لجنة أنصفت ممولاً من إجحاف تقديرات جمركية غير سليمة، فأحيل لمحاكمة استغرقت سنوات كانت كافية لإنزال خسائر مؤلمة بالرجل. وهناك معاناة يومية من صلابة القواعد التى لا تسمح بتوفير المال باتخاذ القرار الجريء المناسب والذى يتخطى الروتين.

ففى ألمانيا جاءتنا موافقة بشراء سيارة للسفارة على ألا تزيد سعة محركها عن 200 سم. وقال لنا المورد الألمانى أن هذه السعة لن تتوفر قبل ستة أشهر وبسعر أعلى من السيارة سعة 230 سم المتوفرة فعلاً. فاخترنا السيارة 230 «الأرخص» ووجهت لنا البيروقراطية اللوم.

وشخصياً استدعانى رئيس دولة إفريقية لمقابلته فى بلدته التى تقع على بعد 1200 كيلومتر من مقر إقامتى. وكان السفر المتاح لتلك البلدة إما بطائرة خاصة تتكلف 12 ألف دولار أو باستئجار سيارة رباعية الدفع تتكلف

ألف دولار فقط. ولما اخترت الطريق الأرخص للدولة والمؤلم لى، تبين أن التعليمات لا تسمح باستئجار سيارات، وأن علىّ أن أرد ألف دولار للدولة لأننى لم أنفق 12 ألف دولار للسفر بالطائرة. لولا مروءة وزير الخارجية باعتماد تصرفى «الخطأ».

من بين أفضل نتائج انتصارات أكتوبر التى احتفلنا بعيدها مؤخراً، هى عودة مصر لتحتل مركزاً مستحقاً فى عالمها وإقليمها. وصارت القاهرة من أكثر عواصم العالم استضافة للسفارات والبعثات الأجنبية. حتى أن حجم التمثيل الأمريكى والأوروبى، بل والسعودى والخليجى فى القاهرة يوظف كل منه أعداداً من الدبلوماسيين فى بعثاته تقارب حجم التمثيل الدبلوماسى المصرى كله. وصارت أغلب الدول تسعى لمشاركة مصر فى تحقيق نهضتها الاقتصادية. ورأينا لقاءات لوزراء خارجية أوروبيين ومن اليابان وغيرها يشجعون وزارة الخارجية كى تستفيد مصر بقدر أكبر من برامج التعاون الاقتصادى. حتى صارت مصر من أكثر بلدان العالم استفادة من هذه البرامج، ومن أكفئها أيضاً.

عندما تحارب البيروقراطية بعضها

غالباً ما نعاقب من يتسبب فى ضياع المال العام، كثيره أو قليله. ولكن فى بعض الحالات تخفى علينا قضايا ينحاز فيها صانع القرار للخيار الأسوأ ويضيع الملايين، دون أن يستمع لنصح مستشاريه. ومن أمثلة سوء تصرفات المسئولين اشتهرت بعض هذه التجارب التى مرت دون حساب.

تكلفة فهم قواعد المنشأ

عندما بدأ التفاوض مع الاتحاد الأوروبى سنة 1995 عرض الجانب الأوروبى الاتفاق وملحقه الأساسى الذى ينظم قواعد المنشأ، وهى ببساطة قانون جنسية السلعة التى تستحق الإعفاء الجمركى، وقصد بها حماية الإنتاج الوطنى بقصر الإعفاء الجمركى على المنتج المصرى، وليس على سلع تستورد أغلب مكوناتها. ولهذا صيغت القواعد بشكل عام ثم بالتفصيل لكل سلعة واردة فى جداول البنود الجمركية. فأصبحت مجلداً ضخماً أزعج أحد كبار المسئولين فتعاقد – عن غير علم – مع أحد زملائه من كبار المسئولين السابقين فى دولة بعيدة تماماً عنّا كى نتعلم منه هذه المسألة مقابل ستة ملايين دولار. وفى نفس الوقت قام بالمهمة أصغر زملائنا وشرحه ببراعة فى مذكرة من صفحات ثلاثة عرضها وزير الخارجية على رئيس الوزراء فأمر بإلغاء التعاقد. ومن وقتها أسمينا الزميل «الملحق» وائل حامد برجل الستة ملايين دولار، وهو حالياً سفيرنا – الموفق بإذن الله – فى الهند.

التحديث ليس آلات وحجراً

حصلت مصر فى مفاوضات المشاركة مع الاتحاد الأوروبى على أكبر قدر من مساعدات التنمية بين بلدان جنوب المتوسط، وقدم الأوروبيون أكبر مشروع ناله أى بلد وأكبر مشروع حصلت عليه مصر من أى مصدر. وهو برنامج تحديث الصناعة الذى ساهم فى وضعه وصياغته خيرة خبراء مصر بمساعدة أبى تحديث الصناعة فى البرتغال «ألبرتينو سنتانا» واكتسب البرنامج خبرات دول سبقتنا كأيرلندا وتونس وغيرهما. وكان تمويل البرنامج «بمنح وقروض ميسرة» تصل إلى مليار دولار وإلى تمويل مفتوح للآلات بقروض سهلة. لكن إحدى آفات البيروقراطية هو فقدان الذاكرة، وكثرة تغيير المسئولين، بالإضافة لعدم الإلمام الكافى بمعنى ومتطلبات التحديث. فقد كان البعض يربط بين التحديث وبين تجديد الآلات. بينما أولوية التحديث تستهدف السياسات والنظم والتدريب والتحفيز وكلها تأتى منحة من البرنامج. أما إذا لزم الأمر شراء آلات فمحل الشراء القروض الميسرة. فلا يوجد نظام يقدم الآلات مجاناً للمستفيد. وهو أمر لم يكن على هوى بعض أصحاب المصالح الساعين لكسب المال دون مقابل.

شهد البرنامج أيضاً تغيير أكثر من كبير مسئول، كان أحدهم فى المرحلة الحاسمة مقتنعاً بأن البرنامج هو «مؤامرة لكشف أسرار مصر الصناعية» وأنه جزء من مخطط لإسقاط الاقتصاد المصرى. وكان يفضل أن يحصل على «التمويل نقداً» ليفعل به ما يشاء. بما فى ذلك تحسين مرتبات موظفيه. وظل يؤخر التنفيذ حتى فقد منصبه بعد أن ضبط بخط يده يمول – بأموال الدولة – حملة للهجوم على الحكومة المصرية وعلى اتفاقيات التجارة والتحديث، ودفع رشوة لصحفيين فى صحف كبرى ليهاجموا سياسات الحكومة، فعزل وعزلوا وضاعت فترة تنفيذ المشروع وبددنا ببساطة مليار دولار راحت فى غير موضعها.

رفع قدرات المؤسسات المصرية

من بين برامج التحديث ورفع القدرات نشأ برنامج ينقل الخبرات الأجنبية بالتعامل المباشر بين المؤسسات المصرية ونظرائها فى الدول الشريكة التى حققت تميزاً فى مجالات تهمنا. ويمر نقل الخبرة بالتعامل مع المسائل اليومية والإجراءات والتشريعات المطبقة. ويصل لمرحلة اقتراح إجراءات وتشريعات وقوانين جديدة تلائم التطوير المنشود. ولثقة الجهة المانحة فى قدرات مصر وقياداتها، فقد أوكلت إدارة البرنامج للجانب المصرى الذى شكل إدارة مصرية مستقلة وغير حكومية. وهو وضع لم تحظ به دول كثيرة. ونجح أعضاء الإدارة المصرية فى كسب خبرات عظيمة مكنتهم من منافسة الخبراء الأجانب فى رسم خطط التطوير، مع الفارق الكبير فى المرتبات والمكافآت. فى حين كان موظفو الحكومة يحسدونهم على مراكزهم وأجورهم. ووقعت الواقعة عندما فكر أكثر من كبير مسئول فى ضم البرنامج للإدارة الحكومية ليستفيد ببعض مزايا التمويل والرواتب لوزارته. وعندما أقدم أحدهم على هذه الخطوة – الخاطئة – لم يكن يدرك أن ضم البرنامج إلى الإدارة الحكومية يفقده استقلاليته، التى هى شرط لإدارة مصر للبرنامج. فسحبت الجهة الممولة إدارة البرنامج من مصر، وقامت بإدارته بواسطة بعثتها. وفقدت مصر إدارة تمويل برنامج بأكثر من مليار ونصف مليار جنيه مصرى. والأهم تبعثرت خبرات شباب بلغ مستواه العالمية.

الدرس المستفاد – وهناك عشرات الأمثلة الأخرى – هو أن بيروقراطيتنا تستطيع أن تحافظ على المال العام وتصل لمن يمد يده وتمنعه وتجازيه. لكنها لم تنجح فى حالات كثيرة أن تمنع سلبية الأداء وسوء الإدارة الذى يؤدى لتبديد وإضاعة كم من الأموال فوق التصور. والمهم الآن أن تستفيد من هذه الدروس وأن تتصدى إداراتنا التى تتعامل مع قطاع التعاون الاقتصادى، تتقدمها وزارة الخارجية ومعها المالية والتجارة والتعاون الدولى، وأجهزة الرقابة، كى تحسن تسويق أهداف مصر لجذب الاستثمار والتعاون لبلد نجح فى أن يفتح سوقه على أسواق 420 مليون عربى، و1200 مليون إفريقى، و500 مليون أوروبى تستطيع أن تستوعب كل ما نهدف لإنتاجه فى خطتنا القومية للتنمية 2020 / 2030. وما أعظمها من مهمة تضطلع بها الدبلوماسية المصرية.

بصمة الحضارة المصرية فى العالم (7)

إن عطاء مصر الحضارى مستمر إلى الآن ولم ينته بالاحتلال الرومانى لمصر ووفاة كليوباترا. قد يبدو قولى هذا فيه شيء من المبالغة، ولكنى أثبت صحته جزئياً عندما ذكرت على هذه الصفحات قصـــة القديس موريس، القائد المصرى الذى فضل الموت على خيانة مبادئه. والقصة الموازية لها وهى قصة القديسة فيرينا التى يحتفل أبناء مدينة «شتيفا Staefa» فى سويسرا إلى الآن بذكراها.

د. مهندس هانئ محمود النقراشي
hn@nokraschy.net

أما اليوم فى نوفمبر من سنة 2021 خلال فعاليات مؤتمر جلاسجو لحماية منـــاخ كوكب الأرض نجـــد أن بوريس جونسون رئيس وزراء بريطانيا، وهى الدولـــة البادئة باســـتعمال الفحم على نطاق واســـع، يدعو دول العالم بترك الفحـــم فى مناجمه تحـــت الأرض لأنه يلوث الغلاف الجوى بغاز ثانى أكسيد الكربون.

غاز ثانى أكسيد الكربون، وهو أحد مكونات الهواء الذى نستنشـــقه، يعكس جزءاً من أشعة الشـــمس التى سقطت على الأرض ثم انعكست إلى السماء فيعيد بعض هـــذا الجـــزء إلى الأرض، ولولاه لكانت الأرض فى بـــرودة القمر. ولكن زيادة تركيزه فى الغـــلاف الجوى يزيد الإشـــعاع العائد للأرض وبالتالى حرارة الأرض بما يســـمى الاحتباس الحرارى. يطلق بوريس جونســـون دعوته هذه مرفقة بنبوءة أن مدناً ساحلية كبيرة مثل الإسكندرية مهددة بالغرق لأن مستوى البحار يرتفـــع نتيجة لذوبـــان ثلوج القطبين بعد اختلاف التوازن بين الدفء والـــبرودة فى القرن الماضى. ويرجع ذلك إلى تزايد حـــرق الوقود لإنتاج الكهرباء، وبالذات الفحم لأنه يطلق أكبر قدر من الغازات الضارة، يليـــه النفط ثم الغاز الطبيعى.

إذن فهو الإنسان الذى تسبب فى خلل موازين الطبيعة. وهو الذى يســـتطيع إعادة التـــوازن لو تصرف بحكمة، مثلاً العـــزوف عن حرق الفحم واســـتبداله بالغـــاز الطبيعى الـــذى يطلق نصف مقدار ما يطلقه الفحـــم من انبعاثات ضارة. بوريس جونســـون ينادى بذلك فى ســـنة 2021 بينما مصر نفذت هذه الأفـــكار قبل نوفمـــبر 2020، أى منذ عام تقريباً عندما قـــررت العدول عن بناء محطتين عملاقتين لإنتاج الكهرباء بالفحم المســـتورد. ولا عجب أن تكون مصر هـــى الرائدة فى هذا المضمار حيث إن الرئيس السيسى لا يمل ذكر الاستدامة فى كل مناسبة تسنح له. وتبين له فساد القول «تكنولوجيا الفحم النظيف» لأن هذه التكنولوجيا ليســـت إلا فصل ثانى أكسيد الكربون قبل خروجه من المدخنة وضغطـــه فى فجـــوات فى الأرض إلى أن تمتلئ فى حوالى 20 سنة ... وما عشرون ســـنة إلا غمضة عين فى عمر دولة مثل مصر.

مصر وضعت هنا بصمتها فى تاريخ البشرية عندما أخذت خطوة اســـتباقية لنبذ الفحم كحامل للطاقة تستعمله دول كثيرة لإنتاج الكهرباء، أكثر صور الطاقة انتشاراً، مصر قررت أن تكون أول دولة فى العالـــم تبتعد عن اســـتعمال الفحم لإنتاج الكهرباء، حتـــى قبل البدء فيه. والخطوة المنطقية التالية هى استخدام الطاقـــات الطبيعية لإنتـــاج الكهرباء. ولكن أى الطاقات الطبيعية تتوافق مع ظروف مصر؟ وهل لنـــا الخيار؟ وهل المتاح يكفى للطلب المتزايد؟

لو طلبنا المشـــورة من خبراء أوروبا لســـمعنا من بعضهـــم: «أفضل شيء هو الطاقة المائية من مســـاقط المياه أو الســـدود على الأنهار». نعم عندنا نيلنا العظيم ولكنـــه فى داخل حدودنا هادئ مســـتأنس لأن انحدار الأرض قليل وإلا لجرف تربة الوادى الخصبة ولما نشأت الحضـــارة فى هذه البقعـــة، فضلاً عن أننا اســـتخدمنا المتاح أفضل استخدام ببناء الســـد العالى وقبله خزان أسوان. قد نســـمع من آخرين: «لقد اســـتخدم جدودكم الريـــاح المنتظمة القادمة من الشـــمال الغربى لدفع الســـفن عكس تيار النهر، فيا لها من طاقة يحســـدكم عليها غيركم لاستمرارها وانتظامها فهى ليســـت عاصفة مدمرة ولا هى متوقفة إلا للحظـــات». نعم، ولكننا نســـتعمل المصاعد فى مقار العمل والسكن وكذلك الأفـــران لصهر المعادن فلا نســـتطيع الاعتماد على مصدر متقلب مثل الرياح، تأتى عندما تشاء وتتركنا حائرين عندما تسكن. فيقول آخرون: «عندنا نستعمل الخلايا الشمسية مع أن شمسنا أقل من نصف قوة شمسكم». نعم ولكن مع قوة شمســـنا تكون حرارة طقسنا أعلى من حرارة طقسكم فتنتج الخلايا الشمسية عندنا أقل مـــن إنتاجها عندكم، هذا غير أن طقسكم يغســـل الخلايا بالمطر من وقت لآخر بينما طقسنا الجاف يتسبب فى تراكم الأتربة على الخلايا، أما العائق الأكبر فهو أن الخلايا الشمسية لا تمدنا بالكهرباء ليلاً ولا توجد للآن وســـيلة اقتصادية لتخزيـــن الكهرباء بالمقادير الكافية لتغذية مدينة مثل القاهرة طوال الليـــل»، وعندما يبدأ إنتاج الســـيارات الكهربائية فسنحتاج لشحن بطارياتها، وذلك يتم فى أغلب الأحـــوال ليلاً حيث تقبع الســـيارات فى مواقفها لســـاعات طويلة تتيح أحســـن الفرص للشـــحن بتيار منخفـــض لا يحتاج لكابل غليظ، ولكن الكهرباء يجـــب أن تكون متاحة

وكذلك من مصـــدر متجدد، فلا تصلح الخلايا الضوئيـــة للقيام بهذا العمل إذا تم توصيلها بالشبكة لتقوم أساساً مقام المحطات التقليدية والرابط التالى يشرح شـــحن البطارية من وجهة نظر مالك السيارة دون أن يتطرق لطريقة الإمداد الكهربائـــى ومن البديهـــى أنه إذا أراد الشحن السريع فيجب أن يكون الكابل الذى يوصّل الكهرباء من الشبكة العامة إلى الشاحن يتحمل التيار الشديد الذى يمر فى داخله وهذا عـــادة غير متاح فى المناطق الســـكنية ولكنه متاح فى بعض المناطق الصناعية.

https://www.youtube.com/watch?v=CjYnABcnYoM

من مقارنة كلفة الاستهلاك تبين أن تكلفة استهلاك السيارة الكهربائية 60٪ أقل من تكلفة اســـتهلاك وقود السيارة التقليدية وهذا يعطى مؤشراً قوياً لنمط الاســـتعمال. فعندما يكون اســـتعمال السيارة خاصاً تكون المسافات اليومية قصيرة ولكن عندما يكون اســـتعمال السيارة مرتبطاً بالعمل ومثال ذلك عمل الســـفراء وأعضاء السلكين الدبلوماسى والقنصـــلى، تصل المســـافات إلى آلاف الكيلومترات كل شـــهر مما يجعل الوفر فى الاستهلاك ظاهراً فى حساب التكاليف الكليـــة. بجانب ذلك تعطى الســـيارة الكهربائية – وهى لا تخفى للناظر ولا للســـامع بســـبب هيئتها المميزة ولأنها صامتة ولا يصدر عنها روائح كريهة – مهابة لصاحبها فى صورة رســـالة: «أنا أنتمى لدولة تعمل ما فى وسعها لحماية المنـــاخ، لذلك وضعـــت ميزانية خاصة لشراء سيارات كهربائية مصنعة فى مصر لكل بعثة خارجية».

فى ذلك التصرف مميزات كثيرة منها تأمين تصريف الســـيارات من المصنع الجديد، وانخفاض ســـعر السيارة إلى النصف مقارنة بأســـعار الســـيارات المماثلـــة فى دول أوروبا والوفر فى المبالغ التى تدفع بعملة الدولة الأجنبية خاصة وأن أسعار الوقود فى ارتفاع يفوق ارتفاع سعر الكهرباء. ولكن الميزة الكبرى أنها تفتح مجال تصدير هذه الســـيارات إلى الدول التى تســـير فى شـــوارعها رافعة علم مصر وحاملة رجال وسيدات البعثة الدبلوماســـية المصريـــة لتقديم أوراق اعتمادهم أو زيـــارة معرض للحضارة المصريـــة الحديثة أو لمقابلـــة أعضاء الجالية المصرية. طبعاً يجب أن توفى هذه السيارة شروط الترخيص فى الدول التى تصدّر إليها وأعضاء السلك الدبلوماسى أقدر من يستطيع إنهاء هذه المستندات بالسرعة المطلوبة.

ولكن ما الفائـــدة العائدة على المناخ من تسيير ســـيارة كهربائية، كهربائها تنتج من وقود حفرى ملـــوث للبيئة؟ الفائدة الصغيرة هى أن كفاءة السيارة الكهربائيـــة أعلى من كفاءة الســـيارة التى تعمل بالوقود فيكون اســـتهلاكها من الوقـــود الحفرى أقـــل، والفائدة الكبـــيرة هى أن الطلب عـــلى الكهرباء سيزداد وبالتالى يستوجب إنشاء قدرات كهربائية من الطاقـــات المتجددة وهنا تكون الفائدة قد عمّت على الجميع. ومع ذلك فاتخاذ القرار يكون صعباً فى حالة الســـعر المبدئى المرتفع، لذلك تستعمل إســـتراتيجية «التأمـــل الإيجابى وهى ترك النواحى السلبية جانباً مؤقتاً وبدء محاولة جادة لحصر الجوانب الإيجابية فى المنتج المعـــروض للشراء. وبعد كتابة الجوانـــب الإيجابيـــة كلهـــا نتجه إلى الجوانب السلبية ونحصرها مثل حصرنا للإيجابيات، والخطوة الثالثة هى مقارنة الإيجابيات بالسلبيات مقارنة موضوعية غير منحازة، عندها تتضح الصورة بكل جوانبها، وعندها نســـتطيع أن نقول: «هذه الســـيارة أعطتنى الدفعة لأشجّع نشر الطاقات المتجددة التى ستعود علىّ وعلى أبنائى وأبناء عشيرتى وكذلك على كل العالم بالخير».

وكما رأينا من مناقشـــة السيارات الكهربائية، ولا شك أن العالم كله متجه نحو اســـتعمال الطاقـــة الكهربائية فى مختلف نواحى الحياة، وما الهيدروجين الأخضر ســـوى حامل للطاقة ينتج من الكهرباء الخضراء أى التى لا تســـبب انبعاثات ضارة، إذن كلما زاد استهلاك الهيدروجين الأخضر كلما زاد الطلب على الكهرباء النظيفة. ومن البديهى أن هذا الطلب ســـيكون على مدار اليوم وليس متقطعاً تبعاً لسطوع الشمس أو نشاط الريـــاح. وهكذا نصـــل إلى المواصفات الإطارية لكهرباء المستقبل لتتعامل مع فترات الوفرة فى الطاقة الطبيعية وكذلك مع فترات الندرة لهذه الطاقة الطبيعية:

1.اختيـــار المكان الجغـــرافى الذى يضمن وفرة الطاقة المتجددة على مدار السنة واختلاف المواسم.

2.إنتاج الطاقة الكهربائية يجب أن يكون مســـتقلاً عن التقلبات اللحظية والموسمية.

3.ليتحقق ذلـــك يجب عمل تخزين عـــلى مقربة من موقع إنتـــاج الكهرباء يكفى لعبور فترات الندرة.

بصمة الحضارة المصرية فى العالم

4.يجب أن يراعـــى فى التخزين ألا تكون عمليات تحويل الطاقة من صورة إلى أخرى تستنفد قسطاً كبيراً من الطاقة المنتجة بسبب تدنى كفاءة التحويل من صورة طاقية إلى أخرى.

5.بعد جهد الحصول على الكهرباء النظيفة يجـــب المحافظـــة عليها من التطاير بسبب فواقد نقل الكهرباء. أى يجب أن يكون إنتاج الكهرباء قريباً من أماكن الطلب عليها.

مراعاة هذه المواصفـــات الإطارية تشـــير بقوة إلى الحزامين الشمسيين فى الكرة الأرضية عند خطى عرض 20 إلى 30 شمالاً وجنوباً حيث ساعات سطوع الشمس شـــتاء وصيفاً تتراوح بين 10 ساعات و14 ساعة وهو أنسب الأماكن لإنتاج كهربـــاء مضمونة ومأمونة وهى لذلك غير مكلفة لأنهـــا لا تحتاج لنقلها مســـافات طويلة تعرض جـــزءاً منها للفقد.

وميزة الإشـــعاع الشـــمسى فى هذه المواقع أن له عطاء مزدوجاً لأنه يسطع بنوعين أساسيين من الطاقة وهى طاقة الضوء والطاقة الحرارية بعكس سطوع الشـــمس فى الأماكن المزدحمة بالسكان والنشاط الاقتصادى مثل وسط أوروبا حيـــث إن كثرة الســـحب هناك تحجب الإشعاع الحرارى للشـــمس المتمثل فى الأشعة المباشرة التى تسبب الظلال.

وكمـــا نظرنا بحياديـــة إلى الموقف الاقتصادى للسيارات الكهربائية ووجدنا بإستراتيجية «التأمل الإيجابى - بعكس الانطباع المبدئى المتأثر بالســـعر - أن إيجابياتها تفوق ســـلبياتها خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار ارتفاع الأسعار المتوقع فى المســـتقبل للوقود الحفرى سنجد أننا نعيش فوق «بساط من ذهب»، ولا أقول «منجم من ذهب» لأنه منبسط أمامنا فلا نحتاج للحفر ولا للتنقيب لنصل إليه وما علينا إلا أن نشـــمر عن سواعدنا وننهل منه بعد إعداده الإعداد المناسب.

وإذا واصلنا الجهـــود وثابرنا على العمل الجاد والمتقن نستطيع أن نحول أشعة الشمس الحارقة إلى ماء عذب تفوق عذوبته عذوبة مـــاء النيل. وعلى صعيد آخر نســـتطيع أن نحول أشعة الشمس إلى زيت لـــه صفات الزيت المعدنى دون أضراره لأن عملية إنتاجه تحتاج بجانب تركيز أشـــعة الشمس امتصاص بعض غاز ثانى أكســـيد الكربون من الغلاف الجوى لدمجه مع الهيدروجين الأخضر فى عملية معقدة نهايتها ســـائل يسهل نقله وتخزينـــه وعند حرقه فى محركات الطائرات ينتج عنـــه بخار الماء ونفس مقدار ثانى أكسيد الكربون الذى امتصه سابقاً من الجو، أى أنه محايد فى تأثيره على البيئة.

ترجمة هـــذه التطلعـــات إلى واقع ملموس يقودنا إلى مخطط خميسة الذى عرض عـــلى هذه الصفحـــات فى العدد الصادر أول يوليـــو 2019 ونضع هنا صورة له بعد تحديثها. عند تطبيق هذا المخطط سيكون أيضاً بصمة للحضارة المصريـــة فى العالم، وقليـــل من التطلع إلى المســـتقبل والعالم الافتراضى الذى قد يغنينا عن عالمنـــا لأن الصور أمامنا ستكون مجسدة. حسناً... ولكن كل هذا يحتاج كهربـــاء ... أى أن الكهرباء هى الأساس لكل هذه التصورات المستقبلية ... والكهرباء النظيفة سيكون مصدرها الصحراء.

نظرية هانئ النقراشي للمحطات الخمسية في شبكة فرعية مستقلة تماما

الطاقة التي يحتاجها ممر التنمية تنتج من محطات شمسية حرارية بين وادي النيل ومسار الممر تبريدها هوائي لتوفير الماء

تبنى المحطات الشمسية في مجموعات من خمس محطات نمطية، كل منها ٥٠ م.و مدعمة بمحطة غازية واحدة للطوارئ ومرتبطة في شبكة فرعية

المحطات الشمسية التي توجد قرب السواحل يستبدل مكثفها الهوائي بوحدة تحلية فتنتج إحتياج المياه للمدن الساحلية دون إنقاص الناتج الكهربي

NOKRASCHY ENGINEERING
Mechanical Vibrations and Infrasound under Control
Solar Power for Sustainable and Everlasting Energy

مميزات هذا المخطط

- يتوافق مع سرعة التزايد على طلب الكهرباء
- لا حاجة للربط مع الشبكة أي يوفر ٢٥٪ من الفاقد
- المحطات تنشأ قرب موقع الطلب، توفر نقل الكهرباء
- التكلفة الاستثمارية تنخفض مع إنشاء كل محطة جديدة
- بعد تشغيل المحطة السابعة يعادل الوفر السنوي في الوقود قيمة المحطة الثامنة
- الوفر التراكمي إلى سنة ٢٠٥٠ ألف مليار دولار

شراكة «أوكوس» الأمنية المعززة:
الأهداف والأبعاد الإستراتيجية

فى 15 سبتمبر الماضى، أعلنت كل من أستراليا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية عن تشكيل «شراكة أمنية ثلاثية معززة»، أو ما أسمته «Aukus pact» (الأحرف الأولى من أسماء الدول الثلاث) فى منطقة المحيطين الهندى والهادئ، بهدف، ضمن أمور أخرى، تزويد البحرية الأسترالية بغواصات تعمل بالطاقة النووية على مدى العقود القليلة القادمة. وقد قدم الرئيس الأمريكى جو بايدن الاتفاق على أنه «استجابة لحتمية ضمان السلام والاستقرار فى منطقة المحيطين الهندى والهادئ على المدى الطويل».

سفير د. عزت سعد
saad.ezzat@gmail.com

وهناك إجماع بين المراقبين على أن الغرض – غير المعلن – الواضح من هذا التحالف الأمنى الجديد هو موازنة النفوذ الصينى المتصاعد فى المنطقة. وقناعة واشنطن بأن التنافس على النفوذ البحرى مع بكين محصور حالياً فى منطقة جيوإستراتيجية تقع الصين فى قلبها، وهو ما يمنح الأخيرة أفضلية وميزة على الولايات المتحدة، الأمر الذى يستوجب تفعيلاً مكثفاً لشعار «التحول نحو آسيا»، الذى أطلقته إدارة أوباما الأولى عام 2009، خاصة مع ضيق الفجوة فى القوة بين الولايات المتحدة والصين بوتيرة متسارعة.

وفى هذا السياق، ولتحدى صعود الصين، تركز إدارة بايدن على آسيا وتتخذ خطوات لتعزيز القدرة التنافسية الأمريكية الطويلة الأمد فى مواجهة الصين من خلال التركيز على الشركاء والحلفاء. وتكفى الإشارة هنا إلى أنه منذ مارس الماضى وحتى الآن، قام وزير الخارجية أنتونى بلينكن ونائب وزير الخارجية ويندى شيرمان ووزير الدفاع لويد أوستن والمبعوث الرئاسى الأمريكى الخاص المعنى بتغير المناخ جون كيرى، بزيارات متعددة إلى المنطقة، مع توقف فى بنجلاديش والصين ومنغوليا والهند والفلبين وسنغافورة وفيتنام. كما زار تايوان وفد غير رسمى من السيناتور الأمريكى السابق «كريس دود» ونائبى وزير الخارجية السابقين «ريتشارد أرميتاج» و«جيمس شتاينبرج» للاحتفال بالذكرى الثانية والأربعين لقانون العلاقات مع تايوان، الذى صوت له الرئيس بايدن عندما كان عضواً فى مجلس الشيوخ. وقد أضافت زيارة نائب الرئيس كامالا هاريس إلى سنغافورة وفيتنام إلى جهود الإدارة لإعادة التواصل مع الشركاء الرئيسيين فى جنوب شرق آسيا.

وفى آسيا، وسّعت الولايات المتحدة أنشطتها فى المنطقة بصورة كبيرة، ساعية إلى تعزيز مصالحها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية. وتبنى واشنطن سياستها لمواجهة التحديات التى تفرضها الصين من خلال الردع والمشاركة على حد سواء. وفى هذا السياق زادت البحرية الأمريكية من مناوراتها مع شركائها فى المنطقة. والفكرة هنا هى تأكيد أن أمن الولايات المتحدة لا يعتمد فقط على قوتها الخاصة، ولكن أيضاً على قوة حلفائها وشركائها فى جميع أنحاء العالم. وهناك تقديرات على نطاق واسع بأن الميزة التنافسية للولايات المتحدة قد تآكلت مع التحديث السريع للقوة العسكرية الصينية. وتشكل منطقة المحيطين الهندى والهادئ المسرح ذا الأولوية لوزارة الدفاع فى الولايات المتحدة، وهو ما يتضح من اختيار آسيا للرحلة الافتتاحية لوزير الدفاع أوستن وقيام البنتاجون بمراجعة الإستراتيجية الأمريكية تجاه الصين ومضاعفة تمويل مبادرة الردع فى المحيط الهادئ.

والحقيقة أنه بالرغم من التغطية الإعلامية الواسعة النطاق لهذا التحالف الأمنى، إلا أنه لا توجد سوى تفاصيل قليلة حول مضمون وأبعاد هذه الشراكة الثلاثية الجديدة، والتى نظرت إليها فرنسا على أنها بمثابة «طعنة فى الظهر» و«خيانة»، و«خيبة» و«قرار مؤسف»، وذلك تعليقاً على قرار رئيس الوزراء الأسترالى فسخ عقد ما سمى آنذاك بـ«صفقة العصر» الذى أُبرم عام 2016 بين باريس وكانبيرا، والذى بموجبه تقوم شركة الصناعات البحرية "Naval Group" الفرنسية ببناء 12 غواصة تعمل بالدفع التقليدى (وقود الديزل – الكهرباء) بقيمة 56 مليار يورو، وهو أكبر عقد على الإطلاق لصناعة الدفاع الفرنسية.

وقد قرر الجانب الأسترالى التخلى عن صفقته مع باريس لصالح حيازة 8 غواصات أمريكية الصنع تعمل بالطاقة النووية، الأمر الذى كان بمثابة مفاجأة لباريس، التى ذكر مسئولوها أنهم علموا بالأمر عبر الصحافة الأسترالية، وأن كانبيرا لم تخطر باريس به من قبل. بل إنه وفقاً لتقارير موثقة، فقد أعلن عن تحالف «أوكوس» فى نفس اليوم الذى أرسلت فيه وزارة الدفاع الأسترالية إلى باريس رسالة تؤكد عزم أستراليا على مواصلة عقدها مع فرنسا.

وقد صدر بيان مشترك، عن وزارتى الخارجية والدفاع الفرنسيتين، فى اليوم التالى للإعلان عن الصفقة، جاء فيه أن قرار فسخ العقد «مخالف لروح ونصوص التعاون بين فرنسا وأستراليا القائمة على علاقات تتسم بالثقة سياسياً، وعلى تطوير قاعدة صناعية وتكنولوجية عالية المستوى على الصعيد الدفاعى . ويضيف البيان أن الخيار الأمريكى الذى يقود إلى «إبعاد شريك وحليف أوروبى كفرنسا، من شراكة مؤسسية مع أستراليا، فى الوقت الذى نواجه فيه تحديات غير مسبوقة فى المنطقة، يعكس غياب الانسجام، وهو الأمر الذى تسجله فرنسا وتأسف له». وشدد البيان على عزم فرنسا على الاستمرار فى «العمل الطموح» الهادف إلى المحافظة على سيادة كل طرف، مؤكداً على أن باريس «شريك يمكن الوثوق به، ومستمر فى تنفيذ التزاماته فى المستقبل كما كان دائماً».

وخلص البيان إلى أن قرار أستراليا «المؤسف» سيكون من نتائجه «تعزيز ضرورة التوصل إلى الاستقلالية الإستراتيجية

الأوروبية، التى هـــى الخيار الوحيد للدفاع عن مصالحنا وقيمنا فى العالم، بما فى ذلك فى المنطقة المعنية».

من ناحية أخرى، أعلنت مجموعة «ناڤال جـــروب» «Naval Group»، التى كان من المفترض أن تصنع الغواصات أنها «أخذت علماً» بالقرار الأسترالى بتفضيل الحصول على غواصـــات تعمل بالطاقـــة النووية، بالتعاون مع الولايـــات المتحدة وبريطانيا، الأمر الذى «يشكل خيبة كبرى للمجموعة». وأضاف البيان أن المجموعة كانت ســـتوفر لأســـتراليا «غواصة تقليديـــة متفوقة على المســـتوى الإقليمى مع كفاءات استثنائية»، إضافة إلى أن «ناڤال جروب» كانت ستوفر لأستراليا الســـيادة «الصناعية» بفضل نقل التكنولوجيا والمعرفـــة وإيجاد فرص عمل محلية.

وقد أشارت بعض التقارير إلى أن سحب صفقة الغواصات من فرنسا، بجانب تبريره المرتبـــط بالتنافس الأمريكـــي/ الصينى، ينطوى على رسالة ضمنية مفادها أن الدول الأنجلوسكســـونية الثلاث لا تثق فى الحلفاء الأوروبيـــين فيما يتعلـــق بتحجيم الصين ومقاومة نفوذها التجارى المتعاظم.

ومما ضاعف من هذا الشـــعور بالشك فى توجيهـــات الاتحاد الأوروبى، وفرنســـا بصفـــة خاصة كأكبر قوة عســـكرية فيه، هو توجه باريس للقبول ببعض المواءمات السياســـية مع بكين فيما يتعلق بمناطق نفوذ الأولى التقليديـــة فى إفريقيا، فى مقابل إفســـاح المجال لبعض صادرات الصناعات الفرنســـية لمنطقة جنوب شرق آسيا، وذلك بالإضافة إلى قناعة بريطانيا بأن فرنســـا تحاول تنويع مـــا تمتلكه من أوراق ضغط منذ الخروج من الاتحاد الأوروبى، حتى لو اقتضى الأمر إيجاد مساحة تقارب نسبى مع الصين أو روسيا فى ملفات التجارة والطاقة، وهى بمثابة خطوط حمراء بالنســـبة لكل مـــن بريطانيا والولايـــات المتحدة. ويعزز من مصداقية هـــذه الفرضية قيام الرئيس بايدن بالإعلان عـــن صفقة الغواصات قبل يوم واحد من إعـــلان الاتحاد الأوروبى عن إســـتراتيجية طويلة المدى لمنطقة المحيطين الهندى والهادئ. وإزاء رد الفعل الفرنسى، سعت الإدارة الأمريكية لتخفيف حدة الأزمة من خلال بعـــض الخطوات العملية، ومنها دعـــوة الرئيس الفرنسى ماكـــرون لزيارة واشـــنطن والإعلان عن صفقة مشـــتريات عسكرية تعوض جزئياً الخسارة الفرنسية من صفقة الغواصات، كما التقى الرئيسان فى 29 أكتوبـــر 2021 فى روما، على هامش قمة العشريـــن، وذلك فى أول لقاء منذ أزمة الغواصات.

يشارك الرئيس الأمريكى جو بايدن فى مؤتمر صحفى افتراضى حول الأمن القومى فى البيت الأبيض فى واشنطن مع رئيس الوزراء البريطانى بوريس جونسون ورئيس الوزراء الأسترالى سكوت موريسون

ووفقاً للبيان المشـــترك الذى صدر عن رئيسى وزراء أســـتراليا سكوت موريسون والمملكة المتحدة بوريس جونسون والرئيس جو بايدن، فقد اتفقـــت الدول الثلاث على التشاور على مدى الأشـــهر الـ18 القادمة لتحديد «المســـار الأمثل» لتوفير أســـطول من الغواصات التى تعمل بالطاقة النووية (ولكنها مســـلحة تقليدياً) لأســـتراليا على مدى العقود القليلة المقبلة. وشـــدد البيان على أن التعاون بـــين البلدان الثلاثة يمكن أن يشـــمل أيضاً، من بين أمـــور أخرى، «القدرات الســـيبرانية والذكاء الاصطناعى وتكنولوجيـــات الكم والقـــدرات الإضافية تحت ســـطح البحر»، وذلك دون مزيد من التفاصيل حول هذه النقطة.

ويقدر بعض مراكـــز الفكر الأوروبية المرموقة أن ما أشـــار إليه البيان المشـــترك هو بالتأكيد التزامات سياسية طموحة، من المحتمل أن تربط أستراليا والمملكة المتحدة والولايات المتحـــدة فى المجالات التكنولوجية الرئيســـية لأجيال عديدة قادمة، غير أنها ماتزال تتســـم بالغموض النسبى فى هذه المرحلة.

وبالتوازى مـــع ما أعلن حول الصفقة، أعلنت الحكومة الأســـترالية قرارها بشراء أو تطويـــر مجموعة مـــن الصواريخ من الولايات المتحدة، مثل صواريخ «توما هوك» الانســـيابية لتجهيز مدمراتهـــا من طراز «هوبارت» Hobart – class.

وأشـــارت كانبـــيرا إلى أن اقتناء هذه القدرات العســـكرية سيســـمح لها بإدارة الانتقال إلى اقتناء غواصات تعمل بالطاقة النووية فى المســـتقبل، ولذا فإنه من المقدر أن تكون هذه المسألة محورية فى المشاورات المقبلة فيما بين الدول الثلاث.

وارتباطـــاً بما تقـــدم، أعلنت الولايات المتحدة وأستراليا أنهما ستزيدان مناوراتهما العسكرية المشتركة، وأن واشنطن قد تمنح إمكانية أكبر للوصـــول إلى البنية التحتية الأسترالية لتســـهيل عملياتها العسكرية فى المنطقة.

وهكذا يمكن القول بأن ما يســـتهدفه الاتفـــاق الثلاثـــى الجديد هـــو التعاون الصناعى، لا ســـيما فى المجال العســـكرى وهو تطور مهم من الناحية الجيوسياسية. فالتحالـــف يوفر مجموعة أساســـية من الشركاء يمكن للولايـــات المتحدة الاعتماد عليهم فى تنافســـها المتنامى مع الصين فى منطقة المحيطين الهندى والهادئ. وفضلاً عن ذلك فإن الاتفاق من شـــأنه أن يجعل أســـتراليا أكثر اعتماداً على واشـــنطن – ولندن بدرجة أقـــل – فى العقود القادمة، وبالتالى يعتقد البعض أن من شـــأن ذلك تقليص قدرة هـــذه الدولة على المناورة على الساحة الدولية. ومع ذلك يرى هذا البعض أن قبول أســـتراليا تقييد استقلالها الذاتى الإستراتيجى بموجب الصفقة الجديدة، بدلاً من الشراكة مع الصناعة الدفاعية الفرنسية، يرجع إلى أنها ترى أن التهديد الذى تشكله الصين أكبر بكثير مما كان عليه من قبل.

وتأتى مسألة إعادة تقييم التهديد هذه فى أعقاب سلسلة من المواجهات الدبلوماسية بين كانبيرا وبكين على مدى السنوات القليلة الماضية، مثل المقاطعة الصينية للتجارة مع أستراليا، بعد دعوتها إلى إجراء تحقيق دولى فى أصول وباء «كوفيـــد –19». ويبدو أن هذا التوتر المتزايد دفع أستراليا إلى خفض القيمة التى توليها للدفاع عن اســـتقلالها الذاتى بشأن الحاجة إلى ضمان أمنها، وهو هدف تعتقد كانبيرا أنها قادرة على تحقيقه

البحرية الامريكية

بشكل أفضل من خلال إقامة علاقات صناعية وتكنولوجية أوثق مع الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وبالتالى فالتكامل الدفاعى الصناعى والتكنولوجى مع أمريكا الذى يوفره الاتفاق، هو خيار جيد لأستراليا رغم ما قد يفرضه من قيود سياسية عليها فى المدى الطويل.

ومن الناحية الإستراتيجية، فإن الغواصات الهجومية التى تعمل بالطاقة النووية سوف تمثل قدرة بالغة الأهمية فى ردع الصين أو حتى مواجهتها فى صراع بحرى شديد فى منطقة المحيطين الهندى والهادىء.

ووفقاً لتقديرات عديدة، فإن التطوير المشترك لمثل هذه الغواصات يثر قضايا مالية وتكنولوجية وبشرية معقدة، بالإضافة إلى حقيقة أن أولى الغواصات المتعاقد عليها لن تتوافر إلا بحلول عام 2040، ما لم يتم تأجيرها من القوات البحرية الأمريكية أو البريطانية فى غضون ذلك.

وفى ملاحظاته حول الاتفاق، خلال المؤتمر الصحفى الذى جمعه برئيس وزراء أستراليا والمملكة المتحدة فى 12 سبتمبر 2021، ذكر الرئيس بايدن أن اتفاق «أوكوس»: «خطوة ستستكمل الشراكات القائمة الأخرى مثل أستراليا ونيوزيلاند والولايات المتحدة الأمريكية (والمعروفة اختصاراً بـ(ANZUS) ورابطة دول جنوب شرق آسيا (ASEAN) والدول الأعضاء فى ترتيبات «العيون الخمس» (الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأستراليا وكندا ونيوزيلاند) فى منطقة المحيطين الهندى والهادىء».

ويقدر بعض الكتاب الأوروبيين، أنه بالنظر إلى نطاق مشروع أوكوس، أو ما أعلن عنه حتى الآن، لا يمكن النظر إليه على أنه ثورة أو خروج على التحالفات التقليدية القائمة فى ضوء اعتبارين رئيسيين:

1 – أن «أوكوس» لا يعد «تحالفاً» جديداً، بالمعنى الدقيق للكلمة. وفى حين استخدام العديد من المعلقين والصحفيين هذا المصطلح لوصف الاتفاق، إلا أنه استخدم فى الأساس من باب «الاستسهال اللغوى «a linguistic convenience». فالاتفاق لا ينطوى على التزام بالدفاع الجماعى، على النحو الوارد، على سبيل المثال، فى المادة الخامسة من معاهدة حلف شمال الأطلنطى. وفى هذا الصدد، فإن سؤال تيريزا مای لبوريس جونسون فى مجلس العموم البريطانى حول الآثار المحتملة لأوكوس فى حال غزو تايوان من قبل الصين هو سؤال وثيق الصلة. وفى التقدير، فإن اتفاق «أوكوس» لا يقصد به الاستجابة مباشرة لهذا النوع من التحدي/ بغض النظر عن حقيقة أن تايوان ليست طرفاً فى الاتفاق ابتداء.

2 – أما الاعتبار الثانى فهو أن هذه الشراكة الأمنية المعززة بين أستراليا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة لا تغير بشكل جوهرى من التجمعات الجيوسياسية الحالية. وبادئ ذى بدء، فإن الولايات المتحدة وأستراليا ملتزمتان رسمياً بالفعل ببند يتعلق بالدفاع الجماعى فى اتفاق ثلاثى مع نيوزيلاند (ANZUS)، فى حين أن واشنطن ولندن حليفتان راسختان داخل منظومة حلف شمال الأطلنطى. وفضلاً عن ذلك، وإلى جانب التحالفات الرسمية، يعمل أعضاء «أوكوس» بالفعل معاً، وبشكل وثيق بموجب عدد من الاتفاقات الأمنية والدفاعية، لعل أكثرها شهرة ما يسمى باتفاق «العيون الخمس» السابق الإشارة إليه، حول التعاون فى مجال الاستخبارات. وأخيراً، وفى إطار أوسع، تشترك كانبيرا ولندن وواشنطن فى عدد من السمات، كونها «ديمقراطيات بحرية»، وفقاً لما أشار إليه البيان المشترك لشراكة «أوكوس»، وتتشارك فى التضحيات والجهود التى بذلتها خلال الحربين العالميتين والحرب الباردة.

ويشار إلى هذه القواسم السياسية والثقافية والتاريخية المشتركة كعوامل تقارب لوجهات نظر هذه البلدان على الساحة الدولية، فضلاً عن الثقة المتبادلة فيما بينها.

وعلى حين أعرب المتحدث باسم الخارجية الصينية عن قلقه إزاء «الاتفاق»، مؤكداً: «أنه سيقوض بشكل خطير السلام والاستقرار الإقليميين، وسيفاقم سباق التسلح، ويضعف الجهود الدولية لمنع الانتشار النووى ، تشير تقديرات أمريكية وبريطانية وأسترالية إلى أن الاتفاق ينطوى على تغيير فى قواعد اللعبة، من حيث إن قرار التخلى عن عقد الغواصات الفرنسى، والحصول بدلاً من ذلك على تكنولوجيا أمريكية وبريطانية لبناء ثمانى غواصات تعمل بالطاقة النووية، هو قرار أملته حصراً عوامل إستراتيجية، وبصفة خاصة بيئة أمنية سريعة التدهور فى منطقة المحيطين الهندى والهادئ. وقد أوضحت الدول الثلاث أن الاتفاق أكبر بكثير من مجرد صفقة شراء غواصات، فهو تحالف عسكرى كامل ودائم، سيشمل أيضاً التنسيق الدبلوماسى، والأمن السيبرانى والذكاء الاصطناعى، وتطور الحوكمة السحابية والتدريب والمناورات المشتركة والتخطيط المشترك وتقاسم القواعد.

والخلاصة هنا أن شراكة «أوكوس» تعد بمثابة مشروع لتعميق خطوط الجغرافيا السياسية القائمة من خلال تعزيز التعاون فى مجال الصناعات الدفاعية بين الدول الثلاث، التى هى بالفعل قريبة جداً. ومع ذلك ففى حين أن الدول الثلاث مدركة تماماً لحقيقة أن هذه الشراكة سوف تنتج أثرها فقط على المدى الطويل، إلا أنها لم تقدر تماماً أبعاد الأزمة الحادة التى سببها ميلاد اتفاق «أوكوس» مع أقرب حلفائهم وشركائهم وهو فرنسا، ومن ورائها الاتحاد الأوروبى.

ففى تقدير الكثيرين، أحدثت الصفقة ضرراً دبلوماسياً لا يستهان به، بغض النظر عن ما إذا كان متعمداً أم لا، وكانت لها تداعيات أوسع نطاقاً لأن فرنسا سعت إلى الحصول على دعم بقية الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى، أى «إضفاء الطابع الأوروبى على أزمة الغواصات. ومنذ البداية، سعت السلطات الفرنسية إلى وضع النزاع مع أستراليا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة فى إطار أوروبى. وكما سبقت الإشارة، أشار البيان الأول الصادر عن وزارتى الخارجية والدفاع الفرنسيتين، رداً على الاتفاق، أن هذا الأخير «يزيد فقط من الحاجة إلى إثارة قضية الحكم الذاتى الإستراتيجى الأوروبى بصوت عال وواضح».

وكان من الأسهل على فرنسا أن تربط نفسها بالاتحاد الأوروبى منذ البداية، لأن الأخير وجد نفسه ينشر إستراتيجيته الخاصة لمنطقة المحيطين الهندى والهادىء فى اليوم التالى للإعلان المفاجئ وغير المنسق عن الشراكة الثلاثية الجديدة بين كانبيرا ولندن وواشنطن.

نتائج الانتخابات العراقية والتطلع لاجتياز الأزمات

لقد أجريت الانتخابات العراقية المبكرة يوم 10 أكتوبر 2021 وذلك استجابة لأحد مطالب الحشود الشعبية العارمة التى اندلعت بصورة غير مسبوقة فى أكتوبر 2019 احتجاجاً على نتائج انتخابات 2018 وما شابها من تجاوزات وتزوير والمطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية والاقتصادية والاجتماعية ومحاربة الفساد وتحقيق العدالة فى التحقيقات مع من قتلوا المتظاهرين السلميين، وكان من المفترض أن تجرى هذه الانتخابات المبكرة فى يونيو 2021.

سفير رخا أحمد حسن
rakhahassan@yahoo.com

وقد حرصت حكومة مصطفى الكاظمى وهو لا ينتمى لأى من الكتل أو الأحزاب السياسية على الإعداد الجيد لهذه الانتخابات لضمان تحقيق أكبر قدر ممكن من الحرية والنزاهة وفيها للاعتراضات ودحضاً لدعاوى مقاطعة الانتخابات من جانب كل من يخشون أن تغير النتائج التى تسفر عنها من مراكزهم التى حصلوا عليها فى انتخابات 2018 ومن ثم تم إصدار قانون جديد للانتخابات يعتمد على الدوائر الفردية وزيادة عددها، وقد جاء فى نص المادة 45 من هذا القانون انه «لا يحق لأى نائب أو كتلة أو قائمة أو حزب مسجلة ضمن قائمة مفتوحة فائزة فى الانتخابات الانتقال إلى ائتلاف مع حزب أو كتلة أو قائمة أخرى» وهذا يجعل حق تولى تشكيل الحكومة للكتلة الفائزة بأكبر عدد من المقاعد فى الانتخابات ولكن بعض الكتل الشيعية الرئيسية تتمسك بالمادة 76 من الدستور العراقى بأن الكتلة التى تحصل على أكبر عدد من مقاعد البرلمان فى الانتخابات أو الكتلة التى تتشكل من عدة كتل وتعلن داخل البرلمان فى الجلسة الأولى فإذا كان عدد أعضائها فى البرلمان أكثر من الكتلة الفائزة فى الانتخابات بأكبر عدد من القاعدة، فإن الكتلة الأكبر هى التى تكلف بتشكيل الحكومة وهذا قد يخلق خلافات حول تطبيق أيهما عند عقد الجلسة الأولى للبرلمان.

وتنافس فى هذه الانتخابات 3240 مرشحا لشغل 329 مقعدا، إجمالى مقاعد البرلمان ومن بين المرشحين 928 امرأة حيث ان قانون الانتخاب يتطلب ترشيح 25٪ على الأقل من النساء لضمان حصتهم فى البرلمان ومن بين المرشحين نحو 789 مرشحا مستقبلا ويتوزع المرشحون على 21 تحالفا و109 أحزاب وتم التصويت فى 83 دائرة انتخابية وبلغ عدد مراكز الاقتراع 8954 مركزا.

وقد بلغ عدد المراقبين المحليين للانتخابات نحو 80 ألف مراقب و715 مراقبا دوليا و17 مراقبا عربيا و300 اعلامى أجنبى و250 ألف عنصر أمنى انتشروا فى الـ 18 محافظة وضمنها اقليم كردستان الشمالى وذلك لتوفير كل ضمانات الأمن للمرشحين والناخبين ولجان الانتخاب ولأول مرة لم يفرض حظر تجوال أثناء يوم الانتخابات، كما لم تحدث أية أعمال عنف أو اعتداء على لجان الاقتراع أو على المرشحين أو الناخبين وجريت عمليات الاقتراع طبيعية واستخدمت الآلات الحديثة للتصويت ضماناً لسرعة فرز الأصوات وتم تدارك بعض الأعطال الفنية فى بعض اللجان سواء لعطل فنى أو أخطاء بشرية فى الاستخدام

وهذا ما نوه به المراقبون الدوليون خاصة رئيسة اللجنة الأوروبية والتى أوضحت ان هذه الأعطال التى تم تداركها وان بعض التجاوزات البسيطة فى بعض اللجان ليس لها تأثير على النتائج سواء بزيادة أو نقصان من مقعد فى البرلمان لطرف أو لآخر وانه لو كانت هناك خروقات كبيرة لعلموا بها وأشارت إلى أن المخاطر كانت كبيرة ولكن الحكومة اتخذت كافة الإجراءات لتأمين الانتخابات.

وأعلنت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات النتائج الأولية وأوضحت ان باب الطعن عليها مفتوح خلال مدة محددة لمن يريد الطعن، ثم يبت فى الطعون وتحال بعدها الهيئة القضائية لاعتمادها، ووفقاً لما أعلنته المفوضية فقد جاء فى المرتبة الأولى التيار الصدرى «سائرون» بزعامة مقتدى الصدر حيث حصل على 73 مقعدا وكان له فى البرلمان السابق 54 مقعدا وحصلت كتلة تقدم برئاسة محمد الحلبوسى رئيس البرلمان السابق على 38 مقعدا أى فى المرتبة الثانية وحصلت كتلة دولة القانون بزعامة نورى المالكى رئيس الوزراء الأسبق على 37 مقعدا لتكون فى المرتبة الثالثة، بينما لم يحصل تحالف الفتح برئاسة هادى العامرى إلا على 14 مقعدا فقط وكان لها فى البرلمان السابق 45 مقعدا وهذه الكتلة ينتمى معظمها إلى الحشد الشعبى والميليشيات المسلحة وتعرف بميلها لإيران وثمة اتجاه لأن تكون «حركة امتداد» المنبثقة عن حراك أكتوبر 2019 والتى حصلت على 9 مقاعد وحركة «الجيل الجديد» الكردية وفازت بتسعة مقاعد، كتلة معارضة مع بعض المستقلين فى البرلمان وإذا نجحوا فى ذلك ستكون أول جبهة معارضة داخل البرلمان منذ 2005 وقد يصل عدد مقاعدها ما بين 20 – 25 مقعدا وقد أعلنت مفوضية الانتخابات ان نسبة المشاركين فى الادلاء بأصواتهم نحو 43٪ من إجمالى عدد الناخبين المقيدين فى أحدث سجلات للانتخابات وهو 22 مليون ناخب.

وقد رحب التيار الصدرى «سائرون» بنتائج الانتخابات وأبدى عدم الطعن عليها لحصوله على أكبر عدد من المقاعد، بينما نظم الخاسرون فى الانتخابات وفى مقدمتهم كتلة الفتح، مظاهرات واعتصامات مستمرة أمام بوابات المنطقة الخضراء رافضين ما أعلن من نتائج متهمين المفوضية العليا المستقلة للانتخابات بالمشاركة فى عملية تزوير تصالح ما أسموه التيار الموالى للمصالح الأمريكية وطالبوا بتقديم أعضاء المفوضية أى المحاكمة ومناشدة القضاء الأعلى بتصحيح نتائج الانتخابات أو إلغائها وإعادة إجرائها من جديد، وقد لوحت بعض الشخصيات باللجوء إلى القوة ما لم يستجاب لمطالبهم ولكن نورى المالكى زعيم كتلة دولة القانون والمتضامن مع المتظاهرين رغم فوز كتلته بالمركز الثالث نوه إلى أهمية تسوية أية مسائل وفقاً للقانون وأبدى رغبة فى التفاوض مع كل الكتل والأحزاب الفائزة ودعاهم إلى لقاء فى بيته ما عدا التيار الصدرى الذى يرى فيه انه أكبر خصومة لما بينهما من خلافات سواء فى العلاقات مع ايران أو الولايات المتحدة ويرى بعض الخبراء العراقيين ان واشنطون لا ترحب بأن يتولى التيار الصدرى تشكيل الحكومة الجديدة نظراً لأن مقتدى الصدر لم يسبق له ولا القيادات فى تياره الالتقاء بأى مسئول أمريكى بما فيهم السفير الأمريكى فى بغداد وان كان مقتدى الصدر عقب تحقيق تياره هذا الفوز الكبير أبدى استعدادا للتعامل مع الولايات المتحدة ولكنه وضع عدة شروط لذلك منها التعامل بالمثل بين البلدين وإجراء حوار جاد بشأن بقاء القوات الأمريكية وتدخلاتها فى العراق وعدم التدخل فى الشأن العراقى الداخلى وابعاد العراق عن صراعات أمريكا الإقليمية واحترام استقلالية القرار العراقى والاستعداد للتعامل الاقتصادى مع واشنطن إذا تحققت الشروط السابقة وأعلن انه لن يتولى رئاسة الحكومة أحد من عائلة الصدر.

ويرى المتابعون للشأن العراقى ان ثمة عدة أسباب وراء التراجع الكبير فى عدد المقاعد لكتلة الفتح المنتمية للحشد الشعبى والموالية لإيران من بين هذه الأسباب استخدامهم السلاح والترهيب وما نسب إليهم من عمليات قتل لأعداد من الحراك الشعبى العراقى فى أكتوبر 2019 وما بعدها ورفضتهم للحشد الشعبى حيث رأوا فيه اضعافا لنفوذهم، كما شعر مؤيديهم بخيبة أمل فى عدم قدرتهم

على تجاوز الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية واعتبارهم من بين أسبابها لغياب الخطط للتغلب عليها فى بلد غنى بالنفط وتردى الخدمات العامة مع فساد مزمن بعد عامين من الانتفاضة الشعبية ومطالبها واعتماد الحشد الشعبى على السلاح وقربه من ايران مما أضر إلى حد كبير بشعبيته وظهور فصائل الحشد الشعبى فى أكثر من موقف بأنها فوق الدولة وهذا غير مقبول حتى من جمهورها نفسه وإقامة معظم قياداتهم فى المنطقة الخضراء وابتعادهم عن عامة الشعب ومطالبهم واتهامات من داخل الحشد الشعبى نفسه بسوء إدارة الحملة الاعلامية وطريقة توزيع المرشحين التابعة لهم فى الدوائر المختلفة، هذا إلى جانب غياب التجانس داخل تحالف الفتح ومحاولة كل حزب داخله فرض مرشحة فى منطقة واحدة.

ويلاحظ ان التيارات السنية والكردية تقبلت النتائج التى أعلنتها مفوضية الانتخابية وبدأت منذ اللحظة الأولى فى ترتيب أوراقها فى اطار الاستعداد للدخول فى تشكيل الحكومة الجديدة وإدراكهم انه من الضرورى التنسيق مع الجبهة الشيعية المنقسمة على نفسها والصراع بين مقتدى الصدر ونورى المالكى والذى يرون انه يتعين أن يصل إلى توافق اما بتعاونهما أو باستبعاد أحدهما للآخر وان هذا ما يبدو ان المالكى كان يعمل عليه عندما لم يدعو التيار الصدرى إلى الاجتماع مع كل الفائزين فى منزله.

وبالنسبة للأكراد فإلى جانب الحزبين الكبيرين وهما الحزب الديمقراطى الكردستانى والاتحاد الكردى ظهر حزب «الجيل الجديد» الذى أعلن انه لن يسعى للمشاركة فى الحكومة الجديدة وسيكون فى المعارضة وقد أوضح هوشيال زيبارى وزير الخارجية السابق وأحد المنسقين الرئيسيين لمفاوضات الأكراد مع الحكومة المركزية فى بغداد ان الأكراد سيتجهون إلى بغداد بموقف موحد ولهم مطالب معروفة ولم تنفذ منها طبيعة المشاركة فى الحكم والمناطق المتنازع عليها ونصيبهم من البترول والغاز وغيرها من المسائل العالقة بين الاقليم والمركز.

وتجدر الإشارة إلى أن الأكراد كان لهم مرشحون فى عدة دوائر فى محافظات خارج اقليم كردستان، كما انهم يتمسكون بالاحتفاظ بمنصب رئيس الجمهورية أحد الرئاسات الثلاث إلى جانب رئاسة الحكومة المخصصة للشيعة وبرئاسة البرلمان للسنة، ويرى كثير من السياسيين العراقيين من تيارات مختلفة أهمية احتفاظ الأكراد بمنصب رئيس الجمهورية لربط بقائهم بالدولة ووحدة العراق.

وقد حصلت المرأة العراقية على نسبة مقاعد تزيد على 25٪ وهى الحصة التى أقرها لها الدستور حيث فازت 97 سيدة فى الانتخابات وفوز 35 مرشحاً مستقلا، ويلاحظ ان المرأة حصلت على 14 مقعدا زيادة عن الحصة المقررة لها وذلك بقوتهن فى الدوائر التى رشحن فيها وحصل الحزب الديمقراطى الكردستانى بزعامة مسعود برزانى على 33 مقعدا وحصل تحالف كردستان ويضم الاتحاد الوطنى الكردستانى وقوى كردية أخرى على 16 مقعدا وحصل تحالف عزم على 12 مقعدا واشراقة كانون على 6 مقاعد.

ويرى أحد قيادات التيار الشيعى المعتدل وهو من تيار الحكمة ان الانتخابات كانت وسيلة لخروج العراق من أزمة سياسية عاشها خلال مرحلة سابقة وانه لابد أن تسهم نتائجها فى تحقيق تطلعات الشعب العراقى ومطالبه بالخدمات وفرص العمل وحفظ أمن الدولة وسيادتها وأشار إلى أن تيار الحكمة قام ومازال يقوم بدور فى تقريب وجهات النظر بين الفرقاء اعتمادا على ماله من علاقات طيبة مع جميع الكتل السياسية.

وقد اتخذ مجلس الأمن للأمم المتحدة خطوة ربما تكون قليلة الحدوث وذلك بأن أصدر بيانا استنادا إلى تقارير المراقبين الدوليين للانتخابات العراقية حيث أعلن ان المجلس يؤيد الانتخابات العراقية وما أسفرت عنه من نتائج وأشاد بها وما تم اتخاذه من إجراءات فنية وإدارية وأمنية لضمان حريتها ونزاهتها وتأمينها، ولا شك ان تأييد مجلس الأمن للانتخابات العراقية ونتائجها يضعف موقف القوى الرافضة لنتائجها وتوجيه الاتهامات بتزويرها ويبطل دعوتهم للعنف إذا لم تتحقق مطالبهم.

وأسفر فحص المفوضية العليا المستقلة للانتخابات للطعون على النتائج إلى أن نحو 95٪ من هذه الطعون غير ذات موضوع لأنها لم تحدد لا لجاناً ولا وقائع بعينها تدل على حدوث تدخل فى نتائج الانتخابات ومن ثم ردت جميعها، أما باقى الطعون فمن غير المتوقع أن تغير كثيرا من نتائج الانتخابات أو من ترتيب الكتل والأحزاب التى حققت مراكز متقدمة.

وواضح ان رئيس الوزراء الأسبق نورى المالكى يتحرك بنشاط على عدة جبهات على أمل أن يشكل تكتلاً مع تكتل دولة القانون الذى يرأسه ليكلف بتشكيل الحكومة الجديدة وإشراك الأطراف الأخرى فى مناصب وزارية ترضية لها ولكن من ناحية أخرى تتجه الأنظار إلى إعادة تكليف مصطفى الكاظمى بتشكيل الحكومة الجديدة باعتباره مستقلا وبذلك تحل مشكلة من يتولى رئاسة الحكومة من الكتل السياسية على ضوء ان التيار الصدرى الفائز بأكبر عدد من المقاعد ليس على وفاق لا مع الولايات المتحدة ولا مع ايران ويتهمها دائماً بالتدخل فى الشئون الداخلية للعراق، كما أن مقتدى الصدر لطالما امتدح مصطفى الكاظمى ومن ثم لن يكون لديه اعتراض عليه إذا ما تم توافق على توليه رئاسة الحكومة الجديدة، خاصة ان الكاظمى خلال الفترة القصيرة التى تولى خلالها رئاسة الحكومة الانتقالية أنجز الكثير سواء بإجراء الانتخابات المبكرة وتوفير كافة الضمانات حتى تكون حرة ونزيهة وكذلك ضبط الحركة على الحدود العراقية مع ايران والحد بدرجة كبيرة من عمليات تهريب السلع وغيرها وتنظيم دخول المسئولين الايرانيين إلى العراق بعد ان كانت الحدود مفتوحة لهم وتحسين علاقات العراق مع دول الجوار خاصة الدول العربية وقطع خطوات مهمة على طريق عودة العراق إلى الحاضنة العربية لتحقيق توازن مع الوجود الايرانى القوى فى العراق.

وقد أسفرت هذه الانتخابات عن الحد من النفوذ السياسى لقوات الحشد الشعبى المسلحة والموالية لإيران ورغم ما يحشدونه من مظاهرات واعتصامات أمام بوابات المنطقة الخضراء والتهديد باقتحامها وصولاً إلى مقر المفوضية العليا المستقلة للانتخابات إذا لم تستجب لمطالبهم وتعدل نتائج الانتخابات، بالرغم من ذلك ومن تهديدهم باللجوء إلى القوة إذا لزم الأمر، فإن الاتجاه العام الغالب داخل العراق ومن كل الكتل والأحزاب السياسية والاتجاه الاقليمى والدولى هو عدم اللجوء إلى العنف وأن يكون أى اعتراض وهو حق للجميع وفقاً للقانون وبوسائل سلمية وعدم اتاحة الفرصة لأية عناصر تسعى إلى تفجير الموقف والعودة إلى العنف واستخدام السلاح لأن ذلك سيفتح أبواب جهنم على الجميع ويلاحظ ان ايران تلتزم موقفا محايدا حتى الآن مما يجرى فى العراق ولم تبد أية اعتراضات على الانتخابات العراقية ونتائجها وربما يكون وراء ذلك مساعى تحسين العلاقات بين طهران ودول الخليج العربية ومفاوضات عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووى مع ايران وما يجرى من تطورات فى سوريا ولبنان واليمن وارتباط جزء كبير منها بإيران.

إن الأوضاع فى العراق عقب إعلان نتائج الانتخابات المبكرة تموج بالحركة الدءوبة على كافة الجبهات ما بين رفض الخاسرين لنتائجها وممارستهم أقصى الضغوط للحصول على بعض المناصب الحكومية ترضية لهم وما بين ترحيب الفائزين والتنافس فيما بينهم على الرئاسات الثلاث، رئاسة الحكومة وهى من نصيب الشيعة ولكن لأى كتلة أو تيار منهم ورئاسة الجمهورية وقد جرى العُرف أن تكون للأكراد ولكن ثمة حوار بين الحزبين الكرديين الرئيسيين لتداولها بينهم وثمة حوار آخر من جانب السنة أن يرأس أحد قيادتهم الجمهورية ومرشح الحلبوسى وآخرين وفى هذه الحالة هل يتولى الأكراد رئاسة البرلمان أم يبقى الوضع على ما هو عليه ببقاء رئاسة الجمهورية للأكراد ورئاسة البرلمان للسُنة.

وفى كل الأحوال فإن العراق أمامه تحديات كبيرة قد يكون أقلها وأيسرها الاتفاق على تشكيل السلطات الثلاث حالياً ثم الانتقال إلى المهام الكبيرة سواء وضع كل الأسلحة تحت سيطرة الدولة وهو مطلب أساسى من أجل تحقيق الاستقرار والإصلاح الاقتصادى والاجتماعى ومحاربة الفساد والمهمة الكبرى وهى إعادة الإعمار، هذا إلى جانب الاستمرار قدر الإمكان فى العمل على ابعاد العراق عن الصراعات الإقليمية وابعاده عن أن يكون ميدانا لتصفية الحسابات بين قوى خارجية اقليمية ودولية.

بزوغ فجر مصر الحديثة (1)

وجدتنى أســـترجع ما مَرَّ بنا، أمس وقبل الأمس، وما نرنـــو إليه خلاصًا مما صرنا عليه، وأملاً فى مســـتقبل يعيد سفينة الوطن إلى مســـارٍ صحيح، وجدتنى أعيد قراءة نهضة مصر الحديثة التى نهض عليهـــا - من قرنين - حاكم من أصل غير مصرى، هـــو الألبانى التركى محمد على باعث مصر الحديثة، وشـــيخ معمم هو رفاعة الطهطاوى، أعطى من جلاء البصيرة ومن الهمة المحمودة، ما استوعب به ما أتيح له الإطلال عليه فى باريس، وطفق به وبغيره مما حباه الله به، يقود تيارًا تنويريًّا إصلاحيًّا يضع به مصر فى قلب العصر الذى تخلفت طويلاً عنه!

رجائى عطية
rattia2@hotmail.com

من حق الدكتور محمد كامل ضاهر، الكاتب والمفكر والسفير اللبنانى السابق، وصاحب العطاء العريض، أن أســـجل ابتداءً أن كتابه عـــن صراع التيارات فى الفكر العربـــى الحديث والمعاصر، كان المحرك الذى شدنى وأمدنى بمعين كدنا ننساه عن هذا الإنجاز الفذ الذى حققه محمد على ما بين ســـنة 1805 وســـنة 1849، ولبـــاه فيه، وســـاعد عليه، عن إيمان وإخلاص، وجدارة واســـتحقاق، رفاعة الطهطاوى، الشـــيخ المعمم الذى لم ينســـلخ من دينه، ولكنه فهم روحه، وأطل على الحضـــارة القائمة فى العالم من حوله، فســـخر حياته لشـــد مصر والمصريين إليها، ومنها إلى العالم العربى الذى كانت مصر على الـــدوام فى القلب منه، وصاحبة التأثير العريض فيه.

إصلاح القطاع الزراعى

كان طموح محمد على تنفيذ مشروع ســـياسى ضخم، مركزه مصر، فى إطار أقطار عربية لهـــا خصائصها اللغوية والتاريخية والثقافية، وذات الشخصية المتميزة عـــن العثمانيـــين رغم وحدة الديانة، ووجد محمد على حافزه ورؤاه، فيما ألفى عليه تنظيـــم جيش نابليون والبعثة العلميـــة التى رافقته فى حملته على مصر، فبدأ هذا الحاكم - غير المصرى الأصل - بإصلاح القطاع الزراعى، فألغى نظام الالتزام صاحب الســـمعة السيئة، والآثار الأسوأ، والإقطاع المملوكى بعد أن خلص مصر من وطـــأة المماليك، ووزع الأرض على الفلاحين، وعين مفتشـــين لحثهم على زراعتها وعدم إهمالها، مبديًا أننا ندين برفاهيتنا للفلاح.

وجه محمـــد على عنايـــة خاصة بمحاصيل معينة، كالقطن والأرز والنيلة وبعض المحاصيل الأخـــرى، ملتفتًا إلى صلاحيـــة بعضها للتصديـــر، وأدخل نوعًا جديدًا من القطن اســـتنبته الخبير الفرنسى جوميل «Jumel»، والذى نال شهرة واسعة فى أسواق القطن العالمية، كما نفذ بمساعدة أتباع «سان سيمون» الفرنســـيين، برامـــج واســـعة لأعمال الرى الدائـــم، كان أهمها بناء «القناطر الخيرية» على فرعى دمياط ورشيد بنهر النيل، مما أدى إلى زيادة مساحة الأراضى المزروعة من مليونى فدان سنة 1821، إلى 3.1 مليون فدان عام 1833، وخلال الأعوام من 1809 حتـــى 1815، ملَّك الدولة أراضى الأوقاف (الرزق)، وتكفلت الدولة بصيانة المساجد ومرتبات رجال الدين. كما اعتنى هذا الحاكم الرشـــيد، بوضع الإنتاج الزراعـــى تحت إشراف الدولة كغيره مـــن القطاعات الإنتاجية الأخرى، فكانت الحكومة تشـــترى ثم تبيـــع المحاصيل، وللتنســـيق وضمان عدم إرهـــاق الأراضى بالمزروعات التى ترهقها، ولتنظيم توفير المياه للمحاصيل - كالأرز - التى تحتـــاج إلى رى وفير، عنيت الحكومة بأن تحدد للفلاحين - كل عام - مساحة ونوعية ما سوف يزرعونه من الأراضى، وما ســـوف يبيعونه منها للحكومة.

إنشاء جيش وطنى حديث

لا شـــك أن التحـــولات الزراعيـــة العميقة، كان لها مردود اقتصادى وفير، على الفـــلاح، وعلى الدولـــة، ومهد ذلك الطريق لإنشاء جيش وطنى حديث، بدأ محمد على نواته الأولى بعســـكريين من الألبان والأتراك والجراكســـة والمماليك، ثم شرع فى تجنيـــد الفلاحين المصريين بعد الانتهاء - سنة 1818 - من الحملة ضد الوهابيين، وبفضل هؤلاء الفلاحين، حقق محمد على ونجله إبراهيم باشـــا، انتصارات باهرة فى سوريا.

بدأ تدريب هـــذا الجيش الوطنى، بضباط فرنسيين وإيطاليين وبروسيين وإســـبان، ولعب الضابـــط الفرنسى جوزيف سيف، الذى تسمى بعد إسلامه بلقب «سليمان باشا الفرنساوى»، وكان تمثاله يحتـــل - عرفانًا بفضله - ميدان طلعت حرب الحالى، فقد أدى هذا الرجل الذى أســـلم دورًا بارزًا فى إنشاء جيش مصر الوطنى. وأنشأ محمد على المدارس الحربية المتخصصة لإعـــداد وتخريج الكوادر اللازمة لأسلحة الجيش المختلفة، كمدرسة المشـــاة، ومدرســـة الخيالة (المدرعات فيما بعد)، ومدرسة المدفعية، والمدرسة العسكرية العليا والتى كانت برامجها مطابقة لبرامج مدرسة «سان سير» الفرنسية الشهيرة، وفى عام 1825 أنشـــئت أكاديميـــة الأركان العامة، ثم مدرسة الموسيقى العســـكرية فى العام التالى، ثم مدرسة الهندسة عام 1834.

وكان قد اتســـع الجيش الوطنى فى عهد محمد على، اتساعًا كبيرًا بلغ تعداده فى ثلاثينيات القرن التاســـع عشر 180 ألف جنـــدى نظامى، فضلاً عن وحدات غير نظاميـــة بلغ تعدادها نحو 40 ألف شخص. واســـتكمالاً لهذه الطموحات لجيش مصر الوطنـــى، قرر محمد على إنشاء أسطول بحرى جديد بعد تحطم الأســـطول القديم فى معركة «نافارين» البحرية، التى دارت ســـنة 1827 بين الأسطولين المصرى والتركى من ناحية، وأســـاطيل إنجلترا وفرنسا وروسيا من ناحية أخرى، ودارت المعركة أمام ساحل نافارين.

اقتضى إنشاء الأسطول البحرى المصرى، تشييد ترسانة الإسكندرية لبناء السفن، وهيأ محمد على لها الكوادر الوطنية من العمال المهرة لتحل محل العمال الأجانب الذين عملوا فيها فى بادئ الأمر، وبلغ عدد العمال المصريين حوالى ثمانية آلاف عامل بهروا العالم بأعمالهم فى بناء السفن، فى الوقت الذى استحدث فيه محمد على المدرسة البحرية العسكرية لإعداد كوادر القيادات الوطنية للأسطول البحرى.

على الصعيد الاقتصادى

وعلى الصعيد الاقتصادى، حاول محمد على القيام بثورة صناعية إلى جانب الجيش الوطنى، فشيّد العديد من المصانع والمعامل لسد حاجة الجيش من العتاد والمؤن، كمصنع صب الحديد والمعادن، والمعامل الثلاثة لصناعة الأسلحة على طراز المصانع الفرنسية، ومصنعًا للبارود، هذا إلى مصانع الأقمشة وفتل الحبال، ومصانع النسيج والطرابيش والزجاج والدباغة والورق والمواد الكيمائية، والسكر ومنتجات الألبان.

استوعبت هذه المصانع عمالة بلغت نحو 50 ألف عامل، ومع أن العمل استلزم الإعلان فى مالطة فى إبريل 1814 عن طلب عمالة أجنبية من كافة التخصصات للعمل فى مصر، إلاَّ أنه كان فى مخطط محمد على الاستغناء عن الصناعات الأجنبية، ثم منافستها والحلول محلها فى أسواق الشرق الأدنى، وقد كان هذا النشاط العريض، مصدرًا لموقف عدائى أقدمت عليه القوى الاستعمارية تحسبًا لمخاطر الصناعة المصرية مستقبلاً على التجارة الأوروبية.

ومع أن محمد على، هذا الحاكم غير المصرى الأصل، كان أميًّا تمامًا، فإن اللافت أنه فى مشروعه الإصلاحى لمصر، جعل أكبر اهتماماته نشر التعليم الحديث، خصوصًا الحرفى والمهنى، فأرسل عشرات الطلاب فى بعثات دراسية إلى فرنسا، وإلى إنجلترا والنمسا وإيطاليا، شملت تخصصات القانون والسياسة والطب والزراعة والكيمياء والهندسة المعمارية والطباعة والخط، والهندسة العسكرية والمدفعية، والميكانيكا، وبناء السفن، وصناعة النسيج، وغيرها. وبلغ مجموع هذه البعثات بين عامى 1813 و1847، 319 طالبًا، عادوا تباعًا مؤهلين بزادٍ لعبوا بمقتضاه دورًا بارزًا

محمد على باشا

فى تطور الحياة العلمية والثقافية فى مصر، بما فى ذلك التدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية والمهنية المجانية.

وفى عام 1822، افتتح محمد على «مطبعة بولاق»، وهى أول دار للطباعة فى مصر، وأعدت لتطبع باللغات العربية والفارسية والتركية، وبفضلها أتيحت للمصريين نصوص مهمة من تراث الآداب والعلوم العربية، وترجمات لأفضل الكتب الفرنسية والإنجليزية. كما أصدرت الحكومة فيما بعد جريدة «الوقائع المصرية» لنشر المراسيم والقرارات الحكومية، وكذا الأخبار الداخلية والدولية، فكانت هذه الجريدة التى عمل فيها فيما بعد الإمام محمد عبده والزعيم سعد زغلول، أول تجربة صحفية مصرية. وكان من المشروعات التعليمية الثقافية اللافتة والمؤثرة، مدرسة الألسن الشهيرة، التى استعانت وقت إنشاء محمد على لها بمدرسين إيطاليين، وكانت اللغة الإيطالية أول لغة أجنبية تدرس فى مصر، ثم استعيض عنها بالفرنسية، والتى حملت معها أفكار فولتير وروسو ومونتسكيو وغيرهم من مفكرى عصر التنوير والثورة الفرنسية، فى الوقت الذى أتيح فيه لطلاب البعثات قراءة أمهات الكتب الفرنسية ومشاهدة تطور الحياة واصطراع الأفكار القديمة والحديثة فى أوروبا. وكان بين أمهات كتب الفكر التى تُرجمت إلى العربية «روح القوانين» لمونتسكيو، وكتابه «تأملات فى أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم»، والعقد الاجتماعى لجان جاك روسو، فضلاً عن الدستور الفرنسى الذى كان معمولاً به فى ذلك الوقت.

وكان محمد على، أول حاكم على مصر يفصل بين علوم الدين ومركزها الأزهر الشريف، وبين العلوم الطبيعية والعقلية ونهضت عليها المؤسسات التعليمية التى أنشأها وقد تبلور هذا الاتجاه بعد محمد على، فأنشئت دار العلوم سنة 1872، ومدرسة القضاء الشرعى سنة 1907، ثم الجامعة المصرية سنة 1908، التى بدأت أولى بشائرها فى عهد محمد على كالمهندسخانة والمدرسة الطبية سنة 1827، قبل أن تغلقا فى عهد الخديو محمد سعيد، ثم بدأ يتوالى إنشاء كليات الجامعة المصرية، وبدئ بالهندسة، ثم بالحقوق التى كان اسمها فى البداية مدرسة الحقوق السلطانية، ثم مدرسة الحقوق الملكية، قبل أن تحمل مسمى كلية الحقوق وأخذت الجامعة فى البداية اسم «الجامعة المصرية»، حيث اجتمعت جمعيتها العمومية الأولى فى 31 يناير 1908، وتقرر فيها قبول الأمير – آنذاك – أحمد فؤاد لرياسة الجامعة، ثم أعيد تسميتها – لاحقًا – باسم جامعة فؤاد، ثم باسم «جامعة القاهرة» بعد ثورة يوليو 1952.

ووعى محمد على، ضرورة تكوين جهاز إدارى متطور للدولة، يتماشى مع مشروع الإصلاح التحديثى الضخم، وإذ كان هناك نقص – آنذاك – فى الخبرات الوطنية، فقد استعان محمد على بخبراء أجانب، وأنشأ جهازًا مركزيًّا للدولة، واستحدث عددًا من الوزارات تحت اسم «نظارات» – على الطراز الأوروبى، مع تحديد وظائف كل منها تحديدًا دقيقًا، فصارت وزارة أو نظارة الحربية مسئولة عن شئون الجيش والأسطول، ووزارة أو نظارة المالية مسئولة عن جباية الضرائب وما يتعلق بها، ووزارة أو نظارة التجارة مسئولة عن شئون الاحتكارات والتجارة الخارجية، ووزارة أو نظارة التعليم العام مسئولة عن فتح وتشغيل وإرسال الطلاب فى البعثات التعليمية للخارج، كما أنشئت نظارة للخارجية وأخرى للداخلية، وقسمت مصر إلى مناطق إدارية جديدة، وتركت تجربة محمد على بصمات عميقة فى تطور المجتمع العربى الذى كان ولا يزال يتأثر بمصر.

سد النهضة

ومقتضيات الأمن القومى المصرى / السودانى فى الإطار العربى / الإفريقى

يخطئ من يعتقد أن الهدف الإستراتيجى لسد النهضة على النحو الذى تردده إثيوبيا وبشكل معلن، يقتصر على التنمية بتوليد الكهرباء لتوفير الطاقة، بل إنه فى الحقيقة يتجاوز ذلك ليتزاوج مع هدف إستراتيجى آخر غير معلن «سياسى بامتياز»، يتمثل - بحكم إثيوبيا كدولة منبع - فى السعى نحو الهيمنة وفرض السيطرة على كل من مصر والسودان عبر التحكم فى مياه النيل بالمنح والمنع، على نحو يؤثر سلباً على الحياة والوجود بكل منهما، ويلحق بهما أضرارًا جسيمة، تتجسد على الأرض فى تغيير الجغرافيا السياسية وتوازن القوى فى المنطقة.

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

وهى أمور فى مجملها، تفرز تداعيات أمنية واقتصادية خطيرة تطال المنطقة العربية والقارة الإفريقية. تستوجب تلك الأمور تحركاً نشطاً وفاعلاً لاحتوائها ووأدها أو على الأقل الحد من آثارها السلبية. ويتكشف ذلك بوضوح حال التعرف على كيف ولدت فكرة سد النهضة والظروف التى أحاطت بها والدوافع التى حدت بمولدها خاصة من حيث الطبيعة والأهداف، والتعرف أيضاً على النهج الذى تتمسك به إثيوبيا كدولة منبع فى تداولها للملف فى إطار مفاوضات استمرت لما يقرب من عشر سنوات مع دولتى المصب. وهو نهج يتسم بمخالفات صريحة بل وبانتهاكات صارخة للمواثيق والقوانين والاتفاقات الدولية ذات الصلة، عبر التصرفات الأحادية ومحاولات فرض الأمر الواقع، وما يتطلبه ذلك من حتمية تغييره ارتضاء أو اقتضاء عند المقتضى.

أولاً: الركائز الأساسية لسياسات مصر (والسودان) بصدد أمنهما القومى المائى:

يمكن اختزال الركائز الأساسية لسياسة مصر المائية، فى أنها تنطلق من الالتزام بالحفاظ على أمنها القومى المائى فى إطار دول حوض النيل، ربطًا بمبادرة دول حوض النيل، وبما قد تنتهى إليه اتفاقية عنتيبى التى لم تخرج بعد إلى حيز النفاذ الفعلى لتباين المواقف والرؤى بصدد أمرين حيويين، الأول، يتعلق بمبدأ الإخطار المسبق، والثانى، يتعلق بمبدأ التصويت بالإجماع عند اتخاذ القرارات.

تتمحور سياسة مصر المائية حول أربع ركائز أساسية، تعزيز العلاقات بين مصر ودول حوض النيل/ الحرص على إقامة مشروعات مشتركة/ عدم المساس بالحقوق المائية التاريخية وفقاً لمبادئ القانون الدولى والاتفاقات الثنائية والثلاثية المبرمة بين الأطراف ذات الصلة، فى اتساق مع الأعراف الدولية/ الحصول على إيرادات أكثر من مياه النيل حيث تعانى مصر من الفقر أو الشح المائى (احتياجات مصر الفعلية 114 مليار متر مكعب فى العام). هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن نهر النيل الأزرق ليس نهراً داخلياً - يبلغ طوله 6700كم - بل نهر دولى بامتياز بالدول المتشاطئة عليه، طبقاً للقانون الدولى والمواثيق والاتفاقات الدولية ذات الصلة، على نحو يترتب عليه بالنسبة للدول المتشاطئة عليه حقوق تصان لا تهدر، والتزامات واجبة الوفاء لا تغفل. ومن ثمّ فإن مبدأ «السيادة» لأى من الدول المتشاطئة على النهر فى هذا الصدد ليس مطلقاً، وإنما «السيادة مشتركة» ومقيدة بتأمين تلك الحقوق وإنفاذ تلك الالتزامات.

ثانياً: العوامل الحاكمة للعلاقة بين الدول المتشاطئة على النيل الأزرق كنهر دولى:

١ - أحكام القانون الدولى للمجارى المائية نيويورك ١٩٧٧:

وينص فى مادته الخامسة على الاستخدام المنصف والعادل، وفى مادته السادسة على معايير لتطبيق المادة الخامسة ومحورها الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية لدول النهر (من بينها عدد سكان الدول الثلاث 250 مليون نسمة، احتياج مصر والسودان هو المياه، واحتياج إثيوبيا هو الكهرباء). وفى مادته السابعة على عدم التسبب فى إحداث ضرر ذى شأن.

٢ - الاتفاقات - الثنائية والثلاثية أو المتعددة - ذات الصلة :

أ - اتفاقية 1902: مبرمة بين بريطانيا (عن مصر والسودان)، وإثيوبيا، وتتضمن بموجب تعهد من ملك الحبشة بعدم إقامة مشروعات - أو أى عمل على النيل الأزرق ونهر السوباط - تعترض سريان النيل إلا بموافقة بريطانيا (مصر والسودان) - وهو مبدأ أو شرط الإخطار المسبق.

ب - اتفاقية 1906: مبرمة بين بريطانيا وفرنسا، وتم بموجبها الإقرار بما تضمنته اتفاقية 1902.

ج - اتفاقية 1925: خطابات متبادلة بين بريطانيا وإيطاليا أقرا بموجبها الحقوق المكتسبة لمصر والسودان.

د - اتفاقية 1929: مبرمة بين مصر وبريطانيا (تمثل كينيا، تنزانيا، السودان، أوغندا) لتنظيم استفادة مصر من بحيرة فيكتوريا، وتتضمن إقرار دول حوض النيل بحصة مصر المكتسبة من مياه النيل، وأن لمصر حق الاعتراض فى حالة إنشاء هذه الدول لمشروعات جديدة على النهر وروافده.

ه - اتفاقية 1959: مبرمة بين مصر والسودان، وتتضمن تقاسم مياه النيل بين مصر والسودان لتعكس الحقوق المكتسبة. كمية الأمطار من 1600 - 2000 مليار متر مكعب، حصة مصر حالياً 55,5 مليار والسودان 18,5 مليار متر مكعب. أى هناك فائض ضخم غير مستغل.

و - اتفاق 1993: تفاهمات والتزامات بين مصر/ مبارك، وإثيوبيا/ زيناوى، على عدم قيام أى من الدولتين بنشاط يتعلق بمياه النيل يسبب ضرراً بمصالح الدولة الأخرى، التشاور والتعاون بين البلدين

لقاءات مكثفة لوزير الخارجية فى نيويورك لاستعراض موقف مصر تجاه قضية السد الإثيوبي

بغرض إقامة مشروعات مشتركة تزيد من حجم التدفقات المائية وتقليل الفواقد.

ز - اتفاق إعلان المبادئ 2015: مبرم بين رؤساء الدول الثلاث، وتضمن عدداً من المبادئ على خلفية القانون الدولى والاتفاقات المبرمة المشار إليها بين الأطراف ذات الصلة. يؤسس الإعلان للمصالح المشتركة فيما يتعلق بسد النهضة، فى إطار أوسع يشمل رؤية مستقبلية لعلاقات تتنامى وتتعاظم فى مجالات عديدة، ومن أبرز هذه المبادئ: التعاون، التنمية والتكامل الاقتصادى، عدم إحداث ضرر ذى شأن، الاستخدام المنصف والعادل، التعاون فى عملية الملء الأول، بناء الثقة، تبادل المعلومات والبيانات، أمان السد ودراسات بيئية واجتماعية، احترام سيادة الدول ووحدة أراضيها، الحل السلمى للنزاعات عبر آليات محددة، آليات تنسيق دائمة لملء ولتشغيل السد.

3 - الحقوق التاريخية المكتسبة: وهى ليست بدعة، وإنما معترف بها فى ترتيب حقوق الدول، حيث وردت فى قانون البحار وقانون الأنهار الدولية بموجب اتفاقات، كما أقرت محكمة العدل الدولية مبدأ الاعتراف بالحقوق التاريخية المكتسبة فى كثير من النزاعات. وفى هذا الصدد يمكن الاسترشاد بتجارب ناجحة لدول متشاطئة على نهر دولى فى قارات مختلفة ومنها القارة الإفريقية.

ثالثاً: خلفية تاريخية عن فكرة سد النهضة:

واقع الأمر، أن الإدارة الأمريكية إبان فترة بناء السد العالى فى منتصف الخمسينات اتخذت موقفاً معادياً لمصر بسبب أساسى - من بين أسباب أخرى - هو توجهها الإستراتيجى آنذاك للاتحاد السوفيتى مستهدفة إنفاذ مشروع السد العالى، وذلك بعد أن دفعت الولايات المتحدة البنك الدولى للإنشاء والتعمير نحو رفض تمويل بناء السد، نظراً لعزوف مصر آنذاك عن قبول شروط سياسية حددتها تلك الإدارة ترتبط بوضعية ومستقبل العلاقات المصرية الإسرائيلية. وإمعاناً فى الضغط على مصر والنيل منها: تم طرح فكرة إنشاء سد على النيل الأزرق فى إثيوبيا، وتولى الأمر مكتب الاستصلاح الأمريكى بوزارة الخارجية الأمريكية بدءاً من عام 1956 وحتى عام 1964 خلال فترة حكم هيلا سيلاسى، حيث تم إجراء مسح للنيل الأزرق دون الرجوع لمصر خلافاً لاتفاقية 1902، واتفاقية 1929. توقف المشروع عام 1974 من جراء الانقلاب العسكرى فى إثيوبيا فى ذلك العام، حيث تولى هايلى مريام السلطة فى البلاد، وتبنى نظامًا يساريًا موالياً للاتحاد السوفيتى. شهدت الفترة من 2009 حتى 2011 مسحاً لموقع السد مرة أخرى، وتم تعديل تصميم هيكل السد بواسطة المهندس جيمس كليستون عام 2010، وتم وضع حجر الأساس بواسطة زيناوى فى إبريل 2011 مع إسناد المشروع لشركة سالينى الإيطالية بالأمر المباشر بدلاً من شركة واى بلير الأمريكية التى سبق أن تم التعاقد معها بقيمة 4,8 مليار دولار.

تجدر الإشارة إلى أن إثيوبيا استغلت فترة ثورة 25 يناير 2011 بمصر والتطورات التى لحقت عقب ذلك بثورة 30 يونيو 2011، فى تواطؤ - مسبق وغير معلن - ولمدة عامين تقريباً مع نظام البشير ذى التوجه الإسلامى المعادى لمصر آنذاك للمضى فى البدء فى إنفاذ المشروع دون إخطار مصر، لفرض مشروع السد كأمر واقع. وقد جاء تواطؤ نظام البشير على خلفية التزلف لإثيوبيا بحكم اضطلاعها بدور محورى فى قضايا السودان الساخنة آنذاك وهى الحروب الأهلية فى أطراف السودان، وقضية جنوب السودان سواء فى إطار منظمة الإيجاد أو المنظمة الأم أى الاتحاد الإفريقى. كانت السعة التخزينية المقررة آنذاك 16,5 مليار متر مكعب وموقع السد على بعد من 20 - 40 كم من الحدود السودانية فى منطقة بنى شنقول السودانية الأصل. وقد تم تغيير سعة تخزين السد بزيادتها إلى 74 مليار متر مكعب، وبارتفاع للسد 170 متراً، وعرض 1800 متر، وطول حوالى 5 كيلو مترات وبتكلفة تصل إلى حوالى 5 مليارات دولار. ومن المعروف أن بإثيوبيا 29 سداً من بينها 13 سداً على النيل الأزرق ولا يؤثر أى منها على مصر.

هذا وتشير بعض المصادر، إلى أن التكلفة الحقيقية للسد لاستكماله على النحو المنشود ليتم البدء فى تصدير الكهرباء قد تتجاوز 8 مليارات دولار. ونظراً لتعذر إسهام مؤسسات التمويل الدولية والدول المانحة فى تمويل بناء السد ربطاً بالاعتبارات التى أثارتها مصر فى إطار القانون الدولى والاتفاقات الدولية ذات الصلة، فقد لجأت إثيوبيا لما يصفه البعض بالوصفة الإثيوبية والتى تعتمد أولاً، على مصادر داخلية للتمويل، من أبرزها قروض من البنوك الإثيوبية بفائدة منخفضة، إصدار سندات حكومية، خصم من رواتب الموظفين، إسهامات الإثيوبيين فى الخارج، وتعتمد ثانياً، على مصادر خارجية تتمثل فى شركات وصناديق خاصة من أبرزها الصندوق الصينى وشركات صينية لتصبح الصين أحد أكبر المساهمين بشكل غير مباشر، فضلاً عن شركات إيطالية (سالينى صاحبة العقد 4,8 مليار دولار) وفرنسية، وأخرى ألمانية، وقد نجد أيضاً إسرائيلية. هذا وتنتهج إثيوبيا نهجاً آخر بتحويل بعض الاستثمارات الأجنبية الموجهة من دول خارجية ومن بينها دول بالخليج إلى قطاعات اقتصادية إنتاجية وخاصة قطاع الزراعة والثروة الحيوانية وذلك بشكل غير مباشر، إلى قطاعات البناء والتشييد والطاقة الكهرومائية وأعمال الربط الكهربائى المرتبطة بالسد. ومن المعروف أن الاستثمارات الصينية فى هذا الصدد تقدر بما يقرب من ثلاثة مليارات دولار، وتحتل السعودية المرتبة الأولى من بين دول الخليج باستثمارات فى إثيوبيا تقدر بحوالى 5 مليارات دولار تليها الامارات العربية بحوالى 4 مليارات دولار وكذا دولة قطر، تتركز جميعها فى قطاعات الأمن الغذائى سواء كان الزراعى أو الحيوانى.

سد النهضة ومقتضيات الامن القومى المصرى / السودانى فى الاطار العربى / الافريقى

(تبلغ الاستثمارات المصرية فى إثيوبيا حوالى 2 مليار دولار) - بل إن البنك الدولى يساهم بشكل غير مباشر فى إطار تلك الوصفة فى سد النهضة، إذ يقوم بتمويل كل من خط نقل عالى الجهد والطريق السريع الكهربائى الشرقى بين إثيوبيا وكينيا كجزء من مجمع الطاقة بشرق إفريقيا.

رابعاً: تقدير الموقف الإثيوبى بصدد مفاوضات سد النهضة :

تنتهى قراءة الموقف الإثيوبى بصدد مفاوضات سد النهضة، أنه يتأسس على رؤية خاطئة فى مخالفة صريحة وانتهاك واضح للمواثيق وللقوانين والاتفاقات الدولية ذات الصلة. تدور تلك الرؤية حول محورين، الأول: تدعى إثيوبيا فى إطاره أن الاتفاقات ذات الصلة تمت فى عهد الاستعمار، وقد تغيرت الظروف ومن ثم لا تعترف بتلك الاتفاقات، وهو ادعاء يدحضه أن إثيوبيا فى جميع الاتفاقات المبرمة فى عهد الاستعمار كانت دولة مستقلة ذات سيادة، وأن الاتفاقات التى أبرمت فى غير ذلك العهد كانت جميع أطراف التعاقد دول مستقلة ذات سيادة. والمحور الثانى، تدعى فيه إثيوبيا، أن النيل الأزرق نهر داخلى، وأنها بحق السيادة تمتلك المياه والأرض وتوفر تمويلًا ذاتيًا وتنتج الكهرباء منه كمصدر للطاقة، وأنه يمكنها بذلك أن تجعل من النهر بحيرة إثيوبية. ويدحض ذلك أن حق السيادة على نهر دولى ليس أحادياً أو مطلقاً وإنما السيادة مشتركة بالدول المتشاطئة عليه، كما أنه حق مقيد بمنظومة المواثيق والقوانين والاتفاقات الدولية ذات الصلة، وأن عضويتها فى المجتمع الدولى تستوجب الالتزام باحترام الحقوق والواجبات التى تنظمها أحكام تلك المنظومة الواردة بكل منها. من ناحية أخرى فإن اتفاقية 1902 هى اتفاقية حدود تم فى إطارها ضم منطقة بنى شنقول المقام عليها السد إلى إثيوبيا استجابة لرغبة مينليك الثانى إمبراطور الحبشة آنذاك أحد أطراف الاتفاقية طمعاً فى توسيع إمبراطوريته، وخاصة مع ما تردد آنذاك بأن تلك المنطقة غنية بالذهب، وذلك فى مقابل ما تضمنته الاتفاقية من نصوص بصدد مياه النيل. واقع الأمر أن إثيوبيا يستعصى عليها التحلل أو التبرؤ من اتفاقية 1902 لكونها اتفاقية حدود، خاصة وأن الاتحاد الإفريقى أقر مبدأ الالتزام بقدسية الحدود المتوارثة عن الفترة الاستعمارية، بل حال التمسك بالتحلل أو التبرؤ يتعين على إثيوبيا إعادة مناطق لديها كانت فى الأصل لدول أخرى ومنها منطقة بنى شنقول السودانية والأوجادين الصومالية. وهنا تجدر الإشارة إلى ما أعلنه السودان رسمياً فى 4 مايو 2021 أنه قد يلجأ لإعادة النظر فى سيادة إثيوبيا على منطقة بنى شنقول، إذا استمرت إثيوبيا فى التنصل من الاتفاقات الدولية خاصة اتفاقية 1902 التى ألزمتها بعدم إنشاء أى أعمال على النيل الأزرق.

إن النهج الإثيوبى بصدد التصرفات الأحادية، وفرض الأمر الواقع، فى قضايا المياه أو الحدود، يحاكى النهج التركى فى التعامل مع سوريا والعراق بصدد نهرى دجلة والفرات، والنهج الأمريكى مع المكسيك فى نهر دولى يجمعهما، والنهج الإسرائيلى فى سياسات عامة بصدد القضية الفلسطينية وجميعها تتعارض مع الشرعية الدولية وتسبب أضراراً جسيمة للدول المتأثرة بهذا النهج. واقع الأمر أن هذا النهج الإثيوبى يمكن رصده كنهج مبدئى تتمسك به إثيوبيا كدولة منبع مع دول مصب بالجوار الإثيوبى تتشارك معها فى أنهار دولية، أو فى مناطق حدودية بالجوار، ويجسد أطماعاً إثيوبية ذات صبغة استعمارية. (بالنسبة للسودان/ منطقة بنى شنقول حيث سد النهضة، ومنطقة الفشقة المحتلة جزئياً حالياً بعد تحرير معظمها مؤخراً وهى سودانية باعتراف إثيوبيا باتفاقات 1902، 1903، 1972. هذا ولم تزل إثيوبيا (الأمهرة المسيطرة على نظام الحكم القائم حالياً) تدعى أن لها حقوقاً تاريخية بها. أما بالنسبة لدول الجوار الإثيوبى الأخرى فنجد الصومال/ ضمت إثيوبيا منطقة أوجادين قسراً عام 1954 خصماً من الصومال، وأقامت سدوداً على نهرى جوبا وشبيلى - وبالنسبة لجيبوتى/ أقامت إثيوبيا أربعة سدود على نهر الأواش - وبالنسبة لأريتريا/ أقامت إثيوبيا سداً على نهر عطبرة - وبالنسبة لكينيا/ أقامت إثيوبيا أربعة سدود على نهر أومو).

خامساً: مخاطر وأضرار سد النهضة:

تتجسد هذه المخاطر وتلك الأضرار فى كوارث ذات طبيعة أمنية واقتصادية واجتماعية وبيئية مدمرة تهدد الحياة والوجود لدولتى المصب.

1 - على مصر:

أ - تبلغ حصة مصر الحالية 55,5 مليار متر مكعب تمثل حوالى 68٪ من إجمالى الموارد المائية، ومع انخفاض فترة التخزين وارتفاع نسب البخر، يصل الفاقد إلى ما مجمله حوالى 20 مليار متر مكعب.

ب - تأثر حوالى 3 ملايين فدان بالتبوير لينعدم الإنتاج الزراعى، وتأثر أكثر من 10 ملايين مزارع من حيث انقطاع سبل كسب العيش والحياة. خسارة أو فقد خمسة مليارات متر مكعب من المياه يعنى خسارة مليون فدان أى ما يعادل من 3 - 4 مليارات دولار سنوياً.

ج - تقليل إمدادات الكهرباء بنسبة من 25٪ إلى 40٪.

د - تراجع قدرة السد العالى على إنتاج الكهرباء، وانخفاض منسوب المياه فى بحيرة ناصر.

ه - إحداث فجوة غذائية وارتفاع نسبة البطالة، والتأثير على خصوبة التربة والثروة السمكية.

2 - مخاطر وأضرار سد النهضة على السودان:

كما يمكن اختزال الأضرار والمخاطر التى تحيق بالسودان فى أن السد يسلب السودان أمنه المائى ويعرضه للهلاك غرقاً وعطشاً، خاصة وأن السد يقع فى منطقة حدودية بما لا يدع له فرصة لاستقبال المياه حال الخطر، كما أنه ليس للسودان بحيرات لتصريف المياه. ومن المعروف أن السد تم بناؤه فى منطقة بنى شنقول وهى أرض سودانية محتلة من إثيوبيا فى عهد الدولة المهدية. هذا ويحظر اتفاق 1902 على إثيوبيا إقامة منشآت مقابل السماح لها بإدارة الإقليم وجزء كبير بالتالى من مياه النيل الأزرق تنبع من الإقليم الذى تمتد حدوده لبحيرة تانا وتصل لمصر والسودان. وتتجسد تلك المخاطر فى إمكانية وصول المياه إلى سد الروصيرص فى 8 ساعات، وإلى سد سنار فى يوم أو يومين ونصف، وللخرطوم فى ثمانية أيام ليحدث فى كل منها وبمنطقة كل منها تدميراً وهلاكًا وغرقاً. هذا فضلاً عن أن من بين الأضرار حجب الطمى مما يؤثر على خصوبة التربة وتآكلها وزيادة الجزر النيلية وتعرية السواحل. وقد تضرر السودان بالفعل من الملء الأول (والملء الثانى الفاشل) اللذين تم كلاهما بنهج أحادى حيث عانى المواطنون السودانيون من نقص المياه، ونقص فى الطاقة بنسبة 50٪، تأثر المزارعون فى محيط سد الروصيرص ومروى فى رى أراضيهم، وغرق وتدمير منازل. ويتعين وجود اتفاق ملزم حول كمية المياه المتدفقة من سد النهضة وتبادل المعلومات وإلا يفقد سد مروى 30٪ من الطاقة الكهربائية التى يولدها.

سادساً: التباين الحالى بين موقف مصر والسودان مع الموقف الإثيوبى:

1 - الموقف الإثيوبى الحالى بصدد المفاوضات والمتعنت والجالب لهذه المخاطر وتلك الأضرار، يتمحور حول التمسك

بخطوط استرشـــادية لقواعد ملء وتشغيل السد، بشـــكل جزئى ومرحلى، مع إمكانية تغييرها مســـتقبلاً بمجرد الإخطار، دون مراعاة لأية مطالب لمصر والســـودان، مع رفض التقيد بكمية معينـــة من المياه بعد انتهاء ملء الخزان وتشـــغيله. وهو موقف يتسم بمخالفات واضحة وانتهاكات صريحة للمواثيق والقوانين والاتفاقات الدولية ذات الصلة بما فيها اتفاق إعلان المبادئ.

2 - بينمـــا يتمحور الموقـــف الحالى المصرى/ السودانى، حول ضرورة التوصل إلى اتفـــاق قانونى ملزم عـــادل ومتوازن لقواعد ملء وتشغيل السد، يراعى مصالح الأطراف الثلاثة، وذلك فى اتســـاق تام مع المواثيق والقوانـــين والاتفاقات الدولية ذات الصلة بما فيها اتفاق إعلان المبادئ.

واقع الأمـــر، إن النقاط المحورية محل الخلاف تدور حول أربع قضايا رئيسية:

أ - إن أى اتفاق عادل ومتوازن يتعين أن يحقق مصالح الأطراف الثلاثة.

ب - الالتزام بمبدأ عدم التسبب فى ضرر ذى شأن لدول المصب.

ج - ضرورة احترام مبدأ الاســـتخدام المنصف والعادل.

د - التأكـــد من أعلى درجـــات الأمان والســـلامة طبقاً للمعايير الدولية مع الأخذ فى الاعتبار الأوضـــاع الاجتماعية والبيئية. (معامل الأمان الحـــالى 1,5 من 10، ويعد منخفضاً للغاية).

وفى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى مسار واشنطن الذى اضطلعت فيه الولايات المتحدة والبنك الدولى بدور الميسر/ الوسيط، حيث خلص إلى مشروع اتفاق يعد نموذجاً للأخذ أو الاحتذاء به، فهو مشروع يتسم بأنه شامل مســـتدام بصدد قواعد ملء وتشغيل السد، شـــاركت فيه الدول الثلاث قانونياً وفنياً، ولكن تملصت إثيوبيا من التوقيع عليه. وقد تضمن خطة لملء السد على مراحل، تتأسس على ربط عملية الملء بكميات المياه المتدفقة والمتغيرة من ســـنة لأخرى، ولا يعتمد على عدد سنوات الملء والكميات المخزنة كل عام بشـــكل محدد وثابت. وحدد آلية لإجراءات التعامل مع حالات الجفاف والجفاف الممتد والســـنوات الشـــحيحة أثناء عملية الملء، وأخرى مماثلة أثناء عملية التشغيل، وثالثة للتنســـيق والمراقبة ومتابعة التنفيذ وتبادل المعلومات والبيانات، وآلية لفض المنازعات، فضلاً عن مطلب اســـتكمال دراسات أمان السد والدراســـات الخاصة بالآثار البيئية والاجتماعية للسد .

سابعاً: تقدير الموقف الحالى:

يواجه الأمن القومى المصرى السودانى تحديات جســـام، تتمثـــل، أولًا، فى تعثر مفاوضات ســـد النهضة على نحو أضحت معه تراوح مكانها وتدور فى حلقة مفرغة، فى وقت تلوح فيه بالأفـــق مخاطر أضرار جســـيمة تهدد الحياة والوجـــود بدولتى المصب من جراء الموقـــف الإثيوبى القائم على تصرفات أحادية تفـــرض أمرًا واقعاً. ويشـــكل هذا الموقف بتداعياتـــه انتهاكاً واضحاً وصريحاً للمواثيق والقوانين الدولية والاتفاقات الثنائيـــة والثلاثية ذات الصلة. وتتمثل، ثانياً، فى تطور مســـتحدث مؤخراً يتمثل، فى تصاعد حالة التوتر بين السودان وإثيوبيا إلى حد الصدام المسلح على منطقة الفشـــقة الحدودية بين البلدين، على نحو تتهدد معه وحدة أراضى السودان وسلامته الإقليمية أمام أطماع اســـتيطانية إثيوبية فى أراض ســـودانية. وتتبنى إثيوبيا نفس النهج فى التعامل مـــع هذا التطور ونظيره فى ســـد النهضة، بانتهاك واضح وصريح أيضًا من جانب إثيوبيا للمواثيق والقوانين والاتفاقـــات الدوليـــة ذات الصلة (خاصة اتفاقيتى 1902، 1903). وحيث أن الأمن القومى المصرى، والأمن القومى السودانى وجهان لعملة واحدة وأن كلا البلدين عمق إســـتراتيجى للآخر، استوجب الأمر تضافر جهودهما وتوحيـــد مواقفهما فى مواجهة هذه التحديات، سواء على مسار اللجوء إلى كافة وسائل وطرق فض المنازعات بالطرق السلمية، أو اللجوء عند المقتضى إلى خيارات أخرى من بينها استخدام القوة - بمفهومها الواســـع - أو التلويح بهـــا ولكن فى إطار الالتـــزام بالمواثيق والقوانـــين والاتفاقات الدولية.

واقع الأمـــر، فى الوقت الذى لا تزال فيه أزمة ســـد النهضة تراوح مكانها، وتدور المفاوضات بشأنها فى حلقة مفرغة، ترفض إثيوبيا الوســـاطة، التـــى طرحت كإحدى آليات فض النزاع بالطرق الســـلمية، رغم ورودها - أى الوســـاطة - بالمادة العاشرة من إعلان المبادئ لعام 2015 كإحدى تلك الآليات، كما أنها إحدى الآليات الواردة أصلاً فى ميثـــاق الأمم المتحـــدة والقانون الدولى. ويعد الرفض الإثيوبى للوساطة خروجاً عن وجوب احترام المواثيق والقوانين والاتفاقات الدوليـــة ذات الصلة وخاصة إعلان المبادئ 2015.

لقد قامت إثيوبيا فى إطار النهج الأحادى وفرض الأمـــر الواقع بعمليـــة الملء الأول 2020 والملء الثانى 2021، غير عابئة بما يسببه كل منهما من أضرار جسيمه، تهدد الوجود والحياة لشـــعوب ودولتى المصب، رافضة أى مقترحات أو مبادرات للوساطة أو آليـــات أخرى فى إطار فـــض المنازعات بالطرق السلمية ســـواء الواردة فى القانون الدولى أو فى المادة العاشرة من إعلان المبادئ لعام 2015 (من أبرزها مقترح الوســـاطة الرباعية ، وآلية اجتماع الرؤســـاء)، الأمر الذى حـــدا بكل من مصر والســـودان إلى اللجوء لمجلس الأمن الدولى فى إطار الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة، (المواد من 33 - 37)، مـــن منطلق ضرورة لفت نظر مجلس الأمن، بأن تواصل الموقف الإثيوبى المتعنت بتصرفاته الأحادية ورفض إثيوبيا لمقترحات الوساطة لكسر حالة الجمود التى أصابت المفاوضات الثلاثية على مدى عشر سنوات منها ســـنتان تحت رعاية الاتحاد الإفريقى، مـــع المضى فى عمليات الملء الأول والثانى منفـــردة، يمثل انتهـــاكاً واضحاً للمادة الخامسة من إعلان المبادئ، ويتضمن تهديداً للأمن والسلم الإقليميين والدوليين، وأنه عندئـــذ يتعين على مجلس الأمن تحمل مسئولياته فى هذا الصدد، خاصة وأن مصر قد تلجأ مضطرة إلى خيارات أخرى.

لقد ســـبق لجوء مصر والســـودان إلى مجلس الأمن بتحركات نشـــطة وفاعلة على المســـتوى الثنائى والمتعدد لمصر والسودان مـــع أعضاء المجتمـــع الدولى مـــن الدول والمنظمات الإقليميـــة، ومن أبرزها الاتحاد الأوروبى والجامعة العربية. وكانت محصلة هـــذه التحركات تجاوبـــاً دولياً مع مطلب مصر والســـودان - وخاصـــة من جانب هاتين المنظمتين الإقليميتين - نحو ضرورة التوصل إلى اتفاق قانونى ملزم لعملية الملء والتشـــغيل منصف وعادل يحقق المصالح المشتركة للأطراف الثلاثة، وهو ما انعكس فى كلمات المندوبـــين فى مجلس الأمن، ربطاً بضرورة استئناف المفاوضات تحت رئاسة الاتحاد الإفريقى وتوجهه نحو تقوية دور الخبراء والمراقبين تجنباً للجوء إلى خيارات أخرى من جانب أطـــراف بالأزمة للحفاظ على أمنهم القومى.

ثامناً: التحركات العربية بصدد أزمة سد النهضة:

لقـــد كان هناك تحـــركات عربية على المســـتوى الثنائـــى والمتعـــدد (الجامعة العربية) فى إطار السعى لإحداث انفراجة فى الأزمة، حفاظاً على الأمن والاستقرار، وتأمين المصالح الاقتصادية العربية فى منطقة القرن الإفريقى وخاصـــة فى إثيوبيا، من منطلق أن الأمن القومى لكل من مصر والســـودان والمهدد من جانب إثيوبيا جزء لا يتجزأ من الأمن القومى العربى الممتد للقارة الإفريقية (يتواجد ما يقرب من نصـــف عدد الدول العربيـــة فى القارة الإفريقيـــة بإجمالى من حيث العدد يتجاوز نصف الشعب العربى)، كما يشـــمل منطقة البحـــر الأحمر التى شـــهدت حديثاً مولد مجلس الدول العربية والإفريقية المتشـــاطئة عـــلى البحر الأحمر بهدفيه الأمنى والتنموى، ويعد بحيرة عربية إفريقية بساحله الشرقى العربى من جانب

سد النهضة ومقتضيات الامن القومى المصرى / السودانى فى الاطار العربى / الافريقى

وبساحله الغربى الإفريقى من جانب آخر، وذلك للوصل وليس للفصل بين المنطقة العربية والقارة الإفريقية. ومن هنا يمكن رصد تحركات على المستوى الثنائى من جانب كل من السعودية والإمارات العربية تجاه إثيوبيا فى إطار زيارات متبادلة على مستوى رفيع تطرقت لموضوع سد النهضة فى إطار السعى نحو إحداث انفراجة فى الأزمة، وأخرى على مستوى الجامعة العربية فى قرار صدر بالإجماع بدعم موقفى مصر والسودان - وهما من الدول العربية الإفريقية - بصدد أمنهما المائى، بل وبالتحرك تجاه مجلس الأمن من أجل تأمين التوصل لاتفاق قانونى ملزم لملء وتشغيل السد على النحو المنشود، لوأد تلك المخاطر والمهددات للأمن والاستقرار، وللمصالح الاقتصادية العربية ذات البعد الإفريقى، بما يستوجب تعاوناً بين المنظمتين الأم أى الجامعة العربية والاتحاد الإفريقى عبر الآليات المشتركة القائمة بينهما.

ولعلّه من حسن الطالع، فشل إثيوبيا فى تخزين الكمية المستهدفة فى الملء الثانى، سواء تلك التى كانت فى البداية تقدر بحوالى 13,5 مليار متر مكعب أو تلك التى خفضتها لاحقاً إلى 6,9 مليار متر مكعب، إذ أن ما تم تخزينه فى الملء الثانى بالفعل أقل من 3 مليارات متر مكعب، وهو الأمر الذى تأكد معه أن هناك تقاعساً متعمداً من جانب الشركة الإيطالية المنفذة فى تعلية الحاجز (الممر) الأوسط للسد إلى 13 متراً، وإنما فقط إلى ستة أمتار تكفى لتخزين أقل من 3 مليارات فقط، وهو أيضاً الأمر الذى أعاد الشكوك حول ضعف معامل الأمان ومدى وجود تصدعات وتشققات فى جسم السد تستوجب تأجيل الملء الثانى للعام القادم لمعالجة هذه العيوب الخطيرة. وقد انعكست هذه العيوب الخطيرة على فشل آخر فى تعذر تشغيل التوربينين السفليين لتوليد الكهرباء إذ يتطلب ذلك تخزين على الأقل 4 مليارات متر مكعب، بل هناك من المعلومات التى تشير إلى أن العمل فى التوربينات لم يكتمل بعد، وفى محطة الكهرباء أو فى شبكة وكابلات نقل الكهرباء (ربما لعجز فى عمليات التمويل). ويتردد بقوة علمياً بأن السد مبالغ فى حجمه إذ يجب ألا تتجاوز بحيرة التخزين 30 مليار متر مكعب وليس 74 مليار متر مكعب، وأنه لن يولد أكثر من الفى ميجاوات وليس 6,5 ألف ميجاوات، ولن تتجاوز عدد التوربينات التى يمكن تشغيلها 8 توربينات وليس 16 توربيناً كما هو مخطط. فضلاً عن أنه معرض للانهيار مع أول فيضان غزير. ويتسق ما تقدم مع تقرير لجنة الخبراء الدولية الأولى (تضم 4 خبراء من إنجلترا وألمانيا وفرنسا وجنوب إفريقيا) والتى عاينت سد النهضة عام 2012 وسلمت تقريرها فى مايو 2013 وأكدت على أنه سد بلا دراسات.

وهى أمور فى مجملها تدفع وتحث الدول العربية وخاصة دول الخليج على التحرك فى الإطار الثنائى تجاه إثيوبيا بشكل أكثر فاعلية وإيجابية لتغيير مواقفها ونهجها فى التعامل مع الأزمة، حفاظاً على مقتضيات الأمن القومى العربى والإفريقى والمصالح العربية فى القارة الإفريقية ومنطقة البحر الأحمر المرتبط بالأمن فى منطقة الخليج، مستثمرة فى هذا الصدد الفترة الحالية الممتدة للعام القادم بعد فشل الملء الثانى، وتحرك الجزائر وهى دولة عربية إفريقية بمبادرة من جانبها للتوسط فى تسوية الأزمة، خاصة وأنها دولة ذات وزن وتأثير كبير على مجريات الأمور الإفريقية والعربية، وقد يتعزز ذلك بأن تحرك الجزائر جاء ولو جزئياً استجابة لطلب من إثيوبيا التى تعانى ضغوطاً من أوضاع سياسية متأزمة واقتصادية متدهورة واجتماعية متصارعة، ومواقف دولية غير مواتية تجاه تلك الأوضاع. واقع الأمر أن على إثيوبيا أن تغير من موقفها جذرياً طوعاً أى ارتضاء عبر مسار تفاوضى جاد وقانونى، تجنباً لدفعها نحو تغييره جبراً أى اقتضاء وفى ذات الإطار القانونى، عبر خيارات أخرى تحقق هذا الهدف.

تاسعاً: البيان الرئاسى لمجلس الأمن:

أصدر مجلس الأمن فى 15 سبتمبر 2021 بياناً رئاسياً على خلفية طلب مصر والسودان (للمرة الثانية) ودعم من الجامعة العربية أثار فيه تهديداً للسلم والأمن الإقليميين الدوليين من جراء الموقف الإثيوبى المتعنت المشار إليه بما يفرزه من تداعيات سلبية خطيرة على الوجود والحياة لدولتى المصب.

البيان بحكم طبيعته وقد صدر بالإجماع يعد وثيقة رسمية يعتد بها ويمكن الرجوع إليها عند المقتضى، كما أن له صفة إلزامية للأطراف المعنية فى إطار الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة ربطاً بالمواد من 33 إلى 38 من الميثاق. ويؤكد على أنه يتناول الأمر فى إطار أمنى سياسى ربطاً بتهديدات الأمن والسلم الإقليميين والدوليين، وبالتالى يؤكد على أن الأزمة ليست محلية أو إقليمية وإنما لها بعد دولى.

يتسق البيان مع الموقفين المصرى والسودانى، بالأخذ بخيار مسار المفاوضات كأولوية ويضعه تحت قيادة الاتحاد الإفريقى مع إسناد دور ميسر للمراقبين والشركاء فى المفاوضات للتوصل فى وقت قريب إلى اتفاق قانونى ملزم لملء وتشغيل السد يراعى مصالح الأطراف الثلاثة.

البيان يعد بمثابة ضوء فى نهاية النفق المظلم، تنعقد عليه الآمال فى التوصل إلى الاتفاق المنشود حال تخلى إثيوبيا عن موقفها المتعنت وتوافر الإرادة السياسية المطلوبة لديها لاحترام المواثيق والقوانين والاتفاقات الدولية ذات الصلة.

عاشراً: مجمل القول:

فى اليقين أن المتتبع لأزمة سد النهضة عن كثب من جوانبها الثلاثة القانونية والفنية والسياسية، يمكن أن يوجه لإثيوبيا إدانة صريحة واتهاماً واضحاً بأنها، أولاً، دولة مارقة بمخالفتها وعدم احترامها للمواثيق والقوانين والاتفاقات الدولية ذات الصلة، ومن بينها ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، خاصة بند الحق فى الحياة. وثانياً، أنها تمارس نوعاً من الإبادة الجماعية لحياة بشرية ونباتية وحيوانية بما قد تسببه من أضرار جسيمة تصل إلى حد المساس بالأرواح والأرض والممتلكات وسبل كسب العيش، بالغرق والجوع والتعطيش والتبوير. وهى أمور فى المجمل تستوجب - حال إن تم استنفاذ وسائل فض النزاع سلمياً طبقاً لاتفاق إعلان المبادئ وإحاطة مجلس الأمن بتطورات الأوضاع والمهددات - اللجوء إلى خيارات أخرى من بينها حق الدفاع الشرعى عن النفس (الحياة والوجود) طبقاً للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، خاصة وأن الموقف الإثيوبى المتعنت والنهج الأحادى بتداعياته الخطيرة على الحياة والوجود لشعبى ودولتى المصب يعد نوعاً من العدوان الذى يتعين درءه وإجهاضه، وبما يتسق والمحافظة على الأمن القومى المصرى والسودانى فى ارتباط بالأمن القومى العربى والإفريقى، وتأمين المصالح العربية فى منطقة القرن الإفريقى والبحر الأحمر ذات الأهمية الإستراتيجية البالغة.

فى حبك يا مصر التقينا

فى أجواء مفعمة بالحب وبحضور لفيف من أبناء الحقبة الدبلوماسية بوزارة الخارجية ونواب مجلس الشعب، ومن داخل أروقة معهد الدراسات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية.

د. منال متولى

manalmfa @ hotmail .com

التقت مجموعة ممن يجرى فى عروقهم بحكم وظيفتهم دماء الانتماء والولاء لمصرنا الغالية وتمتلىء وتفيض قلوبهم بمشاعر صادقة وارفة تجاه كنانة الله فى أرضه مصرنا المحروسة من السماء قبل الأرض.

نعم... وقفت تلك المجموعة أمام القاعة العتيدة لعميد الدبلوماسية المصرية الفارس الدكتور بطرس غالى، ومن خلفهم وأعلاهم صورة زيتية لسليل أحمس نسر مصرنا المحروسة فخامة الرئيس/ عبدالفتاح السيسى.

تلكم الصورة التى انطبعت فى وجدانهم ووجدان كافة الدبلوماسيين المصريين فى الخارج والداخل.

حيث قامت الدكتورة منال متولى خبيرة البترول والطاقة والبيئة برسمها بمشاعر قلبية صادقة نبعت من وجدانها قبل يدها لرئيس مصر المفدى كأول صورة لرئيس مصرى داخل محراب الدبلوماسية العريق...

عرفاناً منها ومن أبناء الدبلوماسية لما يسطره سيادته من ثورة وملحمة بطولية غير مسبوقة لصالح مصرنا الحبيبة، لتتبوأ مقعدها المفقود منذ عقود بين بلدان العالم أجمع، ولتضحى مصرنا قلعة ومحراباً ومثلاً يحتذى به إقليمياً ودولياً.

وليجدد دبلوماسيو وزارة الخارجية الوعد والعهد لفخامة الرئيس على أن يظلوا أوفياء لمصرنا الحبيبة تحت قيادة سيادته فى الداخل والخارج بكافة سفارات وقنصليات مصرنا الحبيبة ولتصبح مصرنا كما كانت دوماً مهداً للحضارات وغوثاً للبلاد والعباد.

الحضور

السيد السفير/ جمال متولى مساعد وزير الخارجية للشئون القانونية الدولية والمعاهدات،

السيد السفير/ عمر فهمى نائب مساعد الوزير لمعهد الدراسات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية،

السيد وزير مفوض/ شريف إسماعيل بمعهد الدراسات الدبلوماسية،

السيدة السفيرة/ مرفت هانم كوجك حرم مساعد وزير الخارجية الأسبق جمال بيومى،

النائب/ غادة عجمى عضو مجلس النواب عن المصريين فى الخارج وعضو لجنة العلاقات الخارجية،

النائب/ سهام مصطفى عضو مجلس النواب وعضو لجنة العلاقات الخارجية.

بانوراما أفريقيا (5)

تشـــهد قارتنا الإفريقية الكثير من التطورات المتســـارعة من أهمها الحرب الدائرة فيها ضد الإرهاب، ومشاكل ســـد النهضة وليبيا وتونس وحرب الساحل والصحراء، وموزمبيق، وتزداد يوماً بعد يوم التدخلات الأجنبية التى تفاقم من المشكلات الإفريقية وتعقدها.. والتى يجب أن يتخذ الأفارقة تجاهها مواقف مشـــتركة تراعى المصلحة الإفريقية وتطبيق المبادىء والأهداف التى يسعى الاتحاد الإفريقى إليها.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

أول رحلة حول إفريقيا

ذكر المـــؤرخ الإفريقى هيرودت (484 – 425ق . م) فى كتابه «التواريخ» أن الملك المصرى نخاو الثانـــى (660 – 595 ق.م) من الأسرة السادســـة والعشرين (656 – 525 ق .م) قد أرســـل عدة سفن يقودها بحارة فينيقيون فى مهمـــة فغادروا مصر عن طريق البحر الأحمر وداروا حول لوبيا (إفريقيا) إلى أعمـــدة هرقل (مضيق جبل طارق) وعادوا عن طريق البحر المتوســـط، ويضيف هيرودت أن البحارة ذكروا شيئًا لا يصدقه عقـــل، وهو أنهم عندما داروا حول طرف إفريقيا الجنوبى أصبحت الشـــمس على يمينهم.

لا توجـــد حتى الآن أدلة مادية على هذه الرحلة للأسف الشـــديد. وقد انقسم علماء التاريـــخ المصرى ما بـــين مؤيد ومعارض عـــلى قيام هذه الرحلة، مـــن أيدوها قدروا أنهـــا تمت فى الفـــترة (596 – 594 ق.م) والذين عارضوها ذكروا أن الفكر الجغرافى الإغريقى السائد فى العالم فى ذلك الوقت، هو أن إفريقيا ترتبط فى جنوبها بقارة آسيا، أى لا يوجد طريق بحرى للدوران حول إفريقيا. من المعلـــوم أن هناك كثيراً مـــن الحقائق التاريخية التى ذكرها هيرودت وكان العلماء يشككون فيها، ولكن ثبت صحتها فيما بعد، وظهرت أدلـــة مادية «آثار أو مخطوطات» تؤيد ما قاله. اســـتقى هيرودت معظم ما كتبه من مشـــاهداته وأحاديثه خاصة مع الكهنة المصريـــين الذين كانت لديهم دراية بما يجرى فى قصر الفرعون بحكم صلاتهم وتركز العلوم فى أيديهم.

وما ذكره هيرودت من أن البحارة وجدوا الشمس تســـطع على يمينهم لهو أكبر دليل على صحة هذا الإبحار لأن المبحر من طرف جنوب إفريقيا إلى الشمال يجد الشمس على يمينه، وهذه ظاهرة طبيعية وجغرافية لم تكن معروفة فى ذلك الوقت.

وفى ســـياق تفكير نخاو الثانى يمكن تصور أنه كلف البحارة بالرحلة وقاموا بها لأنه كان يبنى أســـطولين أحدهما فى البحر المتوســـط والآخر فى البحر الأحمر ليقاوم وصول إمبراطوريـــة بابل إلى حدود مصر، كما بدأ حفر قناة قديمة كانت تصل البحر الأحمر بالنيل (الفرع البلوزى) حتى يمكن أن يتحرك الأسطولان بين البحرين، وكانت تجارة مـــصر فى عهد الملكة حتشبســـوت (1507 – 1458 ق. م) قد وصلت إلى بلاد بونت «الصومال»، فلا عجب أن يحاول مد هذه التجارة إلى أبعد من الصومال بمساعدة أمهر من ركب البحـــر فى ذلك الزمان وهم الفينيقيون الذين كانت لهم مســـتعمرات خاصـــة على ســـواحل إفريقيـــا فى البحر المتوسط.

وذكر هـــيرودت أنهم مكثـــوا فى هذه الرحلة أكثر مـــن عامين حتى عادوا، وهذه فترة زمنية معقولة لنوعيـــة المراكب التى كانت تســـير بالمجاديـــف والأشرعة بقرب الشاطئ الإفريقى طوال الوقت، وكان عليها أن تتوقف كل فترة للتموين والصيانة.

تدل الرحلة على اهتمام مصر منذ القدم بقارتنا الإفريقية والتـــى يربطها بنا نهر النيل وأجدادنا الأفارقة والعلاقات الثنائية والتجارية التى كانت تربط بيننا منذ ما قبل التاريخ.

تنزانيا

تقع جمهورية تنزانيا المتحدة فى شرق القارة الإفريقية يحدها فى الشـــمال أوغندا، وكينيا فى الشـــمال الشرقـــى وجزر القمر «بانوراما إفريقيا2» والمحيط الهندى شرقًا، وموزمبيق ومـــالاوى إلى الجنوب، ورواندا وبوروندى وجمهورية الكونغو الديمقراطية إلى الغرب.

وتقع تنزانيا أيضاً فى منطقة البحيرات الكبرى الإفريقية فتطل على بحيرات فيكتوريا وتنجانيقا ومالاوى، وبها جبال كليمنجارو التى يبلـــغ ارتفاعها حـــوالى 20 ألف قدم وهى أعلى جبال إفريقيا فى الشمال الشرقى من البلاد. أثـــارت هذه الجبال خيال الأدباء فكتب الكاتب الأمريكى أرنست هيمنجواى قصة «ثلوج كليمنجارو»، كما كتب الأديب الفلسطينى إبراهيم نصرالله روايته الممتعة «أرواح كليمنجارو» عـــن مجموعة عربية يجمعها الرغبة والتحدى لصعود أعلى جبل فى إفريقيـــا. وبالقرب من كليمنجارو توجد حدائق سرنجاتى الوطنيـــة وهى من أكبر وأشهر المحميات الطبيعية فى إفريقيا.

عاصمة تنزانيا الرســـمية هى دودوما، وأكبر مدنها دار السلام وتبلغ مساحة الدولة حوالى مليون كيلو مـــتر مربع، ويبلغ عدد الســـكان حوالى 60 مليون نسمة يتكونون مـــن 120 إثنية، ويدين حـــوالى 63٪ من السكان بالمســـيحية، 34٪ بالإسلام وتوجد ديانات تقليدية أخرى.

ترأس الدولة حالياً الســـيدة ســـامية صالح وذلـــك بعد وفاة الرئيس الســـابق جون ماجوفولى بالكورونا فى العام الماضى واشتهر بمحاربة الفساد فى بلاده.

وتعتبر تنزانيا أحـــد أقدم الأماكن التى ظهر فيها الإنسان العاقل Homo sapiens على ســـطح الأرض، وتمـــت إليها هجرات من الشـــعوب النيلية والشعوب المجاورة فى الصومال وإثيوبيا، كما هاجر إليها شعوب من البانتو من الجنوب.

وصل التجار من الهند ومنطقة الخليج إلى تنزانيا أثناء الألفيـــة الأولى، وازدهرت التجارة مع مصر عـــبر البحر الأحمر أثناء حكم الدولـــة الفاطميـــة فازدهرت مدن كثيرة مثل كيلوة وسوفالة ونافستا وموانئ مومباسا وماليندى فى كينيا.

تولى ســـلاطين عمان حكم زنزبار منذ

رأس تمثال الملك نخاو الثانى

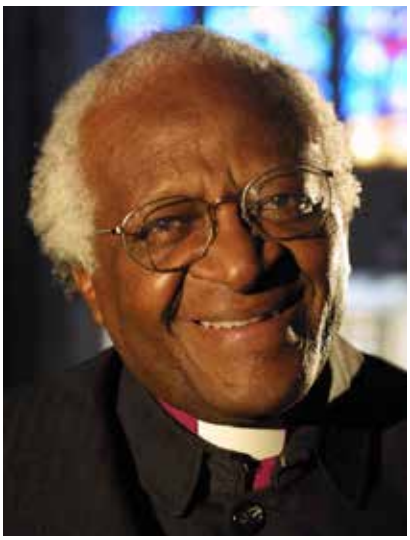

ديزموند توتو

عـــام 1840 وكانت زنزبـــار عاصمة ملك السلطان سعيد بن سلطان. ازدهرت تجارة العبيد الأفارقة ويقال إن عدد العبيد خلال القرن التاســع عشر بلغ حوالى 700 ألف عبد، وقد ألغيت هذه التجارة فى التسعينيات من القرن 19 (هناك فارق كبير بين تجارة العبيد فى شرق إفريقيا وفى غربها ومن أهمها أنها بلغت حـــوالى 13 مليون عبد فى غرب إفريقيا كانـــوا ينقلون عبر المحيط الأطلسى إلى أمريكا اللاتينية).

كان جوليـــوس نيريـــرى قائد حركة الاســـتقلال أول رئيـــس لتنزانيا وربطته علاقات صداقة بالرئيس جمال عبدالناصر. ركز نيريرى على بناء الشـــخصية الإفريقية والمناداة بالتضامـــن الإفريقى للتغلب على التقســـيمات الإثنية واللغويـــة الكثيرة فى بلاده وفى إفريقيـــا، كما حرص على تطبيق الاشتراكية الإفريقية وسياسة الاعتماد على الذات وفقاً لإعلان أروشا فى عام 1967.

والجديـــر بالذكر أن هنـــاك شركات مصرية تقوم ببناء سد مائى كبير فى تنزانيا باســـم جوليوس نيريـــرى لمضاعفة إنتاج الطاقة الكهربائيـــة فى تنزانيا، ومن المقرر الانتهاء منه العام القادم.

بلغ الدخـــل القومى 71 بليون دولار فى عام 2021 بينما بلغ دخل الفرد فى المتوسط 1172 دولاراً فى عـــام 2019. وقطاعـــات الإنتاج الرئيســـية هـــى: الزراعة (25٪)، الصناعة والتشـــييد (22٪)، الســـياحة (18٪)، وقطاعات أخرى هى البنوك والنقل والاتصالات، وأهـــم الشركاء التجاريين هم: الهند ـ فيتنام ـ جنوب إفريقيا ـ ســـويسرا ـ الصين.

تجمـــع الثقافة التنزانيـــة بين ثقافات الشـــعوب المكونة لها وبعـــض التأثيرات الأجنبية من الدول التى احتلتها وهى ألمانيا حتى الحرب العالمية الأولى ثم بريطانيا.

ومن أهم عناصر الثقافة رســـوم تينجا تينجا التى حازت انتشاراً واسعاً «بانوراما إفريقيا1» كما اشـــتهر من أدبائها شعبان روبرت أبو الأدب السواحيلى، ومحمد سعيد عبدالله، وعبدالرزاق جورنة الذى فاز خلال شـــهر أكتوبر 2021 بجائزة نوبل للآداب ونشر أكثر من عشر روايـــات بالإنجليزية وصرح بعـــد فـــوزه أن القرآن والشـــعر العربى والفارسى وكتاب (ألف ليلة وليلة) كانت منبع الإلهـــام له، مبروك له ولتنزانيا وإفريقيا.

دزموند توتو

احتفـــل المناضل الإفريقى الأســـقف دزموند توتو خلال شـــهر أكتوبر 2021 بعيد ميلاده التســـعين وبهذه المناسبة تم تجديد جدارية ضخمة على سور «أكاديميا قوس قزح» وهى الأكاديمية التى أنشأها.

ولد الأسقف دزموند توتو فى عام 1931 فى أسرة فقيرة لأبوين من قبائل الخوســـا والتسوانا وتعلم فى مدرسة للمبشرين كان والده يـــدرس بها، كان يرغب فى دراســـة الطب ولكنه أصبح مدرســـاً فى عام 1955. كان مهتماً بالمســـيحية منذ صباه فدرس الدين فى مدينة جوهانســـبرج وأصبح قساً أنجليكيـــاً فى عـــام 1961، وذهب بعدها للدراســـات العليا فى لندن، وشغل منصب مدير مساعد مجلس الكنائس العالمى وعاد إلى جنوب إفريقيا وشـــغل منصب أسقف ليســـوتو. تأثر بأفكار مارتـــن لوثر كينج الأمريكى، فأخذ يســـاند حقـــوق الأفارقة ونشـــط فى كشف مســـاوئ نظام التفرقة العنصرية المطبق حينئذ فى جنوب إفريقيا، ودعا إلى الالتزام بحقوق الإنســـان وتطبيق حق الانتخاب العام، وصاحب هذا دعوته إلى استخدام الوسائل السلمية فقط فى التعبير عن الاحتجاج، كمـــا دعا المجتمع الدولى إلى الضغط الاقتصادى على الدول التى تتعامل مع نظام التفرقة العنصرية. وهكذا انخرط فى أنشـــطة نضالية سلمية فيما يطلق عليه «لاهوت المصالحة» الـــذى ليس به انحياز أو إمكانية اللجـــوء إلى العنف مثل «لاهوت التحرير» فى أمريكا اللاتينية فى السبعينيات من القرن الماضى.

حصل دزموند توتـــو على جائزة نوبل للســـلام فى عام 1984 لأنشـــطته السلمية ومواقفه المعارضة للتفرقة العنصرية.

كان أول أســـقف أســـود للكنيســـة الإنجيليكيا فى جوهانسبرج ثم كبير أساقفة فى كيب تاون فشـــجع دور المرأة الدينى فى الكنيسة.

وفى فترة التسعينيات أطلق فكرة «أمة قوس قزح» أى أمة واحدة متعددة الإثنيات والعناصر وأصبحت هذه الفكرة شعار دولة جنوب إفريقيا منذ ســـقوط نظام التفرقة العنصرية فى عام 1994.

كما نشط بجانب ذلك فى أنشطة محاربة مرض الإيدز الـــذى كان منتشراً فى الدول الإفريقية فى الثمانينيات والتســـعينيات من القرن الماضى.

اشترك دزموند توتو فى المباحثات التى قادها الزعيم الإفريقى نيلســـون مانديلا لتفكيك نظـــام التفرقـــة العنصرية وبناء الديمقراطيـــة فى جنوب إفريقيـــا وعينه نيلســـون مانديلا فى عام 1955 رئيســـاً «للجنة الحقيقـــة والمصالحة» التى أقيمت للتحقيق فى خروقات حقوق الإنسان فى ظل نظام التفرقة العنصرية السابق والتسامح أو العفو أو التعويض لمن أضيروا.

عارض دزموند توتو حـــرب العراق، كما يطالب بإعطاء الفلسطينيين حقوقهم المشروعة ويعارض أنشطة إسرائيل النووية.

حاز دزموند توتو عـــلى جوائز دولية كثيرة بسبب مساندته للعمل السلمى وألف عدة كتب منها: نداء فى البرية، شعب قوس قزح، كتاب البهجة (بالاشتراك مع الدالاى لاما وقد ترجم إلى اللغة العربية).

ورغم إعـــلان الأســـقف دزموند توتو اعتزالـــه العمل العام منذ عـــام 2010 إلا أنه لا يـــزال يحتفظ بعضويته ونشـــاطه فى إطار «لجنة الحكمـــاء» وهى لجنة غير حكومية أنشـــأها نيلسون مانديلا من كبار الشخصيات العالمية لبحث وتقديم الأفكار لحل المشكلات الدولية الكثيرة والمتنوعة.

ومن أقواله الشـــهيرة «افعل خيراً مهما

صغر ومجموع هذه الأعمال سوف ينشر الخير فى العالم كله».

إن قصة كفاح الأسقف دزموند توتو طويلة ومليئة بالكفاح ضد الفقر والمرض والتفرقة العنصرية والتطرف والعنف والحرب ومن أجل الحرية والمساواة والمصالحة والديمقراطية وحقوق الإنسان ولذا سيظل اسمه خالداً بين أبناء إفريقيا الأبطال.

فرس النهر

هو من الحيوانات الثديية الإفريقية ضخم الحجم ويعيش بجانب الأنهار والبحيرات والمستنقعات ويتغذى على النباتات.

يتراوح طوله بين 1.5 إلى 3.5 متر ويصل وزنه إلى 3.2 طن ويقضى أكثر من 16 ساعة يومياً فى الماء ويستطيع أن يغطس تحت الماء لمدة تصل إلى خمس دقائق!

وتقول إحدى الأساطير الإفريقية أن الآلهة رفضت السماح لفرس النهر بالعيش فى الماء لأن فمه كبير وسيلتهم كل السمك فى النهر ولكن فرس النهر ترجى الآلهة فوافقت فى النهاية على أنه يمكنه أن ينزل إلى النهر ولكن على شرط ألا يأكل أى سمك وأن يكتفى بأكل الحشائش على الأرض أو فى النهر.

يعرف فرس النهر عند العرب بـ«البرنيق» وعند المصريين بـ«سيد قشطة» والشائع أن أحد حراس حديقة الحيوان أطلق عليه هذا الاسم لشبهه فى ضخامته بأحد أصدقائه!

أما تسمية فرس النهر «HiPPO POTAMUS» اليونانية فتأتى من اعتقاد الإغريق أن هذا الحيوان يشبه الحصان كما سموه «وحش النيل».

وهناك قصة فى التاريخ المصرى أن حاكم الهكسوس أراد أن يختلق نزاعاً مع الفرعون المصرى فى الجنوب فأرسل له رسالة يطلب منه أن يقتل أفراس النهر التى فى قصره فى جنوب البلاد لأنها تزعجه بصوتها أثناء نومه فى شمال البلاد!

وكانت آلهة الحمل والولادة «إبيه» عند الفراعنة لها رأس فرس النهر لما لاحظوه من حماية أنثى فرس النهر لأبنائها بشراسة.

ويعتبر فرس النهر من الحيوانات التى تداهم الإنسان وتذكر الإحصاءات أنه يموت حوالى 500 شخص سنوياً فى إفريقيا من هجمات فرس النهر.

يعتبر فرس النهر ثالث أضخم الحيوانات البرية بعد الفيل والخرتيت ويستطيع الجرى بسرعة ويعيش فى مجموعات من حوالى 40 فرداً وهناك نوع صغير يسمى بفرس النهر القزم، كما أن أنواعاً عديدة منه معرضة للانقراض بسبب الجفاف والصيد الجائر.

وقد نجح الكتاب والفنانون الأوروبيون فى استخدام هذا الحيوان، الغريب بالنسبة لهم فى تصميم نماذج منه للأطفال ووضع قصص وأغان عنه مما جعله شخصية محبوبة لديهم.

وعلى العكس من ذلك يكاد ينقرض من تراثنا الثقافى أو الاهتمام به من جانب المعاصرين رغم أنه كان يملأ وادى النيل من الشمال إلى الجنوب.

وقد رأيت مزارع التماسيح فى تايلاند وكوبا التى توضع ضمن البرامج السياحية والهدف الأساسى منها الحفاظ على أنواع التماسيح من الانقراض مع زحف التمدن. ربما يمكن إقامة مزرعة لفرس النهر فى إحدى الجزر النيلية بعد تسييجها حتى لا يخرج عن نطاقها لتصبح مكاناً يشاهد فيه الجمهور والسائحون فرس النهر فى بيئته الطبيعية.

ويوجد بالمتحف المصرى قطعة فنية رائعة تمثل فرس النهر مصنوعة من الخزف الأزرق وعلى الجسم رسم الفنان القديم نباتات فكأن التمثال فى بيئته، وقد علمت بوجود كثير من هذه التماثيل الصغيرة فى متاحف العالم ومن أشهرها الموجود فى متحف المتروبوليتان وآخر فى فيينا عليه رسوم زهور اللوتس وبطة تطير!

نوليوود

هناك خلاف بين نقاد السينما الأمريكيين والأفارقة حول من الذى صاغ مصطلح «نوليوود» على غرار «هوليوود» و«بوليوود» وهو مصطلح ظهر أوائل القرن الحالى، أطلق المصطلح على صناعة السينما فى نيجيريا سواء قبل الاستقلال أو بعده، والسينما المتعاونة معها سواء كانت فى غانا التى تنتج أفلاماً مشتركة مع نيجيريا أو تقوم نيجيريا بتوزيع الأفلام الغانية، وكذلك يطلق على الإنتاج السينمائى النيجيرى الإفريقى فى الشتات وتنتج هذه السينما أفلاماً روائية ومسلسلات وأفلام فيديو وتقوم بهذا الإنتاج آلاف شركات السينما المحلية فى نيجيريا.

نشرت الحكومة النيجيرية بيانات عن نوليوود لأول مرة فى عام 2014 ظهر فيها أن صناعة السينما تستثمر 3.3 بليون دولار وأنها أنتجت فى عام 2013 عدداً كبيراً من الأفلام بلغ 1844 فيلماً!! ومن أشهر الأفلام التى أنتجتها «حصاد كونجى» عام 1972، «صرخة الحرية» عام 1981.

تنقسم صناعة السينما فى نيجيريا وفقاً للأقاليم اللغوية والعرقيات والديانات ويجمع بينها الأفلام الناطقة باللغة الإنجليزية التى تتفاعل فيها كل هذه العناصر.

أبرز أنواع الإنتاج السينمائى هو سينما اليوربا التى تنتج الأفلام منذ الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى، يليها فى ذلك سينما لغة الهوسا التى مركزها الرئيسى مدينة كانو فى شمال نيجيريا ويطلق عليها المحليون لقب «كانيوود» (نسبة إلى مدينة كانو) وأسلوبها يجمع بين أسلوب السينما الهندية وأسلوب سينما الهاوسا ولها شعبية كبيرة.

أما سينما غانا فتنتج أفلاماً مشتركة مع نيجيريا حيث يشيع استخدام اللغة الإنجليزية فى البلدين، كما يتمتع ممثلو السينما فى البلدين بشعبية كبيرة فى كليهما.

وسينما «نوليوود» الأمريكية فهى الأفلام التى ينتجها النيجيريون فى الشتات خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية وتصنع خصيصاً للجمهور النيجيرى.

أنتجت الولايات المتحدة أفلاماً وثائقية مثل «مرحباً فى نوليوود» عام 2007، «ها هى نوليوود» عام 2007، «بلبلة نوليوود» NOLLYWOOD Babylon عام 2008.

وللأسف لا نجد تعاوناً فعالاً بين الدول الإفريقية فى مجال السينما كما تفعل أوروبا مثلاً، بل إن المهرجانات الأوروبية التى تقام للسينما الإفريقية هى التى يتقابل ويشترك فيها سينمائيو إفريقيا! هذا رغم وجود آلاف القصص والروايات التى يمكن وضع سيناريوهات منها تتناول التاريخ الإفريقى القديم (أنتجت السينما البريطانية فيلماً عن الملك شاكا على سبيل المثال) أو عن فترة الاستعمار والكفاح ضده (أنتجت أوروبا عشرات الأفلام عن هذه الفترة) وعن حياة الأفارقة ومشاكلهم وآمالهم بعد التحرر ونحو تحقيق التضامن الإفريقى.

وهناك بالفعل بعض الأفلام الإفريقية التى حازت نجاحاً فى المهرجانات العالمية وظهرت صناعات سينما متميزة فى بلاد مثل مصر والجزائر ونيجيريا وغانا وتونس وجنوب إفريقيا.

يا ليتنا نرى مشروعاً إفريقياً لبدء تعاون فعال فى مجال السينما بين السينمائيين الأفارقة لإنتاج الأفلام الروائية والتشجيعية

نوليوود

تمثال فرعونى لفرس النهر

والمتحركة ANIMATION (مثل سلسلة بكار للمخرجة المصرية الكبيرة د. منى أبو النصر رحمها الله والذى يمكن أن يكتسب شعبية كبيرة فى القارة).

إن مصر بسبب رسوخ صناعة السينما فيها وقدمها يمكن أن تقوم بدور مهم فى التعاون السينمائى بين دول القارة. إن ما أنتج من أفلام مشتركة قليل رغم أن أبناء القارة يمكن أن يقدموا قارتهم وشعوبهم من وجهة نظر إفريقية بعيداً عن تحيز أو خطأ كثير من الأفلام الأجنبية التى تتناول إفريقيا من خلال رؤية أجنبية، ولعل إنشاء منظمة إفريقية على غرار اليونسكو خاصة بتنمية التعاون الثقافى والعلمى والتعليمى بين دول القارة أصبحت من الضروريات لدفع مثل هذا التعاون السينمائى وغيره من المجالات.

وجدير بالذكر أن لدى مصر ستة مهرجانات سينمائية منها مهرجان الأقصر للسينما الإفريقية وبالتنسيق بين هذه المهرجانات والمهرجانات الإفريقية الأخرى وبتبادل التعاون والمشاركة يمكن وضع أسس عمل إفريقى مشترك ومثمر.

التكالب الثالث على إفريقيا

بدأت الدول الأوروبية فى احتلال مواقع على شواطىء قارة إفريقيا أثناء استكشافها الطريق البحرى إلى الهند فى القرن السادس عشر فأقامت محطات لها للتموين والتزود بالوقود وللتجارة.

وتعرف الفترة من انعقاد مؤتمر برلين فى عام 1844 إلى بداية الحرب العالمية الأولى فى عام 1914 بفترة التكالب الأول على إفريقيا أو الاستعمار الجديد، وبمجىء عام 1914 كانت دول القارة كلها عدا إثيوبيا قد احتلتها القوى الأوروبية وهى إسبانيا والبرتغال وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وإيطاليا. وغلب التفاهم بين هذه الدول على تقسيم القارة ويفسر المؤرخون هذا التكالب بأنه يعود إلى رغبة الدول الأوروبية فى الحصول على المواد الخام وفتح أسواق جديدة لمنتجاتهم ولنشر المدنية ولأن تملك المستعمرات كان يبرز هيبة الدولة.

تمت تصفية الاستعمار فى القارة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام 1975 عندما قامت ثورة البرتغال بالتخلى عن مستعمراتها.

أما ما يمكن أن نطلق عليه التكالب الثانى على إفريقيا فقد حدث منذ عام 1945 وحتى عام 1989 أى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وحتى سقوط الاتحاد السوفيتى، كان الصراع أثناء الحرب الباردة صراعاً أيديولوجياً فى المقام الأول وحاول القطبان نشر نفوذهما فى القارة الإفريقية، فالاتحاد السوفيتى وحلفاؤه يشجعون نشر النظم الاشتراكية، بينما الولايات المتحدة وحلفاؤها يحاربون أى نفوذ شيوعى فى القارة ونتج عن هذا الصراع عدة حروب بالوكالة PROXY WAR فى القارة من أهمها أزمة الكونغو (1960 - 1965)، حرب الأوجادين (1977 - 1978)، الحرب الأهلية فى أنجولا (1975 - 2002)، جنوب إفريقيا (1966 - 1990).

وقد تبلورت حركة عدم الانحياز منذ عام 1960 وانخرطت فيها معظم الدول الإفريقية التى أدركت صراع القوتين العظميين عليها.

أما التكالب الثالث على إفريقيا فقد اختلف عن سابقيه وقد بدأ منذ بدايات القرن الحالى وما زال يشتد وتشارك فيه هذه المرة القوى الكبرى: أمريكا - روسيا - الصين - الهند - اليابان - البرازيل - أوروبا وحلفاؤها، وتشارك أيضاً قوى متوسطة من خارج القارة وهى: تركيا - إيران - إسرائيل ويتضمن هذا التكالب أهدافاً عديدة للمشاركين ليست فقط اقتصادية مثل التكالب الأول أو أيديولوجية مثل التكالب الثانى بل هناك أهداف إضافية منها التواجد العسكرى وحصار النفوذ السياسى والاقتصادى للقوى الأخرى المنافسة خاصة المناوئة، فعلى سبيل المثال يشير المحللون إلى أن روسيا وقعت صفقات عسكرية مع 19 دولة إفريقية فأصبحت أكبر مورد للسلاح إلى إفريقيا، كما اتفقت على إقامة قاعدة بحرية فى بورسودان وتشارك شركات المرتزقة مثل فاجنر فى عمليات عديدة بالقارة أبرزها فى ليبيا وإفريقيا الوسطى.

وفى هذا الصدد يشار أيضاً إلى تدخل تركيا فى ليبيا وتدخل فرنسا فى منطقة الساحل والصحراء.

تشير الأكاديمية اليزابيث شميث فى كتابها عن «التدخل الأجنبى فى إفريقيا بعد الحرب الباردة» إلى أن سياسات القوى الخارجية فى شئون القارة أدت إلى تفاقم المشاكل الإفريقية لأنها تتدخل من أجل مصلحتها أولاً ولا تلقى بالاً لمصالح القوى المحلية.

يحتاج الأمر إلى أن يجرى الأكاديميون والساسة الأفارقة دراسات معمقة لفهم التضارب بين هذا العدد الكبير من القوى الخارجية التى تتدخل فى القارة لأسباب عديدة، وإدراك أن هذا التكالب جعل من القارة ساحة للصراع السياسى والأيديولوجى والاقتصادى والعسكرى. ويتطلب الأمر موقفاً جماعياً تضامنياً قوياً لمواجهة التدخلات الضارة للحفاظ على القارة وشعوبها ومصالحها، فقد تقود التدخلات القارة بعيداً عن الأهداف التى جسدتها فى أجندة إفريقيا ٢٠٦٣ التى نسعى جميعاً إلى تحقيق أهدافها.

آفاق الحرب الباردة الامريكية الصينية

شهدت البيئة الدولية الحالية والإقليمية العربية والإفريقية متغيرات إستراتيجية جديدة خاصة على صعيد العلاقات الأمريكية الصينية والأمريكية الروسية ودور منظمة حلف شـــمال الأطلنطى الناتو المستجد، خاصة فى ضوء التوتر الأمريكى الفرنسى بعد إلغاء أســـتراليا لصفقة الغواصات الفرنسية النووية المالية الضخمة لأستراليا وتداعياتها على حلف الناتو، ودور منظمة الأمم المتحدة وأجهزتها الرئيسية خاصة دور مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة والأمين العام للأمم المتحدة فى حفظ السلم والأمن الدوليين.

سفير د. يوسف الشرقاوى
yelsharkawy@yahoo.com

وماذا عن الأدوار الجديدة للمنظمات الإقليمية فى هـــذا الإطار خاصة منظمة شـــنغهاى ومنظمة الأسيان بشكل أساسي؟

وماذا عن دور الاتحاد الأوروبى المستجد بعد خروج بريطانيا منه ودور الاتحاد الإفريقى ودور منظمة الدول الأمريكية ومنظمة التعاون الإسلامى وماذا عن دور جامعة الدول العربية فى هذا الشأن؟

إنه من المهم الإشـــارة أيضاً إلى أننا أصبحنا نتعايش فى إطـــار تداعيات فيروس كورونا كوفيد-١٩ ونتكيف معها فى ظل حمـــلات توجيه مكثفة للتطعيـــم الإجبارى للوقاية من فـــيروس كورونا وتحوراتـــه وأصبحنا ندخـــل فى مرحلة جديدة فى النظام الدولى المعاصر مفادها تخفيف قيود العزل الصحـــى والتعايش مع موجات هوجاء من جائحة كورونا المســـتجد كوفيد ١٩، المتـــدة، والتطعيم الإجبارى فى معظم الدول وفرض الشهادة الصحية المعتمدة عند الســـفر من دولـــة لأخرى فى مصر وجميع دول العالم مع اتخـــاذ الإجراءات الوقائية والاحترازية اللازمة فى كافة ربوع العالم وفقاً لنظام منظمة الصحة العالميـــة والأنظمة الوطنية لمقاومة ذلك العدو الخفى الخبيث وســـط جدل إعلامى من البعض عن حرب جرثومية وخلافات لم تحســـم حتى سعت تاريخه حول منشأ وسبل تسريب ذلك العدو الخفى الخبيث للإنســـانية دون تقديم أية معلومات علمية دقيقة.

يمكن الإشـــارة فى هذا الصدد إلى بعض الأبعاد والتســـاؤلات المهمة لأزمة جائحـــة كورونا فى مصر والعالم قبل التعرض للمستجدات على صعيد العلاقات الأمريكية - الصينية والتراشـــق الإعلامى المتزايد من حين لآخر ومسألة الحرب الباردة فى المرحلة الحالية من عدمها والمستجدات فى الصين والولايات المتحدة والتأثير على مسار الحرب الإعلامية من حين لآخر بين البلدين.

ومن التساؤلات المهمة فى هذا الصدد الآتى:

هل مواجهة جائحة كورونا وســـيلة لتحقيق التضامن والعمل المشترك لمواجهة تلك الجائحة على المستوى الدولي؟

أم أن كورونا ورقة للاســـتثمار الســـياسى لتحقيق أهداف محددة؟

أم ورقة تســـتخدم للعب بها على التناقضات الإقليمية والدولية لتطويق الخصوم وإضعافهم؟

أم وسيلة للمســـاهمة وحشد الحلفاء من أجل تشـــكيل النظام الدولى الجديـــد خاصة من جانب الولايات المتحدة والصين وروسيا والاتحاد الأوروبى فى المرحلة الحالية وما هى سياســـات الاحتواء من عدمها؟

وما هـــى التوقعـــات المســـتقبلية لتطورات الاقتصـــاد الأمريكى والصينـــى والعالمى وحركة انتقال الأفراد والشـــئون القنصليـــة المتنوعة لهم والنظام الصحى اللازم للتعامل فى هذا الصدد؟

تجدر الإشـــارة إلى أن تلك الأزمة على المستوى الدولى مازالت تطرح تأثـــيرات على الاقتصاد العالمى حيث أصابت قطاعات متعددة بخسائر فادحة خاصة فى:

- مجالات السياحة والسفر وشركات الطيران وإن كانت حركة السياحة الداخلية والدولية بدأت تنشط بقوة فى مصر وفرنســـا وإيطاليا وسويسرا والولايـــات المتحدة، وبدأت الســـعودية فى تخفيف قيود السفر والعمرة والحج وكذا الإمارات والكويت وغيرهم بسبب ذلك الوباء.
- قطاعات الشركات المنتجة.
- البورصات العالمية وأسواق الأسهم.
- تجارة السيارات.
- تسويق والإنتاج السينمائى والفنى.
- المعارض والمهرجانات الحية.

اســـتغناء العديد من الـــشركات عن كثير من موظفيها فى مختلف ربوع العالم وقد أشار صندوق النقد الدولى عدد إبريـــل ٢٠٢٠ إلى أن هذه الأزمة منقطعة النظير لما يلى:

أولاً، هنـــاك صدمة كبيرة، فمـــن المرجح أن تتضاءل الخســـائر التى أشعلت فتيل الأزمة المالية العالمية أمام خسائر الناتج المصاحبة لهذا الطارئ الصحى وإجراءات الاحتواء المرتبطة به وعلاجه كما ظهر فى عام ٢٠٢١.

ثانياً، على غرار أى حرب أو أزمة سياســـية، هناك حالة عدم يقـــين ولكن أقل حدة عن ذى قبل بشأن مدة الصدمة ودرجة حدتها.

ثالثـــاً، فى ظل الظروف الراهنـــة، هناك دور مختلف تماماً للسياســـة الاقتصادية. ففى الأزمات العادية، يسعى صناع السياسات فى المرحلة الحالية إلى تشجيع النشاط الاقتصادى والحوافز عن طريق تحفيز الطلب الكلى بأسرع وقت ممكن.

ولازالت تعكـــس تنبؤات الاقتصـــاد العالمى الواردة فى ذلك التقرير مســـار الجائحة وإجراءات الصحـــة العامة اللازمة لإبطاء انتشـــار الفيروس وحمايـــة الأرواح وإتاحة الفرصـــة لنظم الرعاية الصحية كى تتعامل معها على نحو فعال.

وفى هذا الصدد، فقد استفدنا من عدة حوارات مع متخصصين فى الوبائيـــات، وخبراء فى الصحة العامـــة، ومتخصصين فى الأمـــراض المعدية ممن يعملون على إيجاد أدويـــة تعالج فيروس كورونا (كوفيـــد - 19). ولكن يظل هنـــاك قدر غير كبير من عدم اليقين حول التنبؤات، والجائحة نفســـها، وتداعياتها الاقتصادية الكلية، والضغوط المصاحبة لها فى الأسواق المالية وأسواق السلع الأولية.

ومن المرجح أن يمر الاقتصاد العالمى هذا العام بتطورات إيجابية منذ ســـنوات «الكساد الكبير»، متجاوزاً فى ذلـــك كل تداعيات الأزمة المالية العالمية منذ 10 سنوات أن هناك تعافياً فى عام 2021، حيث أصبح النمو الاقتصـــادى خاصة فى مصر موضع تقدير المنظمـــات الاقتصاديـــة الدولية وتحققت إنجازات ملموسة وضخمة خاصة على صعيد الأبنية التحتية وتشييد الطرق والكبارى الضخمة وعالية الجودة عالمياً.

كما حققت بعض الدول الأخرى معدلات أعلى فى الاتجاه العام.

يلاحظ أن مستوى إجمالى الناتج المحلى عالمياً ســـيظل أدنى من الاتجاه العام فى فـــترة ما قبل الفيروس، مع قـــدر من عدم اليقين حول مدى قوة التعافى. ومن الممكن، بل وربما من الأرجح، أن تكون نتائج النمو صعبة. وســـيحدث هذا إذا اســـتمرت الجائحة وإجراءات الاحتواء مـــدة أطول، أو وقع ضرر أكثر حدة على اقتصادات الأســـواق الصاعدة والاقتصادات النامية، أو اســـتمر تشديد الأوضاع الماليـــة، أو إذا ظهرت آثار غائرة واســـعة النطاق بسبب إغلاق الشركات واستمرار البطالة.

وســـيتعين التعامـــل مع هـــذه الأزمة على مرحلتين: مرحلة للاحتواء وتحقيق الاستقرار تليها مرحلة للتعافى. وفى كلتا المرحلتين، هناك دور حاسم لكل من الصحة العامة والسياســـات الاقتصادية. وتكتســـب عمليات الحجر الصحى والإغلاق العام والتباعد الاجتماعى أهمية حاسمة فى إبطاء انتقال العدوى، مما يعطى نظـــام الرعاية الصحية وقتاً كافياً للتعامل مع طفرة الطلب على خدماته وإمهال الباحثين وقتاً كافياً لمحاولـــة إيجاد أدوية ولقاح. ويمكن أن تســـاعد هذه الإجراءات على تجنب ركود النشاط الاقتصادى بصورة أشد وأطول أمداً وتهيئة السبيل لتعافى الاقتصاد.

ومن الضرورى زيادة الإنفـــاق على الرعاية الصحية لضمان توافر القـــدرات والموارد اللازمة لنظم الرعاية الصحية. وينبغـــى النظر فى إعطاء معاملة خاصة للمشـــتغلين بالمهن الطبية – الذين يقفون فى الصفوف الأمامية لمكافحة الجائحة – بما فى ذلك، على ســـبيل المثال، إعطاؤهم منحاً لتعليم أسرهم أو تعويضات سخية للورثة فى حالة الوفاة.

إنـــه فيما يتعلـــق بتأثير تطـــور العلاقات الأمريكيـــة الصينية وإدارتهـــا وقضية كورونا فى الوقت الحالى ربما قد تدخل فى إطار تساؤلات حول الدخـــول فى خضم حرب بـــاردة جديدة من عدمه بسبب فيروس كورونا المستجد (كوفيد - ١٩) بدلاً

من أن يكون تحدى هذا الفيروس الخطير والخبيث عامل تضامن إذا بـــه يمثل حتى الآن عامل خلاف بين الجانبين ولكن لم يمنع ذلك من إنتاج لقاحات جيدة تستخدم معظمها فى دول العالم.

يلاحظ أن هناك عوامل لازالت تعكر صفو ومسار تطور العلاقات بين الولايات المتحدة والصين منها:

– ما يتعلق بقضايا خلافات إســـتراتيجية بين البلدين خاصة تايوان ورفض بكين بيع أســـلحة عسكرية لها.

– هونج كونج ومســـألة لجوء الصين إلى سن قوانين جديدة تتعلق بتحقيق الأمن القومى الصينى خاصة ما يتصل بالوضع فى هونج كونج بعد حادثة اعتراض قوة بحرية وجوية صينية لمدمرة أمريكية فى بحر الصين الجنوبى مؤخراً وتطورات أخرى فى بحر الصين الجنوبى ومناطق شرق وغرب ووسط آسيا.

– مسألة حرب العملات بين الجانبين الأمريكى والصينى أى بين الدولار الأمريكى واليوان الصينى.

– الحرب التجارية المتنوعة فى أســـاليبها بين واشـــنطن وبكين تؤثر على مســـار العلاقات بين الجانبين وأشكاله – قضايا حقوق الإنسان.

وأنه على الرغم من وجود خلافات إستراتيجية بين الجانبـــين حتى الآن خاصـــة فى إطار بعض الدوائر المهمـــة مثل دائرة مجلـــس الأمن الدولى والجمعية العامة للأمم المتحدة ونطاق بحر الصين الجنوبى الحيوى إلا أنها فى تقديرى لازالت تســـير فى أطر وتحـــركات عقلانية ومحكومة من الجانبين لاعتبارات اقتصادية وإستراتيجية وأمنية وعسكرية ونووية واستخباراتية دقيقة فى المرحلة الحالية على الرغم من تغير أساليب التعامل الإعلامى والتراشق الإعلامى بين الجانبين من حين لآخر فى ظل الإدارة الأمريكية الحالية.

يلاحظ أن الجانب الأمريكى فى عهود مختلفة بل وفى المرحلة الحالية حريص على إدارة العلاقات مع الصين بشـــكل محكم وإن كانت هناك مساع فى نفس الوقت تهدف إلى التأثير على الاســـتثمارات الأمريكية والأوروبية ومن أســـتراليا فى الصين وكذا فيما يتعلق بالاستثمارات الصينية المتزايدة بشكل واسع فى الولايات المتحدة وحشد حلفاء واشنطن فى هذا الاتجاه.

إنه من المهم التأكيد فى هذا الشـــأن أيضاً على أن هناك مصالح إستراتيجية متنامية معقدة تربط بكين وواشنطن خاصة منذ زيارة الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشـــارد نيكسون للصين عام ١٩٧٢ بعد نجاح مـــا يمكن وصفه بدبلوماســـية البنج بونج قبيل تلك الزيـــارة وما قام به الســـفير الأمريكى حينذاك جـــورج بوش الأب (ثم رئيســـاً للولايات المتحـــدة الأمريكية بعد ذلك) ونجـــح الجانبان فى ذلك الوقت فى تطوير علاقات إســـتراتيجية ممتدة فى مختلف المجالات السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية.

ومن الواضح أن عملية تطوير العلاقات الأمريكية الصينية مستمرة رغم المشـــاكل التى واجهتها ومن ثمار ذلك علاقات تجارية قوية متبادلة بين الولايات المتحدة والصين، وليس تحالفاً سياسياً أو عسكرياً، تخطى حجم التبادل التجارى بينهما حوالى الـ٧٠٠ مليار دولار سنوياً كما توصل الطرفان لاتفاق تجارى إستراتيجى فى يناير ٢٠٢٠ يفترض أن تستورد الصين بموجبه ما يقدر بـ٢٠٠ مليـــار دولار أمريكى من الولايات المتحدة خاصة من المنتجات الزراعية.

يضاف إلى ذلك فى هذا السياق أن لدى الصين سلاحاً مالياً مهماً من بين أدواته القوية ملكية دولة الصين الشعبية فى سندات الخزانة الأمريكية حوالى ١.١٢ تريليون دولار.

هذا إلى جانـــب القـــدرات التكنولوجية وفى مجـــالات تكنولوجيـــا المعلومـــات والكمبيوتـــر والاتصالات والصناعة الرخيصـــة وعالية الجودة وغير ذلك التى تتمتع بها الصين بمزايا نسبية.

وبناء على ذلك فإن الجانبين يأخذان فى الاعتبار مصالحهما التجارية أيضـــاً التى أضحت عضوية وعميقة الجذور بشـــكل مشـــترك وممتد وعميق الجذور وفهم دقيق للأضرار المتبادلة المشتركة.

وهنا تبرز بعض التساؤلات المهمة منها:

ما مدى نجاح واشـــنطن أو بكين فى مجالات التنافس بينهما من أجل فتح أســـواق بديلة له فى آسيا وأوروبا والدول العربية؟

ما مدى نجاح مسعى الهند الحثيث إلى الإحلال محل الصين بقدرات تنافسية وبناء مناطق صناعية بشروط تحفيزية؟

ما هو تأثـــير التوازنات الإقليميـــة والدولية الســـائدة فى إطار العلاقات الأمريكية الصينية على الوطن العربى وقضايا الأمن القومى العربى ودور إيران وتركيا وإثيوبيا وإسرائيل فى المنطقه العربية.

وسوف يطرح ذلك سؤالاً مهماً وإستراتيجياً وهو أن إضعاف الصين يعنى تعزيز قوة روســـيا والهند..

فهل تقبل واشنطن ذلك؟

وما تأثير ذلك على الوضع فى الشرق الأوســـط وآســـيا والعالم والتوازن الـــدولى والنظام الدولى الجديد فى هذا الشأن.

– تجدر الإشـــارة إلى أن الصين شـــهدت فى العقود الأخـــيرة تطورات داخليـــة كبيرة فى عدة مجالات اقتصادية وعسكرية وتكنولوجيا المعلومات وفى هذا الإطار فقد ذكر الأدميرال فيليب دافيدسون الذى يشرف على القوات الأمريكية فى آسيا أن الصين هى أكبر تهديد إستراتيجى للولايات المتحدة واعتبر أن الصين قـــادرة على تخطى التقدم العســـكرى الأمريكى فى غضون خمس سنوات وفى إطار إعلان واشـــنطن رســـائل القوة المفتوحة لها فقد كثفت واشنطن حضور ســـفنها الحربية فى بحر الصين الجنوبى كما شهدت المنطقة مناورات تحت عنوان حرية الملاحة فى تلك المنطقة انضمت إليها فرنســـا وبريطانيا.

– يثار ذلك وسط ما أسميه بالجدل الإعلامى حول مفهوم جديد مفاده مسألة الردع الجرثومى بـــين بكين وواشـــنطن المرتبط عمليـــاً وتاريخياً بإســـتراتيجية الردع النووى الذى كان سائداً بين القـــوى النووية فى العالم منذ الحـــرب الباردة فى خمسينيات القرن الماضى ولكن بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى سابقاً.

إن مفهوم الحـــرب الجرثومية لا ينطبق على العلاقات الصينية الأمريكية ومسألة انتشار فيروس كوفيد – ١٩ حالياً نظراً لعدم توفر معلومات رسمية دقيقة تؤكد هذا المفهوم حتى الآن.

وفى ضوء ما تقدم وعلى الرغم من مسار التراشق الإعلامـــى أحياناً فى المرحلـــة الحالية بين الجانبين الأمريكى والصينى حول منشـــأ وتصنيع وتسرب فيروس كورونا المســـتجد (كوفيد – ١٩) من مركز الأبحاث الصينـــى فى ووهان والدعوة إلى تحقيقات حول مســـئولية الصين فى نشر الوباء والاستثمار الســـياسى وقرار الرئيس الأمريكى السابق بإغلاق القنصلية الصينية فى مدينة هيوستن إلا أن الطرفين الأمريكى والصينى مـــازالا فى رأيى حريصين على إدارة العلاقـــات والمصالح الإســـتراتيجية بينهما والتعايش معـــاً فى المرحلة الحالية وعدم تأثير ذلك على تشـــكيل النظام الدولى الجديـــد والوضع فى المنطقـــة العربية رغم زيادة معـــدلات التطورات الاقتصاديـــة والعلميـــة والتكنولوجية وإن جرت محاولة اســـتخدام ورقة فـــيروس كورونا إعلامياً للتأثير على العلاقات بين بكين وواشـــنطن ورسم التوازنات الإقليمية والدولية سياسياً واقتصادياً بعد نهاية مرحلة كوفيد – ١٩.

وسوف تظل جائحة كورونا ورقة تستخدمها وتستثمرها الولايات المتحدة الأمريكية وجمهورية الصين الشـــعبية وغيرهما فى الاتجاه الذى يحقق المصالح القومية العليا لهم.

– وإن من المســـارات الرئيسية التى تؤثر على علاقات واشـــنطن وبكين هى عمليـــات التصعيد الإعلامية المتبادلة الروسية الأمريكية من حين لآخر وتأثيرها على قضايا الأمن والسلم الدوليين وقضايا الحد من التسلح والأوضاع فى أفغانستان وأوكرانيا والتشيك وبولندا والمجر والأمن الأوروبى وأمن دول حلف الناتو وتعزيز التواجد العســـكرى فى البحر الأســـود وبحر البلطيق وتبادل طرد الدبلوماسيين والعقوبات المتبادلة.

كما أن تحركات روســـيا فى العراق وســـوريا وليبيـــا وأفغانســـتان والخليج تعكـــس مصالح مختلفة.

فما مـــدى تأثير ذلك على الأمن القومى العربى وتحركات الولايات المتحدة والصين.

إنـــه من المهم عقد قمـــة أمريكية صينية من أجل التوصل إلى تفاهمات حول قضايا الخلاف بين واشنطن وبكين؟

كما ينشـــط مســـار جديد فى المرحلة الحالية مفاده ما أسميه شد الأطراف للوطن العربى ودول الجوار خاصة من جانب إيـــران وتركيا وإسرائيل لتقويـــة علاقاتها مع الولايـــات المتحدة والصين. كما يبرز ذلك فى المســـاعى التى تبذل فيما يتصل بالبرنامج النووى الإيرانى ومســـألة إعادة الاتفاق النووى الإيرانى فى ثوب قشيب ومتوازن من الولايات المتحدة والصين وجميع دول ٥+١ مع إيران يراعى قضايا الأمن القومى العربـــى وغيرها، كما يتضح ذلك فيما يتعلق بتوقيـــع الصين وإيران على اتفاق إستراتيجى فى ٢٧ مارس ٢٠٢١ الذى يعد امتداداً جديداً للمشروع الصينى الخاص بمبادرة الحزام والطريق، التى تشمل بناء طرق تربط الصين ببقية أنحاء العالم مما يمكنها من توســـيع نفوذها كقوة عالمية وفى منطقة الشرق الأوسط.

كما ستســـتمر العلاقات التجارية العضوية عميقة الجذور والقوية بين الجانبين نظراً للمصالح التجارية العميقة والسياســـية العليا بينهما فى ظل توتر وتراشق إعلامى انخفض عن ذى قبل من حين لآخر ولكن فى إطار ســـلوك عسكرى ونووى وأمنى وتجارى ودبلوماسى واستخباراتى عقلانى منضبط بين واشنطن وبكين لا يرتفع – فى رأيى – فى المرحلة الحالية إلى درجة حرب باردة قوية تهدد العلاقات بين الجانبين.

كما لا يؤثر ذلك بشكل كبير على الوطن العربى والأمن والاســـتقرار فى المنطقـــة العربية وإفريقيا والشرق الأوســـط خاصة ما يلاحظ من السياسات العميقة مـــن جانب الصين والولايـــات المتحدة فى المرحلة الحالية فى إدارة علاقاتهما الدبلوماســـية مع العالم العربى والشرق الأوســـط وإفريقيا من خلال القنوات الثنائية مع الدول بصرف النظر عن علاقاتهم مع واشنطن وبكين.

المركز القانونى لإسرائيل من وعد بلفور إلى قرار تصفية الاستعمار فى ضوء ميثاق وقرارات الأمم المتحدة،والنتائج المترتبة على ذلك

(1) وعد بلفور

انتهزت بريطانيا ظهور الحركة العرابية فى مصر، والحركة المهدية فى السودان لتنقض مع العام 1882 لتحتل مصر والسودان، كأول نهش فى تركة الرجل المريض تركيا.

مستشار حسن أحمد عمر
portomar131@yahoo.com

وفى العـــــام 1915 سعت بريطانيا إلى الشريف حســـين والى الحجاز - وقتذاك - ومنحتـــه وعد «كيتشـــنر - مكماهون» باســـتقلال الدولة العربية، وجعله خليفة عليها، شريطـــة مؤازرته لها فى حربها ضد الدولـــة العثمانية، ففعل وتحالف معها. ولكنها غدرت به فى العام التالى عندما قامت بإبرام اتفاقية «سايكس ـــ بيكو» السرية بينها وبين فرنسا، وقسمت الدولة العربية الوعيدة، بينهما، وحرصت فى تلك الاتفاقية على إبعاد نفوذ فرنســـا عن أهم قواعدها فى السويس، وجعلت من الاحتفاظ بنفوذها فى فلسطين سبيلاً لذلك.

لم يرق ذلك لفرنسا الدائمة الحنين لقناة السويس التى شـــقها الفرنسى ديليسبس، كما لـــم يلق ذلك قبولاً عنـــد ألمانيا حليفة تركيا، والتى وجدت نفسها - بعد أن أُبعدت عن ميـــاه البحر الأحمـــر - تبعد عن مياه البحر الأبيض أيضاً، وخلت روسيا وأمريكا نفسيهما بعيداً عن كعكة التقسيم.

لذلك سعت كل دولة من الدول السابقة بطريقتها للعـــب بالورقة اليهودية، لإيجاد موطئ قدم لها فى فلســـطين بجوار القاعدة البريطانية فى الســـويس، وفى ذات الوقت، وللتخلص من اليهـــود المقيمين لديها فيما كان أطلق عليه المســـألة اليهودية، فأوروبا المسيحية لا تغفر لليهود قتلهم للمسيح.

بيد أن بريطانيا صانعة مبدأ فرق تسد، سحبت البســـاط من تحت أقدام الجميع، وأحرقت الورقة اليهودية فى أيدى الجميع، وذلـــك عندما أعلنـــت فى 2/ 11/ 1917 وعدها، وعد بلفور المشئوم، وفيه، حرصت عـــلى منح اليهـــود وعداً بوطـــن قومى فى فلســـطين، وليس وعداً بدولة - فهى ليست من الغفلة بمكان لتستبدل الأطماع الأوروبية والأمريكية - بالتواجـــد بجوار قاعدتها فى السويس - بالأطماع اليهوديـــــة بإقامة دولة لهم بجوارها.

لذلك حرصت عـــلى النص فى الوعد على أنه وطن قومى لليهود، أى ملجأ قومى لهم، يقتصر على منحهم حقوقاً مدنية ودينية فى فلسطين فحسب - دون الحقوق السياسية - وعند التعارض بين تلك الحقوق وحقوق السكان الأصليين فإن العلوية تكون لحقوق السكان الأصليين.

وحتى تحرم بريطانيا الأطماع الأوروبية والأمريكية من ميـــزة التخلص من اليهود، حرصت على أن تنص بـــأن الوعد لا يمس بحقوق اليهود وأوضاعهم السياسية فى تلك البلدان.

عليه.. يصبح المركـــز القانونى للوطن القومى لليهود فى فلســـطين المبين فى وعد بلفور.

من حيث الشكل: هو وعد من مستعمر إلى مســـتعمر، أى وعد ممن لا يملك لمن لا يستحق.

ومن حيث المضمون: هو وعد بوطن أو بملجأ قومى لليهود - وليس بدولة - يقتصر على منحهم الحقـــوق المدنية والدينية دون السياسية فى فلسطين، وعند التعارض تكون العلوية لحقوق الفلسطينيين، وأن الحقوق والأوضاع السياسية لهؤلاء اليهود فى بلدانهم الأصلية مصانة لا تمس.

ومـــما يلفـــت النظـــر أن بريطانيا استخدمت أســـلوب النكرة فى تعبير الملجأ، إذ لم تذكر الوطن القومـــى لليهود، وإنما ذكرت وطناً قومياً لليهود، حتى يكون هناك أكثر من وطن قومى لليهـــود فى أوغندا فى الأرجنتين فى نيويورك، وهذا الأســـلوب هو الذى أوردته بريطانيـــا فى صياغتها لقرار مجلس الأمن 242 حيث لم تذكر انسحاب إسرائيل من الأقاليـــم العربية التى احتلتها فى حرب 1967، وإنما أوردت انســـحاب إسرائيل مـــن أقاليم عربية احتلتها فى حرب 1967 !!

هذا المركز القانونى، على نحو ما سبق بيانه ليس بجديد، إذ ســـبق للجنة كراين الأمريكية فى العـــام 1919 أن أكدت عليه شكلاً، ومضموناً، ومفهوماً.

وبالرغم من أن لجنة كراين التى شكلها الرئيس الأمريكى ويلسون فى مؤتمر باريس فى العام 1919 لتقصى رغبات الســـكان فى فلسطين والشام، قد انتهت إلى تحديد ذات المركز القانونى للوطـــن القومى لليهود فى فلســـطين، الذى أرادتـــه بريطانيا لوعدها المشـــئوم وعد بلفور، إلا أنها قد زادت عليه بأن طالبـــت بإلغاء أو تعديـــل المشروع الصهيونى الباغى إلى إقامة دولة لليهود فى فلسطين على حساب هضم حقوق السكان الأصليـــين، حال كونه يتعـــارض ومبادئ الرئيـــس الأمريكى ويلســـون خاصة فيما يتعلق بالحق فـــــــى تقرير المصير، وفى منع الاســـتيلاء على أراضى الغير بالقوة المسلحة أو بالاحتيال.

بالرغم من ذلك فقد خشـــيت بريطانيا من التوصيـــات الختامية للجنة الداعية إلى توحيد ســـوريا ولبنان وفلسطين فى دولة واحدة ووضعها تحـــت وصاية دولة غنية وفتية! كانت الخشية البريطانية مرجعها أن اللجنة أوصت بأن تكون الدولة الواصية هى الولايات المتحدة الأمريكية لا بريطانيا!

ومن الطريف أن نذكـــر أن بريطانيا، التى لم تنس لفرنسا - شريكتها فى اتفاقية «ســـايكس - بيكو» - محاولتهـــا اغتنام فلسطين، متعدية بذلك على نصيب بريطانيا فى الغنيمة التركية، وقتما أصدرت تصريح «جول كامبو» سكرتير الخارجية الفرنسية إلى «سوكلوف» ممثل الحركة الصهيونية فى 4/ 6/ 1917 - أى قبل وعد بلفور بأشهر - بتعاطف فرنســـا مـــــــع الحركة الصهيونية.. لتنمية الاستعمار اليهودى فى فلســـطين! فردت بريطانيا الصاع صاعين، لفرنســـا، وقتمـــا حاولت إقصـــاء النفوذ الفرنسى عن ســـوريا ولبنـــان معاً، وذلك حـــين أقنعت الأمير فيصـــل نجل الشريف حســـين - برغم معارضة والده - بتوقيع

وعد بلفور باطل منذ اطلاقه

اتفاق مع جولدمان وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية فى 3/ 1/ 1919 ينص على موافقة الأول على وعد بلفور، شريطة مساعدة الثانى له، بمشاركة بريطانيا، فى تمكينه من حكم سوريا ولبنان وإبعاد النفوذ الفرنسى عنهما.

وإذ بلجنة كراين فى أغسطس (آب) 1919 تفاجئ الجميع، وتوصى بإبعاد فرنسا عن سوريا ولبنان، وبإقصاء بريطانيا عن فلسطين، لتوضع جميع تلك الولايات التركية تحت الوصاية الأمريكية.

(٢) صك الانتداب البريطانى على فلسطين

استشاطت تلك التوصية الفكر الدبلوماسى البريطانى، فعجلت بريطانيا إلى صياغة انتدابها على فلسطين، بإقرار من عصبة الأمم، منتهزة عدم انضمام الولايات المتحدة لتلك العصبة، وفى ذاك الصك حرصت على استنفاذ وعدها المشئوم فيه، فأوضحت أن الدولة الواقعة تحت الانتداب هى «فلسطين»، وليست الدولة اليهودية بالطبع، ونصت فى المادة (7) منه على قيام سلطة الانتداب بسن تشريع الجنسية الفلسطينية ينص فيه على منح اليهود المقيمين فى فلسطين الجنسية الفلسطينية، وكان هذا بمثابة أول حق سياسى يحصل عليه اليهود فى فلسطين، بالرغم من أن وعد بلفور ذاته لم يعط لهم مثل هذا الحق، ولكن النص على نحو ما سبق، يقضى بمنع اليهود الجدد من الحق فى الحصول على الجنسية الفلسطينية، كما أن من مقتضاه أيضاً التمهيد لاستقلال الدولة الفلسطينية بدستورها وقوانينها، بما يسمح بالنص فيها على حقوق اليهود المدنية والدينية المنصوص عليها فى وعد بلفور.

وهو ما فهم منه اليهود أن حلمهم بإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين قد ذهب بلا رجعة مع الريح، أو مع نصوص الصك الانتدابى على فلسطين، فاعترضوا عليه، وبدءوا عملياتهم الإرهابية ضد بريطانيا فى فلسطين بداية بعملية نسف فندق الملك داود بالقدس والذى كان يقيم فيه الحاكم البريطانى.

ومما هو جدير بالذكر أن صك الانتداب طلب من سلطة الانتداب تحديد حدود الدولة الفلسطينية، فانتهزت بريطانيا فرصة احتلالها أيضاً لمصر، فقامت بنقل أم الرشراش من الخارطة المصرية إلى الخارطة الفلسطينية، وهو ما جعل الرئيس حسنى مبارك يذكر فى حواره مع جمال الشاعر: « أصل أم الرشراش دى كانت بتاعتنا والإنجليز أدوهالهم» طبعاً هنا كان يجب على الرئيس أن يكمل بأنه لا تملك بريطانيا سلب أرض مصرية ومنحها لدولة أخرى، وهذه مقدمة مهمة لمن يبحث عن المركز القانونى لأم الرشراش، وعندما احتلت القوات الإسرائيلية فى 9 مارس 1949 فى عملية عوفدا منتهكة بذلك اتفاقية الهدنة المصرية الإسرائيلية الموقعة فى 24 فبراير 1949 ووصلت باحتلالها إلى منطقة بير قطار شمال طابا، وأطلقت على المنطقة إقليم بير قطار لتبعد الباحث عن أم الرشراش، وذلك حسبما جاء فى البند السادس من قرار مجلس الأمن رقم 89 الذى أورد أن مجلس الأمن أخذ علماً بقرار الحكومة الإسرائيلية الانسحاب من إقليم بير قطار فى ضوء قرار الضابط المشرف على عملية الهدنة، ولكن إسرائيل منذ 9 مارس 1949 وحتى اليوم لم تسحب قواتها من الإقليم.

والغريب أن اليهود لم يعترفوا بهذا الصك – صك الانتداب – إلا فى العام 1979 عندما وقعوا مع مصر معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، التى تضمنت أن الحدود الدولية بين مصر وإسرائيل هى الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب، فيما لا يتعارض ووضع قطاع غزة، وفى العام 1994 عندما أبرموا مع الأردن معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية. وكان هذا الاعتراف لغرض فى نفس يعقوب، سنعرض لفضحه فيما بعد.

وهكذا يتبين لنا أن المركز القانونى للوطن القومى لليهود فى فلسطين لم يتغير فى صك الانتداب عنه فى الوعد، غير أنه كشف وأكد على أن فى فلسطين دولة واحدة هى فلسطين، وأن لا سبيل للأطماع اليهودية فى إنشاء دولة لهم فيها، وقد حصل اليهود ولأول مرة منذ صدور الوعد المشئوم على حق سياسى تمثل فى حصول اليهود المقيمين فى فلسطين على الجنسية الفلسطينية، ومنع غيرهم من القادمين الجدد من الحصول عليها.

ومن الملفت للنظر، أن هذا المفهوم القانونى المتقدم، يجد سنده فى القرار المشترك لمجلس الشيوخ والنواب الأمريكى فى 30/ 6/ 1922. وفيما أوردته الكتب البيضاء الثلاثة التى أصدرتها حكومة بريطانيا لتفسير وعد بلفور، فى 1/ 7/ 1922، وفى 31/ 11/ 1930، وفى 17/ 5/ 1939.

(٣) توصية تقسيم فلسطين وقيام دولة فلسطين اليهودية

وهذا المفهوم القانونى هو الذى يشرح لنا سبب امتناع بريطانيا – فيما بعد – عن التصويت على توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181 لعام 1947 بتقسيم فلسطين، وعلى توصية مجلس الأمن رقم 69 بقبول إسرائيل عضواً فى المنظمة الدولية، وعلى قرار الجمعية العامة المشروط رقم 273 بقبول إسرائيل عضواً فى المنظمة الدولية.

وقد يظن البعض أنه مع توصية التقسيم يتحول المركز القانونى لليهود فى فلسطين من الحق فى الحصول على الجنسية الفلسطينية، والحق فى الحصول على وطن قومى يقتصر على الحقوق المدنية والدينية المقيدة، يتحول إلى الحق فى الحصول على دولة فى جزء من فلسطين.

كما قد يظن البعض أيضاً، أن اليهود قد نجحوا أخيراً فى إقامة دولة لهم فى فلسطين، هى «دولة فلسطين اليهودية» والتى أسموها «إسرائيل» – بغرض إبعاد مسمى فلسطين – كبداية لتنفيذ مشروعهم الصهيونى المرفوض من قبل السكان والقوى الدولية، وذلك بعدما نجحوا – بالحيلة والغدر – فى استصدار توصية التقسيم 181 لعام 1947، وفى الحصول على عضوية الأمم

المركز القانونى لإسرائيل من وعد بلفور

المتحدة فى العام 1949!

بيد أن اليهود أنفسهم لم يساورهم هذا الظن، مع رغبتهم فى العمل على تنفيذه مستقبلاً، وذلك للأسباب القانونية التالية:

إن قبول إسرائيل عضواً فى الأمم المتحدة بموجب قرار الجمعية العامة 273 قد جاء مشروطاً بوجوب تنفيذ توصية التقسيم كاملة، وبوجوب عودة اللاجئين الفلسطينيين تنفيذاً للقرار 194.

•إن الشعب الفلسطينى لم يقبل بتوصية التقسيم.

•إن تلك التوصية تتعارض ووعد بلفور، وتنتهك أحكام صك الانتداب.

•إن تلك التوصية تتعارض مع أحكام ميثاق الأمم المتحدة خاصة الفصلين الثانى عشر بعنوان تصريح يتعلق بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى، والثالث عشر تحت عنوان فى نظام الوصاية الدولية.

•كما أنها تتعارض وأحكام الاستخلاف الدولى المنظم لاستخلاف الأمم المتحدة لعصبة الأمم.

عليه: يصبح المركز القانونى للوطن القومى لليهود فى فلسطين، بموجب توصية التقسيم، وبمقتضى إعلان دولة إسرائيل بمثابة دولة استعمارية استيطانية أقيمت على جزء من فلسطين - ضد رغبة سكانها الأصليين - وبالمخالفة للوعد المشئوم، والصك الانتدابى. فتصبح كشخص معنوى من أشخاص القانون الدولى المتمتع بالإرادة الشارعة، قابل للإبطال فى أية لحظة إن اكتشفت المحاذير القانونية آنفة البيان. إذن أضحت إسرائيل دولة استعمارية قابلة للإبطال. ذلكم هو المركز القانونى الذى أدركته إسرائيل.

(٤) قرار تصفية الاستعمار، وقرار حماية حقوق الشعب الفلسطينى غير القابلة للتصرف

وقد حدث ما توقعته الدبلوماسية الإسرائيلية، وما كانت تخشاه إدارتها القانونية، ووقع الزلزال، وجاء البطلان.

وقد حدث وقتما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 1514 (د ـ 15) فى 14 ديسمبر/ كانون الأول فى العام 1960، بإعلان منح الاستقلال للبلدان النامية والشعوب المستعمرة، أى قرارها بتصفية الاستعمار بجميع صوره ومظاهره.

معتبرة أن إخضاع الشعوب لاستعباد الأجنبى وسيطرته واستغلاله يشكل إنكاراً لحقوق الإنسان الأساسية، ويناقض ميثاق الأمم المتحدة، ويعيق قضية السلم والتعاون الدوليين.

ومنبهة إلى وجوب وضع حد لجميع أنواع الأعمال المسلحة والتدابير القمعية الموجهة ضد الشعوب التابعة، لتمكينها من الممارسة الحرة والسلمية لحقها فى الاستقلال التام، واحترام ترابها الوطنى.

وموجبة إلى اتخاذ التدابير اللازمة فوراً، فى الأقاليم المشمولة بالوصاية أو الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى، أو جميع الأقاليم الأخرى التى لم تنل بعد استقلالها، لنقل جميع السلطات إلى شعوب تلك الأقاليم، دون أية شروط أو تحفظات، ووفقاً لإرادتها ورغبتها المعرب عنها بحرية، دون تمييز بسبب العرق أو المعتقد أو اللون، لتمكينها من التمتع بالاستقلال والحرية التامّين.

ومحذرة من أن كل محاولة تستهدف التقويض الجزئى أو الكلى للوحدة القومية والسمة الإقليمية لبلد ما تكون متنافية ومقاصد الأمم المتحدة ومبادئها.

بصدور هذا الإعلان، أضحت توصية التقسيم 181 لعام 1947 باطلة بطلاناً مطلقاً، بموجب أحكام القانون الدولى، حال كونها تشكل - فيما قررته من إقامة دولة استعمارية استيطانية لليهود فى جزء من التراب الفلسطينى - صورة من صور إخضاع الشعب الفلسطينى - أو جزء منه - للاستعباد من قبل اليهود الأجانب، وكذلك للخضوع لسيطرتهم واستغلالهم.

بصدور الإعلان - أضحى المركز القانونى لإسرائيل، بمثابة دولة استعمارية استيطانية غير شرعية تتنافى مع ميثاق الأمم المتحدة وفقاً لأحكام القانون الدولى، ويتوجب عليها العمل على نقل جميع السلطات إلى الشعب الفلسطينى ليمارس سيادته على كامل ترابه.

وقد تأكد ذلك المركز القانونى لبطلان الدولة اليهودية بصدور القرارات التالية:

•قرار الجمعية العامة رقم 1083 (د ـ 17) فى 14 كانون الأول/ ديسمبر 1962 بضمان السيادة الكاملة والدائمة على الموارد الطبيعية للشعوب والأمم كركن من أركان الحق فى تقرير المصير.

•وقرارها رقم 1904 (د ـ 18) فى 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1963 بإعلان القضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى، والذى ألحقته باتفاقيتها الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى.

•وقرارها رقم 3236 فى 22/ 11/ 1974 القاضى بالتأكيد على حقوق الشعب الفلسطينى فى فلسطين، غير القابلة للتصرف، وخصوصاً، حقه فى تقرير مصيره دون تدخل خارجى، وحقه فى الاستقلال والسيادة الوطنية، والعودة إلى دياره وممتلكاته التى شرد واقتلع منها. وعندما زعمت الدولة اليهودية أن القرار الأخير ينال من «سيادة» إسرائيل، أجابتها لجنة ممارسة الحقوق الثابتة للشعب الفلسطينى بأنه لا تناقض فى الأمر طالما أن «السيادة» الإسرائيلية فى فلسطين مقيدة بموجب توصية التقسيم 181 لعام 1947.

•وأخيراً قرارها رقم 3379 (د ـ 30) بتاريخ 10/ 11/ 1975 تحت عنوان «القضاء على جميع أشكال التمييز العنصرى بتقرير أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى. ولا ينال من هذا القرار صدور التوصية رقم 86/ 46 وتاريخ 16/ 12/ 1991 بإلغائه، لتعارض تلك التوصية مع ميثاق الأمم المتحدة خاصة الفصلين 12 و13، ولتنافيها مع قرار تصفية الاستعمار، والقاضى بوضع حد للاستعمار ولجميع أساليب الفصل والتمييز المقترنة به.

هذا وقد وعت إسرائيل خطورة وصمها بالحركة العنصرية، بعد أن نعت قرار تصفية الاستعمار دولتها بعدم المشروعية. ونضيف إلى ذلك، اليوم، إن قيام إسرائيل ومنذ نشأتها بانتهاك أحكام اتفاقيات جنيف لعام 1949 خاصة الاتفاقية الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين تحت الاحتلال، وملحقاتها، قد جعل منها دولة استعمارية، عنصرية، إرهابية!

فالإرهاب فى صورته النموذجية هو استخدام العنف غير المشروع ضد المدنيين - لقتلهم أو جرحهم أو إفزاعهم - لتحقيق مصالح سياسية غير مشروعة، تلك الصورة النموذجية تندرج تحت أحكام التجريم القانونى الدولى بموجب اتفاقية جنيف الرابعة وملحقاتها، كأول اتفاقية دولية تجرم الإرهاب الدولى.

ومن ثم اكتملت الصورة لإسرائيل كدولة «قرصان» - على حد تعبير أستاذنا الدكتور/ محمد طلعت الغنيمى رحمه الله - فهى دولة غير شرعية بموجب قرار تصفية الاستعمار، وهى دولة عنصرية بموجب قرار مكافحة التمييز العنصرى، وهى دولة إرهابية لانتهاكها أحكام اتفاقية جنيف الرابعة ولحقيها. يتوجب العمل - من ثم - على تصفيتها اتفاقاً وأحكام ميثاق الأمم المتحدة وما لحق به من قرارات واتفاقات دولية. ذلكم هو مركزها القانونى اليوم.

تحديات الأمن السيبرانى فى الشرق الأوسط (5)

أهمية قيام جميع الدول بتعميق فهمها لكيفية تطبيق القانون الدولى على استخدامات الدول لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات، للمساهمة فى بناء توافق الآراء والتفاهمات المشتركة، ولبناء القدرات فى مجالات القانون الدولى والتشريعات والسياسات الوطنية.

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

أولاً : الخطوط الاسترشادية للتعاون الإقليمى والدولى:

1 – ينبغى للدول ألا تقوم بأنشطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تتعارض مع التزاماتها بموجب القانون الدولى الذى يلحق الضرر عمداً بالبنية التحتية الحيوية أو يضعف بطريقة أخرى استخدام وتشغيل البنية التحتية الحيوية لتوفير الخدمات للجمهور. وعلاوة على ذلك، فإن الدول ينبغى أن تواصل تعزيز التدابير الرامية إلى حماية جميع الهياكل الأساسية الحيوية من تهديدات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وزيادة التبادلات حول أفضل الممارسات فيما يتعلق بحماية البنية التحتية الحيوية.

2 – أهمية دراسة دخول الدول فى شراكة مع المنظمات ذات الصلة، بما فيها الأمم المتحدة، لدعم تنفيذ وتطوير معايير سلوك الدولة المسئولة من قبل جميع الدول. وتشجيع الدول التى هى فى وضع يسمح لها بالمساهمة بالخبرات أو الموارد على القيام بذلك.

3 – أهمية أن تسعى الدول إلى تسوية المنازعات بالوسائل السلمية مثل التفاوض، والاستفسار، والوساطة، والتوفيق، والتحكيم، والتسوية القضائية، واللجوء إلى الوكالات أو الترتيبات الإقليمية، أو غيرها من الوسائل السلمية التى تختارها.

ثانياً: الإجراءات الأساسية لبناء الهياكل الضرورية:

1 – يجب اتخاذ خطوات معقولة لضمان سلامة الإمدادات، بما فى ذلك من خلال وضع تدابير تعاونية موضوعية، بحيث أن المستخدمين النهائيين يمكن أن يكونوا على ثقة فى أمن منتجات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وذلك لمنع انتشار أدوات وتقنيات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الخبيثة واستخدام وظائف خفية ضارة.

2 – ضرورة حماية جميع الهياكل الأساسية الحيوية والمعلومات المهمة للبنية التحتية ولدعم الخدمات الأساسية للجمهور، جنباً إلى جنب مع السعى لضمان التوافر العام للإنترنت وسلامتها. وقد أكد وباء الكوفيد أهمية حماية البنية التحتية للرعاية الصحية بما فى ذلك الخدمات والمرافق الطبية من خلال تنفيذ المعايير التى تعالج الأمور ذات الأهمية البالغة للبنية التحتية الصحية.

3 – أهمية أن تجُرى الدول، على أساس طوعى، دراسة استقصائية لجهودها الوطنية الرامية إلى تنفيذ المعايير المرتبطة بأمن تكنولوجيا المعلومات، ووضعها برامج الممارسات الجيدة بشأن تنفيذ هذه المعايير.

ثالثاً: التعاون الإقليمى والدولى:

1 – استناداً إلى الدروس والممارسات التى تم تبادلها فى إطار اجتماعات الأمم المتحدة، خلصت الدول إلى أهمية وجود آليات وهياكل وطنية وإقليمية، فضلاً عن ضرورة بناء ما يكفى من الموارد والقدرات، مثل فرق الاستجابة للطوارئ الوطنية CERTs لضمان إيجاد تدابير بناء الثقة التى تحقق التعاون المنشود.

2 – خلصت الدول إلى أن إنشاء نقاط اتصال وطنية (تدبير بناء الثقة فى حد ذاته) مفيد لتنفيذ العديد من تدابير بناء الثقة الأخرى، وهو لا يقدر بثمن فى أوقات الأزمات. وقد تجد الدول أنه من المفيد أن يكون لها قنوات مناسبة للتبادلات الدبلوماسية والسياسية والقانونية والتقنية، فضلاً عن الإبلاغ عن الحوادث والاستجابة لها.

3 – إن نجاح العمل الدولى الجماعى فى المستقبل يعتمد كثيراً على ضرورة الامتناع عن التدابير التى لا تتفق مع القانون الدولى، ولا سيما ميثاق الأمم المتحدة، ووضع تفاهمات مشتركة بشأن كيفية تطبيق القانون الدولى على استخدام كافة الدول لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات.

رابعاً: استخلاصات الأمم المتحدة على مدار العقد الماضى:

1 – أهمية وضع إجراءات ملموسة وتدابير تعاونية لمعالجة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

2 – ضرورة مواجهة التهديدات وتعزيز بيئة مفتوحة وآمنة ومستقرة وسلمية.

3 – وضع سيناريوهات للتعامل مع التهديدات الحالية والمُحتملة.

4 – خلصت الأمم المتحدة إلى أنها تشعر بقلق متزايد إزاء الآثار المترتبة على تنفيذ الاستخدام الخبيث لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل حفظ السلم والأمن الدوليين.

5 – كما خلصت الأمم المتحدة إلى أن عدداً من الدول مازال يطور قدرات فى مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للأغراض العسكرية. وهو ما يزيد من احتمالات استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى النزاعات المستقبلية بين الدول، وكذلك الاستخدام الخبيث لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات من جانب الإرهابيين والجماعات الإجرامية، وهو ما يتطلب تضافر الجهود الدولية فى إطار المنظمة الدولية.

التغير المناخى Climate Change

تشـــارك مصر فى مؤتمر الأمم المتحدة للتغير المناخى 2021، المعروف أيضًا باســـم COP 26، وهو مؤتمر الأمم المتحدة السادس والعشرين للتغير المناخى الذى ينعقد فى مدينة جلاسكو فى الفترة من 1 - 12 نوفمبر 2021 برئاسة المملكة المتحدة، وقد تقرر أن يضم المؤتمر الأطراف فى اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن التغير المناخى (UNFCCC)، والاجتماع الســـادس عشر للأطراف فى اتفاقية كيوتو (CMP16)، والاجتماع الثالث لأطراف اتفاقية باريس (CMA3).

تعدّ هذه المرة الأولى التى يتوقع فيها من الأطراف الالتزام بتعزيز الطموح منذ COP 21. حيث يطلب منهم تنفيذ عملية تُعرف بالعامية باســـم «آلية الاتجاه الواحد» كل خمس ســـنوات، كما هو موضح فى اتفاقية باريس. كان من المقرر عقد المؤتمر فى نوفمبر 2020 فى نفس المكان، وتأجل الحدث لاثنى عشر شـــهرًا فى ضوء جائحة كوفيد - 19 فى المملكة المتحدة. وتتولى الأخيرة رئاســـة هذه الدورة، وتشـــاركها إيطاليا فى قيادة COP 26، حيـــث يتركز دورهما فى الأعمال التحضيرية، مثل اســـتضافة جلسة ما قبل المؤتمـــر، وكذلك حدث الشـــباب الخاص بالمؤتمر.

تقديم:

- يحدث تغير المناخ أو التغير المناخى عندما تؤدى التغيرات فى نظام مناخ الأرض إلى ظهور أنماط مناخية جديدة تظل قائمة لفترة طويلة من الزمن، وهذه الفترة الزمنية قد تكـــون قصيرة تصل إلى عدة عقود فقط أو قد تصل إلى ملايين الســـنين. وقد حدد العلماء العديد من نوبات تغير المناخ خلال تاريخ الكرة الأرضية الجيولوجى، وفى الآونة الأخيرة، ومنذ الثورة الصناعية، يتأثر المناخ بشكل متزايد بسبب الأنشطة البشرية التى تقود إلى الاحتباس الحـــرارى. ولذلك من الشائع استخدام المصطلحين كمترادفين فى هذا السياق.

- يســـتقبل النظام المناخى كل طاقته تقريبًا من الشـــمس، كما يبعث الطاقة إلى الفضاء الخارجى. ويحـــدد ميزان الطاقة الـــواردة والصادرة، بالإضافـــة إلى مرور الطاقة عـــبر نظام المنـــاخ، ميزانية طاقة الأرض، فعندمـــا تكون الطاقة الواردة أكبر من الطاقة الصـــادرة، تكون ميزانية طاقة الأرض إيجابية، ويشـــهد النظام المناخى احتراراً، أما إذا كان حجم الطاقة الصادرة أعلى، تكون ميزانية الطاقة ســـلبية وتشهد

سفير أشرف عقل

الأرض تبريداً.

- تتجلى الطاقة التى تتحرك عبر نظام مناخ الأرض فى الطقـــس، ولكنها تتفاوت بناءً على النطاق الجغرافى والوقت. وتشكل متوســـطات الطقس على المدى الطويل فى أية منطقة مناخها. ويعد تغير المناخ نمطًا طويل الأجل ومســـتمراً، ويمكن أن تكون هذه التغيرات نتيجـــة «التباين الداخلى أى عندما تغير العمليات الطبيعية المتأصلة فى أجزاء مختلفة من نظام المناخ عملية توزيع الطاقة. وتشمل الأمثلة على ذلك مدى التغير فى أحواض المحيطات مثل: التذبذب العقدى للمحيط الهـــادى، وتذبذب المحيط الأطلسى المستمر لعقود.

- ويمكن أن ينجم تغـــير المناخ أيضًا عن التأثير الخارجى، وأيضًا عندما تُحدِث الظواهر من خارج إطـــار مكونات نظام المناخ تغيـــيرات ضمن النظام، وتشـــمل الأمثلـــة: تغيـــيرات فى مخرجـــات النظام الشمسى، وكذلك النشاط البركانى.

- إن تغير المناخ يخلف آثاراً خطيرة من التغيرات فى مستوى ســـطح البحر، وحياة النبات، وعمليات الانقراض الجماعى. كما يؤثر على المجتمعات البشرية.

تعريف:

- تغـــير المناخ أو التغـــير المناخى هو أى تغير مؤثر وطويل المدى فى معدل حالة الطقس يحدث لمنطقـــة معينة. ويمكن أن يشـــمل معدل حالة الطقس معدل درجات الحرارة، ومعدل تســـاقط الأمطار، وحالة الرياح. هـــذه التغيرات يمكـــن أن تحدث بســـبب العمليـــات الديناميكيـــة للأرض كالبراكين، أو بسبب قوى خارجية، كالتغير فى شدة الأشعة الشمسية، أو سقوط النيازك الكبيرة، ومؤخراً بســـبب أنشطة الإنسان المختلفة.

- لقد أدى التوجه نحو تطوير الصناعة فى الأعوام المائة الماضية إلى استخراج مليارات الأطنان من الوقود الأحفورى لتوليد الطاقة وحرقها. هذه الأنواع من الموارد الأحفورية أطلقت غازات تحبس الحـــرارة مثل ثانى أكســـيد الكربون وهى من أهم أسباب تغير المناخ. وتمكنت كميات هذه الغازات من رفع درجة حرارة الكوكب إلى 1.2 درجة مئوية مقارنة بمستويات ما قبل الثورة الصناعية. ولكن إن أردنا تجنب العواقب الأسوأ ينبغى أن نلجم ارتفاع الحرارة الشامل ليبقى دون درجتين مئويتين.

الآثار السلبية للتغير المناخى بصفة عامة:

- أنه يودى بحياة 150 ألف شخص، على الأقل، سنويًا.

- ســـبق أن حكم على 20٪ من أنواع الحيـــاة البرية بالانقراض مـــع حلول عام 2050.

- أنه يكبد صناعات العالم خســـارة بمليارات الـــدولارات كالصناعات الزراعية، إضافة إلى التكلفة الباهظة للتنظيفات جراء ظروف مناخية قصوى.

- لكن ما حدث ويحدث ليس بهول ما قد يحدث فى المســـتقبل. فإذا تقاعسنا عن التحرك لكبح سرعة عواقب التغير المناخى، فسوف يتفاقم عدد البشر المهددين، وترتفع نسبة الأنواع المعرضة للانقراض من 20٪ إلى حوالى الثلث.

– من المتوقع أن تؤدى العواقب المالية للتغير المناخى إلى تجاوز إجمالى الناتج المحلى فى العالم أجمع مع حلول عام 2080.

مفعول الدفيئة:

– مفعول الدفيئة هو ظاهرة يحبس فيها الغلاف الجوى بعضًا من طاقة الشمس لتدفئة الكرة الأرضية، والحفاظ على اعتدال مناخها. ويشكل ثانى أكسيد الكربون أحد أهم الغازات التى تسهم فى مضاعفة هذه الظاهرة لإنتاجه أثناء حرق الفحم والنفط والغاز الطبيعى فى مصانع الطاقة والسيارات والمصانع وغيرها، إضافة إلى إزالة الغابات بشكل واسع. كما أن الميثان هو غاز الدفيئة المؤثر الآخر، وهو ينبعث من مزارع الأرز وتربية البقر ومطامر النفايات وأشغال المناجم وأنابيب الغاز. أما الـ «Chlorofluorocarbons (CFCs)» المسئولة عن تآكل طبقة الأوزون والأكسيد النيترى (من الأسمدة وغيرها من الكيماويات) فإنها تسهم أيضًا فى هذه المشكلة بسبب احتباسها للحرارة.

أسباب حدوث التغير المناخى:

– يحدث التغير المناخى بسبب رفع النشاط البشرى لنسب غازات الدفيئة فى الغلاف الجوى الذى بات يحبس المزيد من الحرارة على أوسع نطاق، ويحدد معدل تلقى الطاقة من الشمس، والمعدل الذى تُفقد فيه الطاقة إلى الفضاء درجة حرارة الأرض ومناخها. وتوزع هذه الطاقة فى جميع أنحاء العالم عن طريق الرياح والتيارات المحيطية، وآليات أخرى، لتؤثر على المناخ فى المناطق المختلفة.

– إن العوامل التى من شأنها تشكيل المناخ تسمى التأثيرات المناخية أو «آليات التأثير»، ومن ضمنها عمليات مثل: التفاوت فى إشعاع الشمس وفى مدار الأرض وفى الوضاءة أو انعكاسية القارات والغلاف والمحيطات وتكون الجبال، وتغييرات فى تركيزات غازات الدفيئة.

– وهناك مجموعة متنوعة من ردود الفعل لتغير المناخ التى يمكن أن تضخم من التأثير الأولى أو تقلله. وتستجيب بعض أجزاء النظام المناخى، مثل المحيطات والقمم الجليدية، ببطء أكثر فى رد الفعل على التأثيرات المناخية، بينما تستجيب أجزاء أخرى بسرعة أكبر. وهناك أيضًا عقبة بيئية أساسية إذا تم تخطيها سينتج عن ذلك تغير سريع.

– يمكن أن يحدث تغير المناخ إما بسبب التأثير الخارجى، أو بسبب العمليات الداخلية. فغالباً ما تنطوى العمليات الداخلية على تغييرات فى توزيع الطاقة فى المحيطات والغلاف الجوى، وعلى سبيل المثال تغييرات فى الدورة الحرارية الملحية. وبالنسبة لآليات التأثير الخارجى، فقد تكون إما اصطناعية (مثل زيادة انبعاثات غازات الدفيئة والغبار) أو طبيعية (مثل التغيرات فى إنتاج الطاقة الشمسية أو مدار الأرض أو الانفجارات البركانية).

– قد تكون استجابة النظام المناخى لتأثير المناخ سريعة (مثل التبريد المفاجئ بسبب الرماد البركانى المحمول جوًا والذى يعكس أشعة الشمس) أو بطيئة (مثل التمدد الحرارى لارتفاع حرارة مياه المحيط) أو يجمع بين الاثنين (مثل فقدان مفاجئ للوضاءة فى المحيط المتجمد الشمالى، مع ذوبان الجليد البحرى والذى يليه التوسع الحرارى التدريجى للمياه). وبالتالى، يمكن أن يستجيب نظام المناخ بصورة مفاجئة، لكن قد لا يتم تطوير الاستجابة الكاملة لآليات التأثير بشكل كامل لعدة قرون أو حتى لفترة أطول.

وباختصار، يمكن القول إن من أهم أسباب ظاهرة التغير المناخى ما يلى:

– التلوث بأنواعه الثلاثة البرى والجوى والبحرى.

– أنشطة الإنسان المختلفة مثل قطع الغابات وحرق الأشجار، مما يؤدى إلى اختلال فى التوازن البيئى.

– الثورات البركانية.

– الشمس.

– الهواء.

توقع مستقبل المناخ:

– إن نماذج مناخ العالم هى عبارة عن عروض حسابية تتناول مناخ العالم الفعلى. وبعض هذه النماذج ليس إلا محاولات قام بها عدد من العلماء لاختصار سلوك المناخ المعقد فى صيغ بسيطة نسبياً، فى محاولةٍ لفهم القوى المحركة. وعلى أية حال فعندما يتحدث الناس عن توقعات محددة لسلوك المناخ على المدى البعيد، فإنهم يقصدون عادة النماذج المتداولة بشكل عام. ففى هذه النماذج تُعدل بعض المعادلات حتى يصبح النموذج قادراً على استرجاع الظروف الماضية، وتوقع الظروف الحالية والمستقبلية بما يمكن من الدقة وذلك لدى مقابلته بالملاحظات الفعلية المتعلقة بالظروف الماضية والحالية.

– وبما أنه يستحيل معرفة كل التغيرات، فى ضوء أن النموذج لن يتطابق مع العالم الحقيقى بالكامل، يحاول العلماء التعويض عن ذلك من خلال دراسة كل نموذج مراراً وتكراراً محدثين تغييرات بسيطة فى الشروط التى ينطلقون منها (كأن يزيدوا سرعة الريح فى ديترويت بنسبة 1٪ مثلاً) وفى عوامل أخرى. وبهذه الطريقة يمكنهم أن يكوّنوا فكرة عن مختلف النتائج المحتملة. وعندما يحصلون على النتيجة نفسها عدة مرات يعتبرون أنها الأكثر ترجيحاً.

– وختاماً، فإن كل نموذج يتوقع سلسلة من النتائج المحتملة. فعلى سبيل المثال، أخذت اللجنة الحكومية الدولية للتغير المناخى بعين الاعتبار كافة النماذج المتوفرة، قبل أن تحدد احتمال ارتفاع حرارة الأرض من 1.4 إلى 5.8 درجة مئوية (أى من 3 إلى 8 درجات بمقياس فهرنهايت). ولا يمكن لأحد أن يتوقع نسبة ارتفاع الحرارة فى العقود المقبلة. لكن مع بعض التوضيحات، يتوقع العديد من العلماء أنها قد تتراوح بين هذين الرقمين.

التغير المناخى

* مصر وتغير المناخ:

- تعد مصر واحدة من أكثر الدول تأثراً بالآثار السلبية الناتجة عن التغير المناخى، وتتلخص هذه الأضرار فى ارتفاع مستوى سطح البحر، والفقر المائى، وتدهور الصحة العامة، والأنظمة البيئية، مما يؤدى إلى خسائر اقتصادية تقدر بمليارات الجنيهات، ويؤثر أيضاً على الأمن الغذائى.

التأثير على الأمن الغذائى:

سيؤدى التغير المناخى إلى انخفاض فى إنتاجية المحاصيل الزراعية الرئيسية فى مصر كالقمح بنسبة 18٪، والأرز بنسبة 11٪، وفول الصويا بنسبة 28٪ نتيجة للعوامل التالية:

- ارتفاع درجات الحرارة، والنقص المتوقع لموارد المياه المتاحة مما يؤثر على إنتاجية النبات.

- غرق وارتفاع ملوحة العديد من الأراضى الزراعية المنخفضة بالدلتا نتيجة ارتفاع مستوى سطح البحر.

- ارتفاع درجات الحرارة سيؤدى إلى زيادة الحشرات والأمراض التى تسبب الضرر للمحاصيل الزراعية.

- سينتج عن ذلك انخفاض الإنتاج الزراعى بنسبة 8٪، وارتفاع نسبة البطالة فى القطاع الزراعى إلى 39٪، وارتفاع أسعار الغذاء من 16 - 68٪ بحلول عام 2060، بينما تقدر الخسائر الاقتصادية لتلك الأضرار بحوالى 40 - 234 مليار جنيه مصرى.

التأثير على الموارد المائية:

- يمد نهر النيل مصر بما يعادل 97٪ من احتياجاتها المائية، ولكن رغم ذلك تعانى مصر من فقر مائى منذ تسعينيات القرن الماضى، وتقدر الفجوة المائية بحوالى 20 مليار متر مكعب. ومن المتوقع زيادة الاحتياجات المائية بنسبة 20٪ بحلول عام 2020 نتيجة لزيادة الطلب وسوء الإدارة المائية.

- وتتوقع سيناريوهات محاكاة التغير المناخى ارتفاع مستوى مياه البحر بسبب ارتفاع درجات الحرارة، بينما معظم السيناريوهات تتوقع أن يؤدى ذلك إلى انخفاض الجريان السطحى لنهر النيل بنسبة 15٪ بحلول 2081 - 2098. وهناك بعض السيناريوهات تتنبأ بأن ذلك سيؤدى إلى زيادة الأمطار بدول المنبع مما ينتج عنه زيادة الجريان السطحى لنهر النيل، ولكن معظم الدراسات ترجح السيناريو الأول، وعموماً، فليست مياه نهر النيل هى فقط المعرضة للخطر، إذ من المتوقع انخفاض معدل الأمطار فى دول شمال إفريقيا والوطن العربى بنسبة 15٪.

- كما أن ارتفاع منسوب سطح البحر بالسواحل الشمالية لمصر سيؤدى إلى زيادة درجة ملوحة المياه الجوفية بتلك الأراضى الساحلية وحتى عمق 7 كيلومترات من تلك السواحل طبقاً لدراسة قام بها معهد بحوث المياه الجوفية بمصر فى عام 2011.

وباختصار، فإن كل هذه العوامل ستؤدى إلى ازدياد الفقر المائى فى مصر فى الأجل المتوسط.

التأثير على النظام البيئى:

يخل التغير المناخى بالنظام البيئى للشعاب المرجانية بالبحر الأحمر، ويؤدى ارتفاع درجات الحرارة ومعدل حموضة مياه البحر إلى تدهور الشعاب المرجانية، وفى دراسة استطلعت رأى 150 غواصاً من معتادى الغوص بالبحر الأحمر، أكد 78٪ منهم أنهم لاحظوا وجود انخفاض فى الشعب المرجانية بنسبة 50٪ عما اعتادوا عليه فى السابق. ومن المتوقع أيضاً ازدياد ابيضاض الشعب المرجانية إلى 80٪ بحلول عام 2060.

- كما أن ارتفاع منسوب سطح البحر سوف يؤدى إلى غرق الأراضى الرطبة بالمحميات الطبيعية الواقعة فى السواحل الشمالية لمصر والتى تعد ملاذاً للطيور المهاجرة خلال رحلتها الشاقة من الشمال إلى الجنوب، خطر كهذا سيؤدى إلى انخفاض فى أعداد الطيور، مما سينتج عنه اضطراب الحياة البيئية بتلك المحميات. ورغم ذلك فلا توجد دراسات تفصيلية عن حجم الخطر وتأثيره على تلك الطيور.

التأثير على الصحة العامة:

- يوفر ارتفاع درجات الحرارة مناخاً مناسباً لنمو وتكاثر الحشرات الناقلة للأمراض مثل: الملاريا، وحمى الضنك، وغيرها. كما أن ارتفاع درجات الحرارة سوف يؤثر على الفئات الضعيفة مثل الأطفال وكبار السن مما يزيد من معدلات الوفاة نتيجة الإجهاد الحرارى.

- أيضاً، فإن لتلوث الهواء علاقة بارتفاع درجات الحرارة، فكلما ارتفعت درجة الحرارة، زاد تأثير تلك الملوثات خاصة على مرضى الجهاز التنفسى مما يعرضهم للأزمات التنفسية وربما فقد الحياة.

التأثير على المناطق الحضرية:

سوف يؤدى ارتفاع مستوى سطح البحر بمقدار متر واحد إلى غرق 970 كيلومتراً مربعاً من أراضى الدلتا طبقاً لتقديرات خبراء البنك الدولى، وتتوقع بعض السيناريوهات غرق حوالى 388 ألفاً إلى ما يزيد عن مليون ومائة ألف منزل بالدلتا. كما سيعرض البنية التحتية بالمناطق المنخفضة لخطر الفيضان.

- سوف تعانى المناطق الحضرية الواقعة بالمناطق المناخية الجافة كالقاهرة الكبرى من زيادة تأثير ظاهرة الجزر الحرارية مما سينعكس بالسلب على الراحة الحرارية خاصة فى المناطق العشوائية المتدهورة.

التأثير على الطاقة:

- سوف يزيد ارتفاع درجات الحرارة من الطلب على استخدام مكيفات الهواء للتأقلم مع الحرارة المرتفعة أثناء فصل الصيف، خاصة وأن قطاع الإسكان فى مصر يفتقر إلى المعايير البيئية الخاصة بكفاءة استخدام الطاقة فى المنازل، وسيعود ذلك على قطاع الطاقة بالسلب. وقد يؤدى إلى انقطاع متكرر بالكهرباء، خاصة وأن قطاع الطاقة يعانى بالفعل من بعض المشاكل فى توفير الوقود اللازم لتشغيل محطات الكهرباء.

التأثير على الاقتصاد:

- هذه الأخطار التى جرى الإشارة إليها فى الفقرات السابقة ستتسبب فى خسائر اقتصادية كبيرة، فعلى سبيل المثال طبقاً لدراسة أُجريت لقياس مدى تأثير التغير المناخى على الاقتصاد المصرى، فإن أثر التغير المناخى على الزراعة سيؤدى إلى خسائر تقدر بحوالى 20 مليار جنيه مصرى بحلول عام 2030 قد ترتفع إلى 122 ملياراً بحلول عام 2060.

- كما تقدر قيمة الخسائر المالية الناتجة عن المنشآت والطرق المعرضة للغرق بحوالى مليار جنيه سنوياً بحلول عام 2030 لترتفع إلى 7 مليارات جنيه بحلول عام 2060.

- أيضاً، فإن الوفيات الناتجة عن الإجهاد الحرارى ومشاكل التنفس ستؤدى إلى خسائر بقيمة 24 مليار جنيه بحلول عام 2060.

- كما يتوقع انخفاض عوائد الدخل السياحى إلى 19 مليار جنيه فى عام 2030 تزداد لتصل إلى 85 مليار جنيه فى عام

2060 نتيجة ابيضاض الشعاب المرجانية، كما أن خسائر اضطراب الأنظمة البيئية ستبلغ حوالى 52 مليار جنيه فى عام 2030 وحوالى 228 ملياراً بحلول عام 2060.

وإجمالاً، ستمثل هذه الخسائر الناتجة عن أخطار التغير المناخى تقريباً ما نسبته 3.9٪ من إجمالى الناتج القومى المتوقع لمصر فى عام 2060.

جهود مصر فى قضية تغير المناخ:

- تبذل وزارة البيئة جهوداً كبيرة لتعزيز ملف تغير المناخ ودعم طلب استضافة مصر لمؤتمر المناخ COP 27، لمساندة مصالح الدول النامية والإفريقية، والدفع بإجراءات التكيف مع تغير المناخ.

وفيما يلى أهم الجهود التى تبذلها مصر على المستويين الوطنى والدولى فى قضية تغير المناخ، من واقع التصريحات التى أدلت بها وزيرة البيئة:

1 - اتخذت مصر منذ عام 2015 خطوات سريعة لتحديد مساهماتها فى تغير المناخ.

2 - تم دمج بعد تغير المناخ فى عدد أكبر من الوزارات ليصبح إحدى ركائز التخطيط الإستراتيجى فيها، إلى جانب العمل مع شركاء التنمية لجذب التمويل لهذه القضية فى العديد من المجالات.

3 - استمرار البحث عن أفضل الطرق للتكيف مع آثار تغير المناخ، خاصة مع تزايد الظواهر المناخية الشديدة.

4 - تم إنشاء المجلس الوطنى للتغيرات المناخية وترقية رئاسته ليكون برئاسة رئيس مجلس الوزراء، بهدف توفير مزيد من الدعم السياسى، وتحقيق التعاون الوثيق بين عدد أكبر من الوزارات المعنية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

5 - العمل على إصدار الإستراتيجية الوطنية لكربون أقل، والإستراتيجية الوطنية للمناخ بتوصية من المجلس، والتى جاءت عملية إعدادها بشكل وطنى محض.

6 - الانتهاء من إعداد إطار العمل الخاص واستعراضه مع شركاء التنمية قبل رفعه للمجلس الوطنى للتغيرات المناخية تمهيداً لاعتماده والانتهاء من الإستراتيجية.

7 - العمل على إستراتيجية التعافى الأخضر التى تعد الوجه الآخر للإستراتيجية الوطنية للتغيرات المناخية، والتى ستوجه جزءاً من استثمارات الدولة فى القطاعات المختلفة لتغير المناخ.

8 - قيام مصر بدور مهم فى ملف تغير المناخ على المستوى الإقليمى.

9 - استضافت مصر مؤخراً مجموعة المفاوضين الأفارقة فى هذا الإطار.

10 - اتخذت مصر القرار الخاص بالتقدم لاستضافة مؤتمر المناخ COP 27 فى عام 2022، كما تبذل جهودها لاحتضان إفريقيا لهذا الحدث المهم، واستكمال ما سينتج عن مؤتمر المناخ COP 26، واستثمار الشراكة المميزة مع المملكة المتحدة فى تحالف المواجهة والتكيف مع آثار تغير المناخ.

11 - ترى مصر أنه فى ظل ما ستواجهه دول العالم النامية والمتقدمة من تأثيرات تغير المناخ، يجب التسريع بالخروج بحزمة مشروعات للتكيف، وهذا ما سعت مصر لطرحه على طاولة مؤتمر المناخ COP 26 برئاسة المملكة المتحدة لتشهد تنفيذاً حقيقياً لاتفاق باريس والخروج بجدول عمل متوازن.

12 - تعد استثمارات التكيف نقطة مهمة لابد من العمل عليها بجدية سواء من خلال مؤتمر المناخ COP 26 أو خلال استضافة مصر لقمة COP 27 المزمعة.

13 - عملت مصر مع الدول الأعضاء على رسم خارطة طريق للتنوع البيولوجى لما بعد 2020 وحتى 2050، ولا يمكن فصل إجراءات تغير المناخ من تخفيف وتكيف عن صون التنوع البيولوجى.

14 - أظهرت جائحة فيروس كورونا المستجد أهمية الربط بين الصحة وتغير المناخ والتوازن البيئى.

15 - التقدم فى مجال الطاقة المتجددة فى مصر هو قصة نجاح مهمة لتقليل الانبعاثات سواء من خلال بناء محطات الطاقة المتجددة، أو المبادرة الخاصة بتحويل المركبات للعمل بالطاقة النظيفة (الغاز الطبيعى، الكهرباء)، والتكنولوجيا الجديدة لإدارة المخلفات الصلبة وتحويلها لطاقة.

16 - يمكن لشركاء التنمية المساعدة فى تنفيذ الإستراتيجية سواء بالدعم المادى أو نقل وتوطين التكنولوجيا، وتقديم حزم تمويلية للعمل المناخى فى مصر.

* إستراتيجية تغير المناخ 2050:

- أطلقت مصر الإستراتيجية الوطنية لتغير المناخ 2050 على هامش مشاركتها فى فعاليات مؤتمر المناخ الذى عقد مؤخراً فى جلاسكو «COP 26». وقد أعلنت وزيرة البيئة المصرية إطلاق الإستراتيجية، مشددة على أن الملف شهد اهتمامًا متصاعدًا منذ عام 2019.

أهداف الإستراتيجية:

أوضحت الوزيرة، وفقاً لبيان رسمى صدر عن مجلس الوزراء، أن وزارة البيئة أعدّت للاجتماعات المختلفة لدمج بعد تغير المناخ فى عمل القطاعات الأخرى فى الدولة المصرية، وأهمها التخطيط، والمالية والتعاون الدولى.

أضافت أن الإستراتيجية الوطنية لتغير المناخ تشمل مرحلتين هما: مرحلة الإطار العام الذى تمت الموافقة عليه فى يونيو 2021، ومرحلة إعداد الإستراتيجية كاملة. وأكدت أن الإستراتيجية ستمكن مصر من تخطيط وإدارة تغيّر المناخ على مستويات مختلفة، ودعم تحقيق غايات التنمية المستدامة، وأهداف رؤية مصر 2030 باتباع نهج مرن ومنخفض للانبعاثات.

تعمل الإستراتيجية على تحقيق خمسة أهداف رئيسية هى:

1 - تحقيق نمو اقتصادى مستدام من تنمية منخفضة للانبعاثات فى مختلف القطاعات، بزيادة حصة مصادر الطاقة المتجددة والبديلة فى مزيج الطاقة، وتعظيم كفاءة الطاقة، وذلك بتحسين كفاءة محطات الطاقة الحرارية، وشبكات النقل والتوزيع، والأنشطة المرتبطة بالنفط والغاز، وتبنى اتجاهات الاستهلاك والإنتاج المستدامة للحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحرارى من النشاطات الأخرى غير المتعلقة بالطاقة.

2 - بناء المرونة والقدرة على التكيف مع تغير المناخ، بالتخفيف من الآثار السلبية المرتبطة بتغير المناخ، والحفاظ على الموارد الطبيعية والنظم الإيكولوجية، والحفاظ على موارد الدولة وأصولها من تأثيرات تغير المناخ، وتحسين البنية التحتية والخدمات المرنة فى مواجهة تأثيرات تغير المناخ، وتنفيذ مفاهيم الحد من مخاطر الكوارث، عن طريق إنشاء أنظمة إنذار مبكر.

3 - تحسين حوكمة وإدارة العمل فى مجال تغير المناخ من خلال تحديد أدوار ومسئوليات مختلف أصحاب المصلحة من أجل تحقيق الأهداف الإستراتيجية، وتحسين مكانة مصر فى الترتيب الدولى الخاص بإجراءات تغير المناخ.

4 - تحسين البنية التحتية لتمويل الأنشطة المناخية المختلفة.

5 - تعزيز البحث العلمى، ونقل التكنولوجيا، وإدارة المعرفة والوعى لمكافحة ظاهرة تغير المناخ بصورة رشيدة.

المرجع : مصادر متعددة.

يابيوت السويس...يا بيوت مدينتى

ما من مدينة ارتبط اسمها بالنضال والتاريخ الوطنى مثلما ارتبطت مدينة السويس وشعبها. هكذا تحدث الرئيس جمال عبدالناصر عن هذه المدينة الباسلة، ولم يكن الزعيم يتحدث من فراغ، فبحكم موقعها الجغرافى تعتبر مدينة السويس أول نقطة صدام عسكرى مع كل الغزاة القاصدين احتلال مصر من ناحية الشرق، ولذلك فليس هناك مدينة فى العالم ارتبط اسمها بالتاريخ والصمود مثلما ارتبطت مدينة السويس وشعبها، وكأن السوايسة قد منحهم الله جينات البطولة ليخرج من رحمها الفدائيون فى كل أزمنة المقاومة، قديماً وحديثاً، كما تحكى صفحات التاريخ.

د.هشام عبدالملك
Hesham.Abdel.Malek@bbc.co.uk

وكانت مدينة السويس وأهلها على موعد جديد من البطولات والتضحية عندما نجحت يومى الرابع والعشرين والخامس والعشرين فى التصدى للقوات الإسرائيلية، ومنعتها من دخول المدينة.

وتبدأ هذه الصفحة من البطولات الخالدة عندما استغلت القوات الإسرائيلية الثغرة بين الجيشين الثانى والثالث الميدانيين، فيما عرف بثغرة الدفرسوار، وحاولت أن تحفظ ماء وجهها الذى أريق فى حرب أكتوبر المجيدة، ولم لا؟ فقد شعرت إسرائيل بالمهانة التى باتت عليها المؤسسة العسكرية أمام المجتمع الإسرائيلى بعد نجاح القوات المصرية فى عبور قناة السويس، واقتحام مواقعها، وتدمير وقتل وأسر قواتها، وبالتالى كان لابد لها من عمل قوى لكى تستعيد سمعتها داخل هذا المجتمع خاصة بعد تدفق الدعم الأمريكى الضخم من الأسلحة والمعدات الحديثة عبر الجسر الجوى والبحرى الأمريكى منذ يوم التاسع من أكتوبر من عام 1973، أى عقب سحق قواتها فى يوم الاثنين الحزين فى اليوم السابق، وهو يوم الثامن من أكتوبر، هذا فى الوقت الذى لم تعوض فيه قواتنا ولو بعضاً من خسائرها.

وهناك فى التاريخ العسكرى ما يشير أحياناً إلى معركة قد تبدو صغيرة، إلا أن مصير الحرب قد يتوقف على نتيجتها، ويتضح ذلك من معركة السويس، إذ كان اقتحامها من قبل القوات الإسرائيلية، يعنى إهدار النصر الذى حققته القوات المصرية خلال حرب أكتوبر المجيدة، هذه صورة، وصورة أخرى لا بد أن يتم توضيحها، وهو أننا عندما نتحدث عن تسلل القوات الإسرائيلية للقتال غرب قناة السويس خلال حرب أكتوبر المجيدة فعلينا أن نتذكر دائماً بأن إسرائيل بما لديها من قوة دعائية كبيرة ركزت على هذه العملية إعلامياً فى أثناء الحرب لكى توضح للرأى العام أنها معركة رئيسية، والحقيقة أنها كانت معركة فرعية تتوه فى خضم المعارك الضخمة التى خاضتها القوات المصرية ضد القوات الإسرائيلية فى هذه الحرب والتى كان عددها أكثر من خمسين معركة نجحت فيها قواتنا فى سحق القوات المعادية التى لم تهنأ بتحقيق أى انتصار وتعرضت لخسائر فادحة.

ويلقى اللواء مسعد الششتاوى رئيس عمليات الجيش الثالث الميدانى الضوء على ثغرة الدفرسوار، قائلاً: «يمكن الإقرار فى البداية بأن عبور القوات الإسرائيلية إلى غرب القناة كان مسألة متوقعة أمام المخطط المصرى فى أثناء الإعداد للحرب، فمنذ شهر يوليو من عام 1971 قامت القوات الإسرائيلية بتنفيذ مناورة عسكرية ببحيرة طبرية، وكان تقدير المخابرات المصرية عن هذه المناورة أنها عملية تدريب على عبور قناة السويس، وفى منطقة الدفرسوار بالتحديد، ومن هذا المنطلق روعى فى هذا التخطيط هذا الاحتمال، وتم تخصيص قوات لنا فى الغرب لكى تتعامل مع هذا الاحتمال، ولكن ما حدث خلال يومى الثامن والتاسع من أكتوبر، ونتيجة لأعمال القتال الضارية فقد ظهرت ثغرة أو فاصل بين الجيشين الثانى والثالث الميدانيين فى شرق القناة، وعندما عبرت الاحتياطيات المصرية من غرب القناة إلى شرق القناة يومى الثانى عشر والثالث عشر من أكتوبر لتنفيذ عملية التطوير يوم الرابع عشر من أكتوبر ظهرت ثغرة أخرى بين الجيشين فى الغرب.

وفى يومى الثالث عشر والخامس عشر من أكتوبر قامت الطائرات الأمريكية بطلعات استطلاع جوى بالطائرات (S.R71A) على ارتفاع أكثر من ثلاثين كيلومتراً، وبسرعة ثلاثة ماخ، أى ثلاثة أضعاف سرعة الصوت، ونقلت معلومات فورية إلى إسرائيل عن حدوث خلل فى الاتزان الدفاعى غرب القناة بعد عبور احتياطياتنا إلى الشرق للتطوير (غير المخطط)، والذى توقف فى الشرق يوم الرابع عشر من أكتوبر بعد أن حقق أهدافه بتخفيف الضغط على الجبهة الشمالية فى سوريا، وعندئذ طلب الجنرال الإسرائيلى آريئيل شارون قائد إحدى الفرق المدرعة من الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان التصديق له على خطة عبور إلى الغرب».

ولم تتعلم إسرائيل من دروس التاريخ، ولم تقرأ جيداً صفحات النضال لمدينة السويس، ولذلك عندما فشلت القوات الإسرائيلية فى اقتحام مدينة الإسماعيلية، استدارت باتجاه الجنوب للاستيلاء على مدينة السويس متصورة أن خطة حصار الجيش الثالث قابلة للنجاح بثمن أقل من الثمن الذى دفعته فى الطريق إلى الإسماعيلية، وبالحسابات العسكرية وصلت القوات الإسرائيلية إلى مشارف مدينة السويس ليلة 22 / 23 من أكتوبر.

يقول المشير محمد عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة فى مذكراته (حرب أكتوبر 1973) «إنه بالرغم من موافقة مصر وإسرائيل على قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، إلا أن إسرائيل تركت لجيشها حرية العمل العسكرى، على أمل احتلال مدينة السويس، فتكون بذلك حققت هدفاً له تأثيره السياسى والعسكرى والإعلامى الكبير».

لقد أدرك شعب السويس، مع الساعات الأولى من يوم الثالث والعشرين من أكتوبر، أن القوات الإسرائيلية على وشك مهاجمة المدينة، واستعد كل من فى المدينة للدفاع عن الأرض والعرض، بينما أرادت إسرائيل فرض إرادتها العسكرية على المدينة، وها هو المشهد ظهر يوم الثالث والعشرين من أكتوبر حيث قامت الطائرات الإسرائيلية بغارات وحشية، ومارست حصاراً برياً وبحرياً، وعمدت إلى توجيه أقسى أساليب الحرب النفسية ضد سكان مدينة السويس وبغير شفقة ولا رحمة

بقصد ترويعهم والضغط على أعصابهم لحملهم على التسليم، واعتقدت القيادة الإسرائيلية أن أهل السويس سوف يقابلون دباباتها ومدرعاتها بالأعلام البيضاء حال ظهورها بعد أن أصبحوا فى هذه الظروف المعيشية التى لا يمكن لبشر أن يتحملها، ولكن ما تصورت القيادة الإسرائيلية أنه فى متناول اليد لم يكن سوى الثمرة المحرمة التى ألقت بهم إلى الهلاك.

ويأتى فجر الرابع والعشرين من أكتوبر، والذى صادف الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك، وأعود بكم إلى هذه اللحظات الخالدة فى تاريخ النضال الوطنى لنعيشها معاً، حساً وروحاً، ولنشارك شعب السويس هذه الأجواء الإيمانية، فها هو المؤذن ينادى بصلاة الفجر من مسجد الشهداء، وها هو المسجد يكتظ بالناس، والشيخ المجاهد حافظ سلامة قائد المقاومة الشعبية يؤم المصلين، تنتهى الصلاة، ويتقدم محافظ السويس بدوى الخولى ليلقى كلمة قصيرة «بسم الله الرحمن الرحيم.. أيها المواطنون الكرام.. شعب السويس العظيم... إن العدو يستعد لدخول مدينة السويس.. علينا أن نثق فى الله عز وجل.. علينا أن نكون فى أعلى درجات الهدوء.. وعلى كل فرد منا أن يسهم بما يستطيع تحقيقه.. الله أكبر... الله أكبر»، الهتاف يشق سكون الليل، ويرتفع الدعاء من أعماق القلوب إلى السماء، نعم ليس لها من دون الله كاشفة، إما النصر أو الشهادة، وفى ظل هذه الأجواء يتم وضع خطة الدفاع عن المدينة ويتم إعلانها بواسطة القائد العسكرى برفقة محافظ السويس فى صلاة الفجر.

يقول المؤرخ العسكرى جمال حماد فى كتابه (المعارك الحربية على الجبهة المصرية) «كان معظم سكان مدينة السويس قد تم تهجيرهم إلى خارج المحافظة منذ أن بدأت معارك حرب الاستنزاف عام 1968، ولذلك لم يكن داخل المدينة عند نشوب حرب أكتوبر سوى عدد قليل لايتجاوز خمسة آلاف فرد»، لكن الجميع شاركوا فى القتال، قاتل المدنيون، وقاتلت المقاومة الشعبية، ورجال منظمة سيناء الذين دربتهم وسلحتهم المخابرات الحربية، وقاتل رجال الشرطة فى المدينة، أما العبء الأكبر فقد وقع على كاهل القوات المسلحة، خاصة قوات الفرقة 19 مشاة، والتى كانت تؤمن مساحة كبيرة من رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة.

وكان واضحاً أمام قيادة الجيش الثالث والفرقة 19 مشاة أن الهدف هو حصار الجيش واستكمال تطويقه باحتلال السويس التى تعد فى ظهر الفرقة 19 فقرر العميد يوسف عفيفى قائد الفرقة دفع بعض الوحدات إلى غرب القناة، وأعاد توزيع قواته استعداداً لملاقاة العدو، وقامت بعض هذه الوحدات باحتلال الساتر الترابى على ضفتى القناة وأسلحتهم فى اتجاه العدو المتقدم باتجاه السويس، وتم تلغيم الفتحات الشاطئية فى الساتر الترابى، كما تم دفع مجموعات استطلاع ليلة 22/ 23 من أكتوبر إلى منطقة أحد المعسكرات على الضفة الغربية للقناة لإبلاغ قيادة الفرقة بنشاط العدو فى المنطقة.

وفى اليوم نفسه، وعلى الجانب الآخر، مجلس الأمن يصدر قراراً ثانياً بوقف إطلاق النار على أن يبدأ سريانه اعتباراً من الساعة السابعة من صباح يوم الرابع والعشرين من أكتوبر، إسرائيل صمت أذنيها، ومنذ متى وإسرائيل تحترم القرارات الدولية، فقبل أن يجف حبر البيان الصادر عن مجلس الأمن، ها هى سماء مدينة السويس الصامدة تمتلئ بالطائرات الإسرائيلية ابتداء من الساعة السادسة صباحاً، والقصف يطال أحياء السويس لمدة ثلاث ساعات متواصلة، فى موجات متلاحقة، وبشدة لم يسبق لها مثيل، وها هى المدفعية الإسرائيلية فى القصف، كان القادة الإسرائيليون يمنون أنفسهم بتحطيم أى مراكز للمقاومة داخل المدينة، والقضاء على أى تصميم على القتال لدى شعب السويس.

الروح مقابل الروح، والعقل مقابل العقل، لقد تجنب القادة الإسرائيليون فى قصفهم لمدينة السويس استهداف المداخل الرئيسية الثلاثة للمدينة، محور المثلث، ومحور الجنايين، ومحور الزيتية، هم يفكرون ويخططون، وأبناء السويس يقرأون أفكارهم، وأدركوا أن القوات الإسرائيلية ستستخدم هذه المداخل فى اقتحام مدينة السويس، وهو ما تم بالفعل، ولذلك بدأوا فى تنظيم أنفسهم، وهم يتشوقون للقتال، ورد العدو مخذولاً مهاناً، وكما قلناها سابقاً، إما النصر أو الشهادة.

الدبابات والمدرعات الإسرائيلية تتقدم الآن باتجاه السويس، وأصوات المجنزرات تقترب، وأنفاس أبطال السويس تعزف سيمفونية الصمود والمقاومة، سيتوقف قلمى عن الكتابة، ولنستمع إلى نبض قلم الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى مذكراته (حرب أكتوبر) «لقد بدأ العدو هجومه على السويس بلواء مدرع يتقدم من الشمال على محور الإسماعيلية السويس، ولواء مدرع بكتيبة مظلات يتقدم على محور القاهرة السويس، ولواء مدرع آخر يتقدم من اتجاه الزيتية جنوب وجنوب شرق السويس، لقد فشل الهجوم الذى جاء من المحور الشمالى، ولم يستطع دخول المدينة، بينما دخلت دبابات العدو على المحور الغربى والجنوبى .

ها هم أبطال المقاومة يرتبون صفوفهم، وينصبون الكمائن، وأهل السويس بالطبع أدرى بشعابها، وقد تم نصب كمين رئيسى، وكمائن أخرى فرعية، يقول عبدالمنعم قناوى أحد أبطال المقاومة «نصبنا ثلاثة كمائن فى شارع الجيش، كمين عند مزلقان البراجيل وترعة المغربى، وكان هناك كمين آخر عند جامع الأربعين، وكمين آخر عند سينما مصر».

ها هى القوات الإسرائيلية تهاجم بنحو ثلاثين دبابة، تلى كل منها مجنزرة تحمل المظليين للتطهير وقتال الشوارع، وتم الهجوم من الشرق، وكانت الشمس فى أعين العدو، وكانت خلف قواتنا لتخدم المراقبة والقناصة خلف النوافذ وعلى الأسطح مع تواجد ألغام مضادة للدبابات مع مجموعات البدرومات لتُنشر فى أثناء الهجوم فى التقاطعات خاصة ميدان وقسم الأربعين وسينما رويال، بينما تحتل الكمائن المداخل بالصواريخ والقواذف المضادة للدبابات.

القوات الإسرائيلية تدخل مدينة السويس، وقد بدت خاوية على عروشها، لكنه الهدوء الذى يسبق العاصفة، وبدأت المعركة، وانقلب السكون إلى جحيم مستعر، وليس من سمع كمن قرأ، سأنحى قلمى جانباً، وأترككم تسمعون صوت القتال (.....).

ودعونا الآن نلتقط بعض مشاهد البطولات المصرية، حيث دارت معركة السويس بمقاومة شعبية من أبناء السويس مع الفرقة 19 مشاة داخل المدينة، ونتابع جينات هذه البطولات، انظروا نحو اليمين، إنه إبراهيم سليمان بطل الجمهورية فى الجمباز يتصدى للدبابة الأولى ويصيبها بقذيفة آر بى جى.

هنا دب الرعب فى قلوب جنود العدو، إنه يرتسم على وجوههم، «لقد وقعنا فى كمين» هكذا يقول جندى إسرائيلى لزميله داخل إحدى الدبابات، ويكمل الكابتن غزالى بطل المقاومة الشعبية بالسويس القصة، قائلاً «بعد تدمير أول دبابة اصطدمت باقى الدبابات ببعضها، وبقيت المدرعات والدبابات تلف وترجع، وتخبط فى بعض، الجنود الإسرائيليون تركوا الدبابات والمدرعات وحاولوا الاختباء فى البيوت، ولكن أكبر عدد من القوات الإسرائيلية احتمى فى قسم الأربعين، كان مبنى كبيراً، ومحاطاً بأربعة شوارع».

وهنا دارت معركة قوية حول قسم الأربعين، قتل فيها كثير من الجنود الإسرائيليين، بينما ارتوت أرض مصر الطاهرة بدماء الشهداء إبراهيم سليمان وأشرف عبد الدايم وفايز حافظ أمين، وإبراهيم محمد يوسف أبطال المقاومة.

ونتوجه الآن إلى الكمين الآخر الذى نصبه الفدائيون للقوات الإسرائيلية بالقرب من مزلقان البراجيل، ها هو قائد المجموعة أحمد أبو هاشم يسقط شهيداً بعدما دمر آخر

يابيوت السويس... يا بيوت مدينتي

دبابة فى الفوج الإسرائيلى الثانى الذى دخل من شارع الجيش.

ونحـــول أنظارنا نحو قائـــد مجموعة منظمة ســـيناء العربية محمود عواد الذى يقود الكمين الثالث بالقرب من مســـجد أبو العزايـــم، وهنا أترك بقيـــة القصة يرويها البطل عبدالمنعم قناوى «كان زملاؤنا فى هذا الكمين قد احتلوا عدداً مـــن دبابات العدو بعدما هرب منها الجنود، واشتبكوا بالمدفع الرشاش الموجود فوق برج الدبابة مع دبابة إسرائيلية أخرى، وقتها أمرهم محمود عواد أن يخفـــوا الضرب، وجـــرى بسرعة اتجاه الدبابة الإسرائيلية ونط وألقى قنبلة فى برج الدبابة، دمرها بطريقة غير متكررة فى خط المواجهة كله، لدرجـــة أن من صنع الدبابة، وهم إنجليز، جاءوا للســـويس بعد الحرب ليشاهدوا التدمير الذى حدث للدبابة، وكانوا مذهولين جداً بما حدث».

وظل القتال الضارى مستمراً حتى الليل الذى استغله العدو لتتســـلل قواته المتبقية منسحبة تحت جنح الظلام على ضوء بعض الإشارات الفوسفورية ليخرجوا من السويس، وقامت قواتنا بتدمير الدبابات السليمة التى تركهـــا العدو حتى لايفكر فى اســـتعادتها، لتستقر لاحقاً فى معرض السويس العسكرى لتراها الأجيال، وقد سقط فى هذا اليوم مائة قتيل إسرائيلى، وحوالى خمســـمائة جريح، لتذل المقاومة الشعبية إسرائيل، وتجعل من احتلالها للسويس أمراً مستحيلاً.

ولم تتعلم القوات الإسرائيلية من الدرس، فحاولت مرة أخرى يوم الخامس والعشرين من أكتوبر، حيث وصلت مجموعة جديدة من القوات الإسرائيلية عبر محور الزيتية بقيادة الجنرال آريئيل شارون الذى توجه إلى شركة السويس لتصنيع البترول (المعمل)، وطالب حاكـــم المدينة عبر مكالمة هاتفية بتســـليم الســـويس خلال ثلاثين دقيقـــة، «القوات الإسرائيلية على مشـــارف المدينة وتطالبنا بالتسليم، أفيدونا بردكم»، كانت هذه رسالة مختصرة بعثهـــا المحافظ بـــدوى الخولى عبر جهاز التلكـــس إلى الرئيس محمد أنور السادات، ليأتى الرد بعد خمس دقائق «لن نسلم، ولن نستسلم، استمروا فى القتال، الله معكم».

يقول الفدائى محمود طه منسق جمعية المجاهديـــن، أحد أبطال المقاومة الشـــعبية خلال الحرب «الرئيس السادات كان يعلم أن السويس إذا سلمت ورفعت رايتها البيضاء لشـــارون فلـــن يتوقف فى زحفـــه باتجاه القاهرة، الســـادات كان واثقاً فى بسالة أهل السويس».

بالطبع، هذه المـــرة أدرك الإسرائيليون أن هناك شعباً يحاربهم، فأصبح الدخول فى معركة جديدة أمـــراً صعباً، ورغم تهديدهم بقصف المدينـــة بالطائـــرات والمدافع، إلا أن رفض الاستسلام، وبســـالة أبناء مدينة الســـويس، حالا دون تنفيذ تهديداتهم بعد نفاد المهلة التى حددهـــا القائد الإسرائيلى، لنســـتمع إلى قائد المقاومة الشعبية الشيخ حافظ ســـلامة وهو يرد على تهديد القوات الإسرائيلية من خلال مكبرات الصوت بمسجد الشـــهداء «دى بلدنا هندافع عنها لحد آخر نقطة دم، أهلاً وســـهلاً مرة ثانية على أرض السويس، إن مدينة السويس فى احتياج لأن ترتوى بدمائكم مرة ثانية وثالثة ورابعة».

لقد كان الدرس قاســـياً، مؤلماً للقوات الإسرائيلية، ومن الصعب أن يغادر ذاكرتهم التاريخية مـــدى العمر، وظلـــت إسرائيل تقصف الســـويس بالطيران يومى السادس والعشرين والســـابع والعشرين من أكتوبر، ولم يتوقف القصف إلا فى صباح يوم الثامن والعشريـــن من أكتوبر بعـــد وصول قوات الأمم المتحدة إلى السويس، لتكتفى إسرائيل بحصار السويس من الخارج.

ولم يتوقف نضال شـــعب السويس عند هزيمة القوات الإسرائيلية، بل امتد النضال أيضاً لمواجهة الحصار الـــذى بدأ أول أيام عيد الفطر المبارك، والـــذى فرضته القوات الإسرائيلية على المدينـــة لمدة مائة يوم ويوم مع قَطع مصادر الميـــاه والكهرباء والوقود لإجبار المدينة على الاستســـلام، المشهد كان مؤلماً، فالطرق مغلقة، أصوات طلقات المدافع والقصـــف المدفعى لم تتوقف، ظلام دامس، والجرحى والمصابـــون فى كل بيت، والمحال مغلقة، مبان مهدمة، مخزون الطعام قارب على النفاد، مدارس تحولت إلى مستشفيات، المدينة لـــم يتبق بها إلا عربـــات (الكارو) كوســـيلة للانتقال، تلك هى ملامح حصار المائة يوم فى الســـويس، ولكن السويس كما انتصرت فى القتال انتصرت كذلك فى الصمود، وبينما خسرت القوات الإسرائيلية فى القتال، خسرت كذلك فى مشـــهد الحصار وخرجت تجر أذيال الخيبة، فقد انســـحبت تحت علم الأمم المتحدة فى شهر فبراير من عام 1974 بنـــاء على اتفاقيـــة فصل القـــوات تطبيقاً لقرارى مجلس الأمن رقمى 338 و339 بعد أن تم حصارهم من الشرق والغرب لتصفية هذا الجيب فيما عرف بالخطة شامل بقيادة اللواء ســـعد مأمون قائد الجيـــش الثانى الميدانى، خاصة بعد وصـــول قوات الدعم العربية لتزيد من كثافة الحصار فى مواجهة القوات الإسرائيلية المتبقية.

وهذه اللقطة المضيئة يقول عنها السيد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى «إن القوات الإسرائيلية رغم تفوقها الساحق براً وجواً كانت قد بلغت حـــدود طاقتها وقوة تحملها فى مواجهة الإنســـان الأعزل إلا من إيمانه، ولم تعد قادرة على مواصلة ضغطها، الأمر الذى يمكن أن يتحطم معه ما تبقى من صلابتها، وثبـــت بذلك أن الجيش الإسرائيلى ليس غير قابل للهزيمة».

إلى أمي السويس وشهدائها الأحرار
برقية حب/ اتعلمنا منك كيف الموت يتحب
واتعلمنا منك وقت الشدة نهب/ واتعلمنا ندوس الصعب
نمد الخطوة ندق الكعب/ واتعودانا شهيدك يبقى عريس
واتعوانا اليوم الكاكي/ ونوم الخندق لجل حماكي
يا أغلى مدينة وناس / ينباس ترابك ينباس
يا سويس يا سويس يا سويس.

لقد أمعنت القـــوات الإسرائيلية خلال فترة الحصار فى انتهاك جميع قواعد القانون ومبـــادئ الأخلاق، فقد ردمـــت ترعة المياه العذبة التى تنقل المياه من الإســـماعيلية إلى مدينة السويس والجيش الثالث، كما فككت مصنع تكرير الوقود ومصنع السماد اللذين كانا يقعان خارج الســـويس، واســـتولت عليهمـــا، أما الأجزاء الثقيلـــة التى لا يمكن نقلها فقد نسفتها عن آخرها قبل أن تغادر المكان، بل وفككت كذلك المواقع والمعدات من ميناء الأدبية، وأخذتها معها، ونسفت ما لم تســـتطع نقله، وفككت خطوط أنابيب المياه وأنابيب البترول التى كانت تمر فى المنطقة، كما نهبت واستولت على المواشى والمحاصيل التى كانت فى حوزة المواطنين، بل ورشـــت المبيـــدات والمواد الكيماوية لقتل الأشـــجار والنباتات والزراعات.

وها هو يوم النصر يهل بوجهه على مصر كلها بعد فك الحصار، إنها لحظة تاريخية، الرئيس محمد أنور السادات، خلال زيارته لمحافظة السويس فى يونيو من عام 1974، يعلن يوم الرابع والعشرين من كل عام العيد القومى للسويس، وليكون عيداً لمصر كلها، ويقول الرئيس محمد أنور الســـادات «إن ملحمة السويس الخالدة سوف تنقلها الكتب والأبحاث، وتتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، فمدينة السويس لم تدافع عن نفسها فقط، ولكنها كانت تعبر عن بطولة كل مدينة وكل قرية فى أرض مصر، وكانت تعرف أنها تحمل فى عنقها اسم الشعب المصرى كله، من أجل هذا فإن ديـــن كل مدينة وكل قرية فى مصر نحو مدينة السويس دين لا ينسى، ولابد من الوفاء به»، نعم، ســـتظل مصر، دائماً، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، تتذكر بطولات مدينة السويس، وتتغنى بها، ودائماً تحيا مصر.

منصـــة القـــرم

فى إطار مســـاعيها الدبلوماسية لاستعادة شبه جزيرة القرم التى ضمتها روسيا عام ٢٠١٤ وفى الذكرى الثلاثين لاســـتقلال أوكرانيا عن الاتحاد السوفيتى السابق وفى مبادرة دبلوماســـية أوكرانية لتذكير العالم بمشـــكلة القرم حتى لا تضيع فى طى النسيان .

سفير أسامة توفيق بدر
osama56@hotmail.com

توصلت الدبلوماسية الأوكرانية إلى فكرة تشكيل منصة القرم لتكون منبرًا يضم الدول الصديقة لأوكرانيا والمؤيدة لها لكى تكـــون أداة فاعلة تذكر العالم بأهمية القرم وضرورة عودتها للسيادة الأوكرانية وممارسة كل الضغوط الممكنة على روسيا لإعادتها إلى أوكرانيا.

وقد اختـــارت أوكرانيـــا يوم ٢٣ أغسطس لعقد المنصة وهو يمثل عشية يوم عيد استقلالها الثلاثين ومن المؤكد أنه ســـيصبح يومًا ثابتًا كل عام وقد تم توجيه الدعوة إلى الرئيس الأمريكى جو بايدن والذى لـــم يحضر الاحتفال نظرًا للشـــبهات التى أحاطت به هو وابنه فى ملفات اقتصادية أوكرانية وهو الاتهام الذى وجهه إليه الرئيس الأسبق ترامب، كمـــا وجهت أوكرانيا الدعـــوة إلى كندا وتركيا والاتحاد الأوروبى لكن المشاركة لم تكن بالشـــكل الذى توقعته أوكرانيا – وربما يرجع ذلك إلى انشـــغال العالم بسقوط كابول وسيطرة طالبان – وكانت أوكرانيا ترغب فى حضور قوى وعلى أعلى مستوى وكانت تركز على حضور بايدن حتى يمكن إصـــدار قرارات وتوصيات تكون ذات صيغة قوية وحاسمة وتكون رادعة لروسيا لإنهاء سيطرتها على شبه جزيـــرة القرم والمحافظـــة على حقوق شـــعب تتار القرم ومعالجـــة التدهور البيئى وخنق التجارة فى البحر الأســـود وبحر الآزوف، ولكن للأســـف خرجت القمـــه ببيان روتينـــى ينضم إلى مئات القرارات التذكارية السابقة بلا طائل.

وعقد الرئيس زيلينسكى لقاء قمة مع الرئيس الأمريكـــى بايدن فى البيت الأبيض بعد أسبوع واحد من عقد منصة القرم للحصول على المزيد من المساعدات الأمريكيـــة السياســـية والاقتصادية وتقديم كل المساندة للطلب الأوكرانى فى الانضمام للاتحاد الأوروبى وحلف الناتو وهما الطلبـــان اللذان يواجهان تعثرًا فى الموافقة عليهما فى الوقت الراهن، ولكن القمـــة التى تم تأجيلهـــا عدة مرات لم تسفر عن جديد وتهرب بايدن من تأييد الطلب الأوكرانى الملح من قبول انضمام أوكرانيا لعضويـــة الحلف رغم أن هذا كان الهـــدف الأول لزيارة زيلينســـكى لواشنطن ولكن واشنطن اكتفت بمنحه بعض المساعدات.

وفى اعتقـــادى أن الظروف ليســـت مواتية لتحقيـــق طلبات أوكرانيا فى هذا التوقيت بالذات حيـــث تتزامن منصة القرم ولقاء بايدن زيلينسكى مع سقوط أفغانســـان وعودة طالبـــان وهو الأمر الذى ســـتوليه الولايات المتحدة أولوية قصوى لدراســـة تبعاته، كما أن الحلف لا يرغب فى تحمل تبعات صدام عسكرى مع روســـيا وهو الأمر الذى تسعى إليه أوكرانيا، كما أن الاتحاد الأوروبى أيضًا لا يرغب فى قبول عضوية أوكرانيا فى وقت قريب لذلك قدم لها وعودًا بمســـاعدات وتسهيلات دون قبول عضويتها.

الطـاقة الإيجـابية

ما المقصود بالطاقة الإيجابية:

الطاقة الإيجابية هى أحد المصطلحات التى يستخدمها علم النفس ويقصد بها مجموعة الصفات التى يجب أن توجد فى الشـخص مثل التفاؤل والعطاء والتعاطف والتهذيب وغيرها. والشخص ذو الطاقة الإيجابية شخص متفتح مقبل على الحياة متفائل مبتسم دائماً متعاطف مع الآخرين ويؤدى واجباته بنشاط وتفاؤل ويختار الخطوات الصحيحة والحلول المناسبة للتفاعل معها.

كما يمكـن القول بأن الطاقة الإيجابية هى مجموعة من المواقف والمشـاعر وطرق التفكير وأنماطه على نحو إيجابى، وتتمثل فى المحبـة والتعاطف والكـرم والتفاؤل والحماس والسـعادة. كمـا تمنح الطاقة الإيجابية الشـخص القدرة على أن يشعر من حوله بالأمان والاسترخاء والمتعة فوجود شخص ذى طاقة إيجابية يبعث فيمن حوله شعوراً بالإيجابية كذلك.

وكل إنسـان يحمل فى نفسه طاقة قد تكون إيجابية وقد تكون سلبية وقد يمزج بين الطاقتين بحسب المواقف.

والطاقة السلبية هى الموجودة فى الكره والحزن والغضـب والخوف، وهذه الطاقة لا يمكن قياسـها بأجهزة القياس المعروفة ولكنها تقاس بالبندول، وبحسـب اتجاه دورانه تعرف الطاقة الإيجابية والسـلبية. ويتواجد هذان التياران فى كل أعضاء الجسم ويعنى توازنهما أن الحالة الصحية جيدة أما اختلالهما فيعنى اعتلال الصحة والحاجة إلى ضبط وتعادل الطاقة وموازنتها.

ويحتوى باطن اليـد اليمنى على تيار الطاقة الإيجابية كما يحتـوى باطن اليد اليسرى على تيار الطاقة السلبية وللحصول على معادلة الطاقة بينهما يجب تدليك باطن اليدين معاً.

كما أن الجهة الخلفية للرأس تحتوى على تيار سالب فإذا شعرنا بالصداع علينا وضع باطن اليد اليمنى ذات الطاقة الإيجابية على الجزء الخلفى من الرأس ذى الطاقة السلبية وباطن اليد اليسرى ذات الطاقة السـلبية على الجزء الأمامى من الرأس مما يعمل على تحريك الطاقة الطبيعية فى الرأس ومعادلة الطاقة وبالتالى الشعور بالتحسن.

كيفية الحصول على الطاقة الإيجابية:

إن الحصول على الطاقة الإيجابية ليس أمراً سـهلاً ولكنها تستحق الجهد المبذول للحصول عليها، حيث إن التفكير الإيجابيّ يؤثر بشـكل مباشر على نفسـيّة الإنسان وصحتـه البدنية كما يزيد مـن إنتاجيته. وأيضـاً التأثير فى المجتمـع ويمكن القيام بالإجراءات التالية للحصـول على الطاقة الإيجابيّة:

1 -عند الإحسـاس بالتعب والسلبية اضحك بصوت عال فهذا يعزز جهاز المناعة ويبعد أمراض القلب والإصابة بالكآبة لأن الضحك بصوت عال يعطى ذبذبات إيجابية.

2 -ممارسة الرياضة لمدة نصف ساعة

سفير عزت البحيرى
رئيس الجمعية العلمية
لدراسات ما وراء الطبيعة

بشـكل متواصل أو المشى (كل فى مكانه) من 5 - 10 دقائق فهـى كافية للحصول على الطاقة المطلوبة أو القفز على الحبل أو الرقص مع الأطفال وحملهم.

3 -ممارسـة المسـاج أو التدليك من حين لآخر لأنه يساعد على ارتخاء العضلات وتسريـع ضغط الـدم فى الجسـم ومن المستحسن عند الشـعور بالاكتئاب القيام بتدليك الـرأس بطريقة ناعمة وبشـكل دائرى لمدة دقيقتين متواصلتين ثم الانتقال إلى الضغط 10 ثـوان حول الأذن والتوقف ثانيتين وتكرار ذلك.

ويؤكد المتخصصون أن تدليك الرأس مفيد جداً ولكن يجب عدم الضغط بشدة على الرأس.

4 -ويشير المتخصصون إلى أن الإنسان عادة يشعر بالتعب نتيجة قلة الماء فى الجسم لأن قلة الماء تؤدى إلى قلة الأوكسجين المطلوب للدورة الدموية وفى هذه الحالة يكون العلاج بشرب 8 أكواب من الماء فى اليوم أى من لتر ونصف إلى لترين ماء.

5 -وللموسـيقى دور مهـم فى إعطاء الطاقة الإيجابية للدماغ مع ضرورة التركيز على الموسيقى السريعة الإيقاع وليس البطيئة لأن الموسـيقى البطيئة تساعد على نوع من الاكتئاب لهذا ينصح بسـماع الموسـيقى البطيئة وبتسريعها شـيئاً فشيئاً للحصول على الطاقة اللازمة للدماغ.

وللحصول عـلى الطاقـة الإيجابية هناك طريقة أخرى وهى الوقوف بشـكل مستقيم عند الإحسـاس بالتعب والاكتئاب وشد الجسم بسرعة كبيرة وبقوة والتنفس بعمق لأن الوقوف بشـكل مستقيم يجعل الرئتين تنتفخان أكثـر مما يجعلها قادرة على اسـتيعاب كمية من الأوكسجين أكثر من المعتاد فتصل بالتـالى كمية كبيرة من الأوكسـجين إلى الدماغ لأن التعب يؤدى إلى تقليل نسبة الهواء فى الجسم وبالتالى جعل الحركة بطيئة.

الحصول على الطاقة الإيجابية يتطلب الإرادة والانتباه إلى أمور بسيطة فى حياتنا ومن الأشياء التى تولد طاقة إيجابية ما يلى:

1 - الأعشاب الطبيعية: مثل عشب إكليل الجبل فهو يساعد على رفع الروح المعنوية وتهدئة الأعصاب عند استنشاق رائحته وهو موجود عند العطارين.

2 - التسـامح: يحقق الطاقة الإيجابية لأنه يحقق السلام الداخلى مع روحنا. حاول أن تتسـامح مع نفسـك ومع الأشخاص المحيطين بك فإذا أخطأت فى حق أحد بادر بالاعتذار.

كما يقول الخبراء أن التفكير السـلبى فى أمور مضت يعمل على امتصاص الطاقة الإيجابية ويولد طاقة سلبية.

3 - عـشر دقائق مشى يومياً وأن تركز تفكيرك على الأمور التى أنت شاكر لوجودها فى حياتـك. صحتـك. أولادك. أصدقاءك. عملك. زوجتك. هذا التمرين يسـاعد على تصفية العقل والروح من الشوائب السلبية.

4 - تنفس الطاقة الإيجابية: اجلس على كرسى بشكل مستقيم فارداً ظهرك وأكتافك وتنفـس بعمق من بطنـك وريح عضلات أكتافك ورقبتك حتى لا تصاب بالتشنج هذه الطريقة تملأك بالحيوية والنشـاط نتيجة بث الطاقة الإيجابية فى جسدك ويستحسن القيام بذلك مرة يومياً حيث تسـاعد هذه الطريقة على إخراج شحنات التوتر والقلق وإدخال الطاقة الإيجابية، وتخصيص مكان فى المنزل للاسترخاء والراحة وشحن العقل والجسم.

5 - اشرب كفايتك من الماء لأنها تساعد على الشعور بالحيوية والطاقة الإيجابية.

وهناك وسائل أخرى عديدة للحصول على الطاقة الإيجابية منها:

1 - اتباع التعاليم الدينية وترك الذنوب والمعـاصى والتحلى بالأخلاق الحسـنة فى التعامل مع الناس مثل الصفح والتسـامح وعدم الحقد.

2 - ممارسة المشى والجرى حيث يساعد ذلك على إخراج الطاقة السلبية ويعمل على

تصفية الذهن من المتاعب والأفكار السلبية.
3 – القراءة والكتابة حيث تساعد على إخراج الطاقة السلبية من الجسم وبعث الطاقة الإيجابية.
4 – الابتسامة حيث تظهر انطباعاً إيجابياً عن نفس صاحبها بأنه يحمل الحب والمودة والرحمة بشرط أن تكون صادقة.
5 – مداعبة الأطفال الصغار ومجالستهم حيث أن ذلك يكسب الشخص شحنات إيجابية.
6 – الجلوس والسجود على الأرض مباشرة حيث تبين أنه يسحب الطاقة السلبية ويبدلها بطاقة إيجابية. كما ثبت أن ملامسة القدمين للتراب أو الرمل أو الحشائش يسحب ما فى الجسد من طاقة سلبية.
7 – الرسم والتلوين والزخرفة والنحت لها دور فى تفعيل الطاقة الإيجابية.
8 – إعمال الخيال بشكل إيجابى كتخيل الإنسان نفسه فى حديقة جميلة أو يتذكر أشياء ممتعة وجميلة حدثت له كالرحلات والجلسات الهادئة على شاطئ البحر أو النهر.
9 – التجديد فى روتين الحياة اليومى بشكل مستمر يبعث على الحيوية والنشاط ويكسب الإنسان طاقة إيجابية.
10 – الذهاب إلى الفراش قبل الساعة العاشرة والنصف مساءً وأخذ قسط كاف من النوم.
11 – عدم تناول الأطعمة أو مادة الكافيين بعد الثامنة مساء والإكثار من تناول الفاكهة والخضراوات يومياً والإكثار من شرب الماء.
12 – الرضا والقناعة بقضاء الله ونظر الإنسان لما يملكه لا إلى ما لا يستطيع امتلاكه يجعله فى سعادة وراحة بال.
13 – تجنب الحقد والكره والغضب والحسد.
14 – الذهاب إلى مناطق طبيعية كالشواطئ والجبال والحدائق يصفى النفس من الطاقة السلبية ويكسبها طاقة إيجابية.
15 – التفكير الإيجابى والنظر إلى كل يوم جديد باعتباره فرصة جديدة.
16 – ممارسة التأمل فى بداية اليوم لأن ممارسة التأمل من شأنها أن تمد الإنسان بالطاقة الإيجابية بكافة أشكالها فمن الممكن ممارستها من خلال الجلوس بوضعية مريحة والاسترخاء بشكل تام بحيث يستطيع التحكم فى أفكاره واستحضار الأفكار والمواقف الإيجابية كما يمكن أخذ شهيق عميق لزيادة التركيز وتحقيق ردود الفعل الإيجابية.
17 – إيجاد القوة الداخلية وعدم الشك بقدراته لذا يجب الإيمان بالنفس وتعزيز الثقة فيها.
18 – استخدام العطور الزيتية مثل اللافندر وعطر البرتقال وزيت اللبان.
19 – التنظيم والترتيب.
20 – مكافأة النفس من وقت لآخر وذلك بالخروج إلى الترفيه.

طرق التخلص من الطاقة السلبية:

للسلبية أثر كبير فى حياة الإنسان لأنها تحد من قدرته وتؤثر على صحته سلباً وفيما يلى بعض طرق التخلص من الطاقة السلبية:
1 – ركز دائماً على ما تملكه من نعم وليس على ما تفقده.
2 – اعترف بأخطائك وتحمل مسئولية أى قرار تتخذه.
3 – حافظ على ابتسامتك دائماً.
4 – حاول أن تفعل شيئاً تحبه أو مارس هواية تفضلها.
5 – ابتعد عن الأشخاص السلبيين.
6 – لا تتحدث عن الطاقة السلبية.
7 – حاول أن تلتمس العذر للآخرين.
8 – ممارسة الرياضة.
9 – حاول السيطرة على ظروف حياتك.
10 – انثر بذور الخردل بشكل عشوائى حول منزلك لأن ذلك يجنب منزلك الطاقة السلبية.
11 – الاحتفاظ بوعاء من الملح فى الركن الشرقى من المنزل لأن ذلك يجلب الطاقة الإيجابية ويبعد الطاقة السلبية وتنظيف المنزل بماء مضاف إليه الملح. كما أن وضع وعاء من الملح فى الغرفة المخصصة لدراسة الأبناء تساعدهم على التركيز.
12 – الاحتفاظ بثلاث حبات من الليمون فى عبوة زجاجية مملوءة بالماء يمكن أن يزيل جميع أنواع الطاقة السلبية من المكان وتجذب الطاقة الإيجابية (وفقاً للمعتقدات الهندية).
13 – حرق بعض أوراق الغار (اللورى) يؤدى إلى إزالة الطاقة السلبية كما يجلب دخان أوراق الغار موجة من السلام فى المنزل.
14 – وضع أعواد القرفة فى المكان الذى تحتفظ فيه بأموالك يساعد فى إزالة أى آثار سلبية على أوضاعك المالية. كما أن وضع بعض أعواد القرفة تحت الوسادة يمكن أن يساعد فى تجنب الأحلام المزعجة أو الكوابيس وفى تحقيق الطاقة الإيجابية.

تأثير الطاقة السلبية على حياة الإنسان:

ترى الدكتورة ميرنا سعادة أخصائية العلاج النفسى أن الأشخاص ينظرون إلى الأمور بسلبية لأنهم يعانون من مرض نفسى أو اكتئاب ويشعرون كأنهم يسيرون فى نفق مظلم لا نهاية له وبالتالى يترافق التشاؤم والسلبية مع مرض الاكتئاب فينظرون إلى كل شئ حولهم بسلبية، والشخص السلبى يكون عادة حساساً جداً وحدة الحساسية المفرطة تظهر عندما يصاب بالقلق أو التوتر وكلما كان الإنسان حساساً ينظر إلى الأمور بسلبية ويشعر بالقلق.
وعندما تراود الإنسان الأفكار السلبية فذلك لأنه ليس سيد نفسه أى يشعر بأنه الضحية يخلق الأعذار لنفسه وبأن كل ما يحصل له فى الحياة لا علاقة له به لأنه الضحية بالإضافة إلى شعوره بعدم الثقة فى نفسه.
وعندما تسأله لماذا لا تشعر بالثقة فى نفسك يقول بأنه مرّ بتجربة فاشلة فى حياته وحتى لو كان هذا الفشل حدث مرة واحدة يظل يشعر بالسلبية لأنه لم يعمد إلى مصالحة نفسه عندما حدث له ذلك فى البداية لهذا يتعامل مع الناس بخوف وقلق كما أنه يتعامل مع النفس بقلة احترام لأن السلبية لديه تجعله لا يحترم الناس فيسئ التصرف معهم.
والشخص السلبى يتعامل مع عائلته بطريقة سلبية أيضاً أو يعبر عن غضبه ويصرح ويقول كلاماً مؤذياً لأنه يعتبر أهله هم السبب لذا يعبر عن غضبه وقد يشعر بأنه ينتقم منهم وبالتالى تتأثر العلاقة بين الشخص السلبى وأفراد أسرته بطريقة سلبية.

كيف ترفع طاقتك الإيجابية؟

(1) الابتسامة: فهى تبعث على الحب والمودة والرحمة وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «تبسُمك فى وجه أخيك صدقة».
(2) مجالسة الأطفال الصغار ومداعبتهم وتقبيلهم لأن أرواحهم الطاهرة البريئة تبعث شحنات إيجابية بشكل مستمر فهم ينشرون الحب والسعادة والمرح بشكل مستمر رغم انزعاجنا منهم فى بعض الأوقات إلا أننا سرعان ما نشتاق إليهم والتقرب إليهم بسبب ذلك الشعور الرائع ونحن بقربهم.
(3) التفاؤل بالخير والرضا بالقضاء والقدر يبعث طاقة إيجابية ويسعد صاحبه ويجلب له الخير.
(4) الابتعاد عن الأشخاص والأماكن التى تسبب لك الضيق.
(5) الصفح والتسامح وتطهير القلب يزيد الطاقة الإيجابية.
(6)السجود على الأرض وخاصة على التراب مباشرة يساعد على سحب الطاقة السلبية من الجسم إلى الأرض. فالأرض تسحب الشحنات كما يحدث فى السلك الكهربائى الذى يمد فى المبانى لسحب شحنات الصواعق إلى الأرض.
(7) تخيّل ضوءاً أبيض يدخل إلى جسدك وينتشر فى جميع أرجائه ويشكل هالة حولك ستشعرك بطاقة إيجابية تغمرك.
(8)الذهاب إلى الشاطئ أو إلى مكان مفتوح بين الجبال والعمل على تصفية الذهن من أى أفكار سلبية والاستمتاع بجمال المكان سيشعرك بطاقة إيجابية تجتاح جميع أجزاء جسمك.
(9) تحرير الدماغ من الأفكار والمعتقدات التى لم تعد فى حاجة إليها.
(10) الاستمتاع يومياً وتشجيع النفس على حب الحياة.
(11) حاول التقليل من بذل الكثير من الجهود والاهتمام بأشياء تزعجك ولا

ترغب فيها.

(12) عمل حمام بالملح البحرى وفرك جميع أجزاء الجسد بالملح البحرى سيساعدك على مسح الجسد من بقايا الطاقة السلبية العالقة به.

(13) المشى على التراب بقدم حافية يساعد فى سحب الطاقة السلبية من الجسد.

(14) ممارسة الرياضة تساعد على تجديد طاقة الجسم وطرد الأفكار والطاقات السلبية وتساعد على زيادة التركيز والاسترخاء والنوم الجيد.

كيف تفرغ الطاقة السلبية من جسمك؟

التنفس الردئ يسبب الأمراض لأنه لا يعطى جسمك الأوكسجين اللازم والكثير من الناس غير واعين لتنفسهم ولا يعرفون أن هناك أكثر من طريقة للتنفس ولا يعرفون كيف يتنفسون بطريقة ترفع تركيز الأوكسجين فى أنسجة الدم إلى الحد الأقصى وتطرح ثانى أوكسيد الكربون بأقصى انفعالية، ولا يعرفون التنفس بطريقة تهدئ الجسم وتبطئ من سرعة نبض القلب وتخفض من ضغط الدم.

فالتنفس بطريقة سليمة ينظف أجهزة الجسم بطريقة فعالة بمقدار 15 مرة من الطريقة العادية وقد أكد ذلك دكتور وود الحاصل على جائزة نوبل فى علم وظائف الخلايا، والأوكسجين ضرورى لتكوين خلايا صحيحة سليمة وأن نوعية الحياة التى نعيشها يحددها نوعية خلايا الجسم وعلى ذلك فإمداد خلايا الجسم بأقصى كمية من الأوكسجين لابد أن يكون هدفك الأول لتعيش حياة صحية سليمة وتوليد كمية كبيرة من الطاقة.

وعند الحديث عن التنفس يجب ذكر نوعين من التنفس: تفريغ الطاقة السلبية

(1) التنفس التفريغى: وهو الطريقة من التنفس التى تنقى خلايا الدم من أية شوائب من الممكن أن تسبب انسدادها والوصول لهذه الطريقة من التنفس يمكنك عمل الآتى:

1 – استنشق من الأنف حتى العد إلى 4 واملأ الرئتين بالهواء.

2 – احتفظ بالهواء داخل الجسم حتى العد إلى 10.

3 – فرّغ الهواء ببطء من الفم حتى العد 5.

4 – كرر التمرين بحيث تزيد من مدة الاحتفاظ بالهواء داخل الجسم وتقوم بتفريغه دائماً فى نصف المدة فمثلاً لو احتفظت بالهواء داخل الجسم حتى العد إلى 12 فعليك القيام بتفريغ الهواء حتى العد 6 ولو وصلت إلى العد 6 يجب أن يكون التفريغ حتى العد 8 وباستمرار يجب عليك زيادة الوقت بالتدريج وببطء وتذكر دائماً أنه لا يوجد حدود بخلاف تلك التى تفرضها

أنت على نفسك.

2 – التنفس لتوليد الطاقة الإيجابية:

1 – استنشق من الأنف حتى العد 4 (واملأ الرئتين بالهواء).

2 – فرغ الهواء حتى العد 4 وكأنك تقوم بإطفاء شمعة.

3 – قم بهذا التمرين عشر مرات.

4 – يجب عليك ممارسة التمرينات الخاصة بالتنفس التفريغى والتنفس لتوليد الطاقة ثلاث مرات يومياً (فى الصباح – منتصف اليوم فى المساء) إلى أن يصبح جزءاً من حياتك اليومية ولاحظ ارتفاع درجة الطاقة لديك وقم بعملية التنفس بطريقة سليمة وتمتع بكمية هائلة من الطاقة.

أثبتت التجارب والأبحاث التى أجريت فى الهند وغيرها من دول العالم أهمية تمارين التنفس لتحسين المستوى العام للصحة وخاصة التنفسية للوضوح الفكرى والنشاط الجسدى والسعادة حيث أنها تؤدى إلى:

1 – انخفاض مستوى القلق والتوتر العصبى.

2 – تقوية الذاكرة ومستوى الإدراك.

3 – انخفاض مستوى الوهن العصبى.

4 – ازدياد فى نشاط الغدة الكظرية.

5 – تخفيض نسبة الكوليسترول فى الدم وتخفيض ضغط الدم.

6 – تحسن فى عملية الهضم ووظائف الكبد.

7 – تخفيض وتيرة دقات القلب وتعزيز الجهاز المناعى.

8 – تدعيم تدفق الدم الذى يمر بالشرايين وتخليص الجسم من السموم.

إن التنفس هو الأداء الأكثر أهمية وديناميكية للتحكم بوعينا ومن خلال التنفس تتجلى الطاقة الروحية فى العالم المادى ويمكن أيضاً النظر للطاقة الروحية على أنها قوة الحياة أو الطاقة المقدسة التى تمنحنا نعمة الحياة، وكلما استنشقنا مزيداً من الهواء كلما امتلأت أجسادنا بهذه الطاقة، وكلما زفرنا مزيداً من الهواء كلما فرغنا أجسادنا من الطاقة السلبية.

إن التنفس الصحيح هو التنفس البطنى وليس الصدر أو أعلى الصدر لاحظ تنفسك وضع يداً على البطن وأخرى على الصدر وتنفس تنفساً عادياً ولاحظ اليد التى ترتفع فتحدد موضع تنفسك.

راقب مدة الشهيق والزفير وراقب مدة الاحتفاظ بالنفس ومدة الاحتفاظ بالفراغ.

9 – يجب أن يكون تنفسنا من الحجاب الحاجز ومدة زفيره ضعف مدة الشهيق والغاية منه تحقيق التنفس العميق وهو ما يحرك الحجاب الحاجز إلى أقصى ما يمكن:

مراحل التنفس:

1 – الشهيق: الاحتفاظ بالهواء فيتم منح الطاقة الإيجابية.

2 – الزفير: الاحتفاظ بالفراغ فيتم تفريغ الطاقة السلبية.

3 – توقف التنفس.

أنواع التنفس:

1 – التنفس العميق: مارس الشهيق العميق والزفير عدة مرات وخاصة عندما تشعر بالغضب والتعب.

2 – التنفس الواعى: يجب أن ننتبه إلى عملية التنفس ونتخلص من التنفس الآلى. وتكمن المشكلة فى الانتباه للتنفس – حاول وثابر وستجد نفسك أنك تعى تنفسك وأنت تمشى وأنت تقرأ يجب أن يصبح التنفس جزءاً منك والنتيجة سهولة فى التنفس وسيطرة وصحة ممتازة.

3 – التنفس الموزون: إن الوحدة القياسية للإيقاع التنفسى هى الثانية علينا أن نتدرب على حبس النفس وعلى إطالة مدة الزفير أكثر من الشهيق.

٤ – إيقاع النفس:

- o شهيق ثانيتين.
- o احتفاظ 9 ثوان.
- o زفير 5 ثوان.
- o توقف 5 ثوان.

قم بهذا التمرين حوالى عشر مرات يومياً وركز على الزفير واجعله ضعف الشهيق أى لا تترك بقايا تنفس (ثانى أكسيد الكربون) فى الصدر. وهناك العديد من التمارين للتنفس.

حكايات وطرائف دبلوماسية من الماضى

سفير يسرى القويضى
ykouedi@yahoo.com

حكايات إذا لم تسجل ستضيع ... قد تبدو غير مهمة لكنها تحمل معلومة ربما تنطوى على عبرة، أو حكمة، أو حتى مجرد فكاهة.

خلال خدمتى فى طوكيو فى تسعينيات القرن العشرين، كنت من حين لآخر أزور شارع جنزا Ginza الشهير لأمتع بصرى بالسلع والخدمات المعروضة دون أن أجرؤ على التفكير فى شراء أى منها .... فالأسعار فى جنزا لايقدر عليها سوى فاحشى الثراء فقط، كنت أتبضع احتياجاتى من أماكن أخرى فى طوكيو.

تجد فى شارع جنزا كل أنواع السلع فائقة الجودة، المستوردة واليابانية على حد سواء... السلع المعمرة، الملابس، السلع الاستهلاكية، السلع الغذائية... إلخ. فمثلاً هناك محل فاكهى غير مألوف، يبيع كافة أصناف الفاكهة فى العالم بأنواعها المختلفة التى لا تخطر على بالك، وحتى فى غير مواسمها المعتادة، لأنه يستوردها طازجة يومياً من مصادر إنتاجها فى جميع أنحاء المعمورة... ولذا لك أن تتصور مدى غلو أسعارها... كما ستجد لديه آخر ما تنتجه المزارع من ابتكارات، فمثلاً وجدت لديه بطيخاً مكعباً (ليس مستدير الشكل) تستطيع وضعه فى صندوق كارتونى يسهل حمله.

ومن عجائب الشارع أيضاً صادفت محلاً عملاقاً من سبعة طوابق متخصص فقط فى بيع أحذية الرجال (الإنجليزية، الأمريكية، الإيطالية، السويسرية... إلخ) بكافة أنواعها، وبأذواق راقية فريدة بأسعار فلكية ... ومحلاً آخر يبيع آخر صيحات أربطة العنق (الكرافتات) يصل سعر الواحدة منها إلى ما لا يقل عن العشرة آلاف دولار... ومع ذلك تجد من يشتريها.

وبهذه المناسبة لا تفوتنى الإشارة إلى محل اللآلئ ذائع الصيت ميكيموتو (Mikimoto) الذى مررت بجواره فى إحدى المرات، فأصرت زوجتى على مشاهدة المعروضات بداخله، ولما ولجنا من الباب استقبلتنا فتاة يابانية رقيقة حدثتنا بالإنجليزية تسألنا عما نرغب فى شرائه وعن جنسيتنا ... ولما علمت أننا من الشرق الأوسط، استدعت زميلاً لها يابانياً، وقوراً، كبير السن، بشوش الوجه، أنيق الملبس، حضر يحدثنا بلغة عربية فصيحة، موضحاً أنه المختص باستقبال كبار العملاء من منطقة الخليج والبلدان العربية، ويسعده أن يلبى رغباتنا!

أسقط الأمر فى يدنا... أوضحنا له أننا حضرنا للمشاهدة فقط وليس بنية الشراء، وهممت بالانصراف، فاستوقفنى وقال «سيدى أنا هنا لأخدمكما ولستما مجبرين على الشراء ... سيدى العزيز إنها فرصة ثمينة سانحة لى كى أتحدث باللغة العربية معكم، وتلك فائدة كبيرة لى وسعادة بالغة أحظى بها».

استفاض محدثنا الشيخ اليابانى اللبق فى شرح أصناف اللؤلؤ المزروع بأحجامه المختلفة، وأنواعه المتعددة الألوان، كان شرحه بمثابة درس تفصيلى مسهب، أضاف لمعلوماتنا الكثير عن عالم اللؤلؤ، دون أن يلزمنا بشراء أى من المعروضات التى أبهرتنا بجمالها وغلو أسعارها... وفى نهاية زيارتنا أعرب عن سعادته البالغة وسروره بالتحدث معنا باللغة العربية التى يعشقها.

إن شارع جنزا بطوكيو هو عالم قائم بذاته، يُعد من بين أغلى وأغرب أماكن التسوق فى العالم، تجد فيه كل شئ يخطر ببالك، وما لا يخطر أيضاً.

إذا ذهبت إلى طوكيو فى يوم من الأيام، لا يفوتك يا عزيزى المرور بشارع جنزا للمشاهدة فقط.

شارع جنزا

الحاج محمود العربى والتجربة اليابانية

لا شـــك أن رحيل الحاج محمود العربى عن عالمنا شـــكل مصدر حزن لكل من عرفه شـــخصياً وعن قرب فى حياته، وهم كثر، وأتشرف بأننى واحد منهم، ولعدد أكبر بكثير من البشر ممن انتفع، بشـــكل مباشر أو غير مباشر، من الخدمات التى وفرها الراحل الكريم، ليس فقط للعاملين فى مؤسساته ومصانعه وشركاته وأسرهم، ولكن للكثيرين غيرهم من أهل مصر.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر
walidabdelnasser@yahoo.com

. ويعتبر الدليل الأكبر على ذلك هو هذا الكم الضخم من التعبير عن الرثاء والإعراب عن العزاء فى وفاته من فئات كثيرة مختلفة وشديدة التنوع من أبناء المجتمع المصرى، ممن عرفوه وممن لم يعرفوه شخصياً ولكنهم عرفوا أعماله وإنجازاته الاقتصادية والاجتماعية.

وهناك جوانب كثـــيرة ثرية من حياة الحاج محمـــود العربى رحمه الله ومســـيرة نشـــاطه الاقتصادى الكبير وأعماله الاجتماعية والتعليمية وفى مجـــال الرعايـــة الصحيـــة، وهى كثـــيرة لصالـــح الكثيرين من المواطنين العاديـــين وأسرهم وغيرها مما يســـتحق الحديث عنـــه وتناوله والتعريـــف بـــه للقـــارىء المصرى والعربى، بل والعالمـــى، وقد علمت بالكثير منها عـــن قرب نظراً لتشرفى بمعرفة الراحـــل الكريم وأسرته منذ حوالى عقـــد ونصف من الزمان، وقد تناول بعضهـــا العديدون ممن قاموا بالكتابة عنه، ســـواء خـــلال حياته أو بعد وفاته، ولكننى ســـأركز هنا على جانب واحد فقـــط وهو المتصل بالعلاقـــة التى ربطت الراحل الكريم باليابـــان منـــذ مرحلـــة مبكرة من حياته العملية واستمرار وتوثق هذه العلاقـــة والتعاون وانتقاله بشـــكل مستمر إلى آفاق نوعية أرفع وأرحب على مدار حوالى خمســـة عقود كاملة حتى انتقاله إلى رحمة الله تعالى منذ أيام. وقد اخترت هـــذا الجانب لأننى أزعم أنه أتيحـــت لى الفرصة لمعرفة الكثير عنه بشـــكل مباشر وبكثير من التفاصيل منذ مـــا قبل فترة عملى فى اليابان ثم خلال تلـــك الفترة وفيما بعدها.

وبدايات ارتبـــاط الحاج محمود العربى رحمه الله باليابان نشأت من خلال علاقة العمـــل بينه وبين العديد من المؤسســـات الاقتصادية اليابانية الكبرى، وهى قصة لها تفاصيل رواها رحمه الله بنفســـه فى الفيلم الوثائقى الـــذى خرج قبل وفاته بســـنوات عن مسيرة حياته ومسار كفاحه على ساحة العمل الاقتصادى المصرى، كما سمعت بالكثـــير من تفاصيلها من شـــخصه الكريم ومـــن الكثير مـــن المصريين واليابانيـــين الذيـــن كان لهم دور أو صلة فى مرحلة أو أخرى بهذه العلاقة الوثيقة، وهى بدأت مرتبطة بعدد من الاعتبارات العامة والخاصة.

وكان من الاعتبارات العامة تحول الاقتصاد المصرى بدءًا من عام 1974 إلى ما عرف وقتذاك رسمياً بـ«سياسة الانفتاح الاقتصـــادى ، وما ترتب على ذلك من فتح أبواب واســـعة للحركة وللنمو أمام القطاع الخاص المصرى. كذلك كان ضمن الاعتبـــارات العامة تزايد اهتمام اليابان، ســـواء حكومياً أو من خلال مؤسســـاتها الاقتصادية العملاقة الخاصة، بالتوسع فى التواجد الاقتصادى فى منطقة الشرق الأوسط فى أعقاب حرب أكتوبر 1973 وما ارتبط بها من إظهار الأهمية الإســـتراتيجية للنفـــط القادم من البلـــدان العربية، خاصة بالنســـبة لدولة صناعية كبرى تعتمـــد فى إمداداتهـــا النفطيـــة على الاستيراد من الخارج مثل اليابان. أما فى مقدمة الاعتبـــارات الخاصة فكان بدء صعود نجم الحاج محمود العربى فى عالـــم الأعمال، خاصـــة فى المجال التجارى فى ذلك الوقت، وسعيه للتوسع فى أعماله، بمـــا فى ذلك عبر العمل على استكشـــاف آفاق محتملة للتعاون مع بلدان خارجية ضمـــن العالم المتقدم اقتصادياً للحصول على عقود وكالة من مؤسسات اقتصادية كبرى وغيرها من أشكال التعاون الاقتصادى والتجارى.

ولكن بعد مـــرور أكثر من أربعة عقود على ظهـــور ثم نمو وتطور ذلك التعاون الذى انفتحت آفاقه تدريجياً منـــذ منتصف عقد الســـبعينيات من القرن العشرين، ثم اتسعت وتعاظمت بشـــكل متزايد ومتضاعف فى العقود اللاحقة، كان الحصاد هو تكريم الحاج محمـــود العربى رحمـــه الله من قبل إمبراطور اليابان فى ذلك الوقت الراحل «إكيهيتو»، والذى منحه أرفع وســـام ياباني وهو وسام «الشمس المشرقة»، وكان لى شخصياً شرف التواجد خلال

الحاج محمود العربي

مراسم منح هذا الوســـام لهذا الرجل المصرى العصامى المكافح، الذى يجب أن يمثل نموذجاً لرجل الأعمال بالمعنى الحقيقى وطبقاً للتعريف الدقيق لذلك التعبير، والمطلوب تواجد أمثاله بكثرة على الساحتين المصرية والعربية.

ومـــا بين التاريخـــين المذكورين، نجـــح الحاج محمـــود العربى رحمه الله فى التحـــول فى علاقاته مع كبريات المؤسســـات الاقتصادية اليابانية من مراحل علاقـــة الوكالة والاســـتيراد وإعادة البيع وغيرها من أشكال العلاقة التجارية، مروراً بمرحلة التجميع، إلى مرحلة الشراكة الإنتاجية الكاملة، أى إلى التصنيع وإيجاد قيمة مضافة تنتج على أرض مصر وبأيـــاد مصرية من مهندسين وعمال، مع حرصه على تنمية مهارات هؤلاء عـــبر التدريب والتأهيل المســـتمرين، وتحقيق أربـــاح وعوائد كان يعـــود جزء مهم منهـــا إلى آلاف الأسر المصريـــة، بالإضافة إلى تحقيق استفادة المســـتهلك المصرى من جودة عالية للمنتج النهائى، تضاهى الجودة فى أكثر البلدان الصناعية المتقدمة وبما صارت معه مضرباً للأمثال. وكان لهذا الدور التصنيعى إسهامه المهم والجاد فى تطوير الاقتصـــاد الوطنى المصرى ككل وفتح مجـــالات جديدة للتوظيف والعمل ومكافحة البطالة.

كذلك تقدمت نوعيـــة المنتج ذاته على مدار الســـنين، فى ملاحقة للتقدم العالمى فى هذا المجال، بدايةً من أجهزة تليفزيون وغيرها من منتجات كهربائية أساسية فى سبعينيات القرن العشرين ومروراً بأحدث أنواع أجهزة الكمبيوتر وغيرها ووصـــولاً إلى أدق وأحدث ما ينتجه العالم فى مجالات الإلكترونيات المتنوعة. وتنوعـــت بالتوازى مع ذلك شراكات الراحل الكريم ومؤسســـته الاقتصادية فبدأت بمؤسسة «توشيبا» الكبرى ولكنها امتدت لتشـــمل العديد من المؤسســـات اليابانيـــة العملاقة الأخرى مثل «شارب» وغيرها.

إلا أن الأهـــم، مـــن وجهة نظرى، كمن فى أن الحاج محمود العربى نجح فى استيعاب التجربة اليابانية فى الإدارة ونجح فى نقلهـــا وتطبيقها على أرض الواقع فى مصر فى ســـياق مؤسســـته الاقتصادية، مستفيداً من دروس تلك التجربـــة من جهة ومطبقـــاً لأفضل الممارســـات فيها من جهة أخرى، وفى نفس الوقت ساعياً بنجاح فى تكييفها مع خصوصية ظـــروف واحتياجات الواقع المصرى بحيث تكون متأقلمة مع معطيات المجتمع والثقافة والاقتصاد فى مصر.

فبالإضافة إلى ما سبق ذكره بشأن الحرص على التدريب المستمر للعاملين، كان هنـــاك بنـــاء روح جماعية لدى كافة العاملين وزرع الانتماء المشـــترك للمؤسسة داخل نفوســـهم، ممزوجاً بالتقدير والإجلال لقيمة العمل ودوره، ولم يـــأت نمو هذا الانتمـــاء وتجذره مصادفة أو عبر إطلاق شعارات خالية من أى مضمون، بـــل جاء من خلال تبنى منظومة متكاملة من السياسات المدروسة فى الإدارة تولدت عنها خطط وإســـتراتيجيات عمل جـــادة جعلت ســـعادة ورخاء المهنـــدس والموظف والعامل هى أهداف أساسية للمؤسسة الاقتصادية من خلال إجراءات عملية تم تنفيذها ومتابعتها بشكل مستمر، ما بين بنـــاء مستشـــفى للعاملين فى المؤسسة وتوفير رعاية صحية متميزة بها لهم ولعائلاتهـــم، وبناء مدارس لخدمة أبناء وبنـــات العاملين، وبناء دور العبادة فى ضوء أهمية دور الدين للمواطن المصرى، والاهتمام بالرعاية الاجتماعية للعاملين من خلال مرتباتهم الملائمة لتوفير مستوى معيشة إنسانى محترم لهم ولعائلاتهم خلال سنوات عملهم ثم توفير معاشاتهم وتأميناتهم الاجتماعية المناســـبة التى تكفل لهم ولأسرهم بعد التقاعد الحياة الكريمة.

إلا أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل اســـتفادت تجربة الحاج محمود العربى أيضـــاً من التجربة اليابانية فى مجال تعزيز مفهوم الانتماء للمؤسسة من خلال منح الأولوية لتوظيف أبناء وبنات العاملـــين، حتى بعد تقاعدهم، والســـعى لتوفير التأهيـــل والتدريب المناســـبين لهم، بل والذهاب أبعد من ذلك فى الاستفادة من الخبرات المتراكمة لدى العاملين أنفسهم بعد بلوغهم سن التقاعـــد من خـــلال تعيينهم كخبراء أو مستشـــارين للمؤسسة للاستعانة بآرائهم ونصائحهم لصالح العمل.

رحم الله الحـــاج محمود العربى بقـــدر عطائـــه المديد لبلـــده مصر وللكثيرين من أبنائهـــا الذين مثلوا له دوماً أهله وأحبابه.

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

الزميلات العزيزات

تقرر أن تعقد الجمعية العمومية غير العادية - لتوفيق الأوضاع لرابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين، يوم الثلاثاء الموافق 23 نوفمبر 2021 وفقاً لقانون العمل الأهلى الجديد رقم 149 لسنة 2019 ولائحته التنفيذية.

وتستمر لقاءاتنا عبر تطبيق زووم أسبوعياً، ودائماً بمساعدة هبة هانم مميش حرم السفير عمرو رمضان، وكان لنا لقاء مع نهال هانم متى حرم السفير هانى سليم لتحدثنا عن «الصين».

نادية الريس

عند صدور الحركة الدبلوماسية فى ربيع 2006 متضمنة نقل زوجى نائباً لرئيس البعثة فى بكين فقد تحمس بشدة لثقته فى قيمة هذه الدولة الصاعدة إلى قمة العالم وأهميتها الدولية الكبيرة، وإن لم أكن أنا بنفس الحماس تحسباً لبعد المسافة واختلاف الثقافة، من ثم فقد بدأت بحثى قبيل السفر للتعرف على هذا التنين العظيم ولاستقاء بعض المعلومات حتى تتضح لى الصورة على نحو أفضل «وهو ما أنصح به كل زوجة قبيل تنفيذ النقل».

كان توقيت نقلنا للصين وإقامتنا فيها 2006 - 2010 توقيتاً ذهبياً بامتياز شهد عقد دورة بكين الأولمبية بكين 2008، والاحتفال فى 2009 بالذكرى الستين للثورة الصينية، فكانت البلاد فى عرس دائم استعداداً للحدثين الكبيرين اللذين تشرفت بحضورهما مع زوجى.

وأود أن أشارككم أولاً ببعض المعلومات العامة السريعة عن الصين: فهى جمهورية الصين الشعبية التى تقع فى أقصى شرق آسيا وتتكون من 22 مقاطعة و5 مناطق حكم ذاتى أهمها هونج كونج ومكاو والشينجيانج. عاصمتها بكين.. وأهم مدنها شنغهاى، تيانجين، شنجزو، جوانجزو، سيشوان، هاينان.. إلخ. لغتها الرسمية الماندارين وتتألف من 30.000 مقطع منها 3000 مقطع مستخدم. عملتها اليوان، وتعدادها 1.403 مليار نسمة. مساحتها 9.6 مليون كم2. نظام الحكم: جمهورية شعبية يقودها نظام الحزب الواحد وهو الحزب الشيوعى، الذى تحول دوره الرئيسى من القيادة العقائدية لنظام اشتراكى إلى القيام بدور المنظم Entrepreneur فى نظام أطلقوا عليه «اقتصاد السوق الاجتماعى» وإن كان فى جوهره أقرب إلى النظم الرأسمالية الغربية التى لا يميزه عنها سوى انفراد الحزب بالحكم.

ومن أهم أعياد الصين واحتفالاتها الرسمية ذات المدلول الثقافى والحضارى الكبير رأس السنة القمرية (أواخر يناير ـ أوائل فبراير)، وهو احتفال ضخم يمتد أسبوعين توهب فيه النقود كهدية ويتناولون فيه أطباق «الدمبلينج» الشهيرة. العيد الوطنى يوافق أول أكتوبر، وعيد الحصاد يحل سنوياً من 3 ـ 4 أكتوبر ويتبادل فيه الشعب فطائر القمر أو المون كيك الشهير.

وتقدر حضارة الصين العريقة بزهاء 5000 سنة، وتعاقب على حكمها 6 سلالات حتى قيام الثورة الشعبية الأولى فى 1911 وإلغاء الإمبراطورية، ثم تأسست الصين الشعبية بعد انتصار الثورة الاشتراكية عام 1949، أما الإصلاح الاقتصادى وبداية الصعود فقد بدأ بالزعيم دنج زياو بنج 1978 فأصبحت الصين أسرع وأكثر اقتصاديات العالم نمواً وتحتل حالياً (بيانات 2020) المرتبة الثانية كأكبر اقتصاد عالمى «ناتجها المحلى الإجمالى زهاء 15 تريليون دولار بعد الولايات المتحدة فى المركز الأول بـ21 تريليون دولار»، ويشهد اقتصادها نمواً مضطرداً رغم الأزمات المالية والنقدية التى عصفت بالاقتصادات العالمية ورغم التداعيات الاقتصادية لجائحة الكورونا، بما فى ذلك النمو المضطرد فى مستوى المعيشة والحراك الاجتماعى وخاصة للمرأة التى يمثل مجلسها القومى هناك أحد أهم مؤسسات المجتمع المدنى والدولة معاً وتأسس مع نشأة الدولة عام 1949.

والصين عضو دائم ونشط فى مجلس الأمن ومنظمة التجارة العالمية ومجموعة العشرين والبريكس والآبيك.. إلخ، وأنشأت مبادرة عالمية جديدة تقودها وتسهم فى ترسيخ ثقلها العالمى وهى مبادرة الحزام والطريق التى تربط الصين بوسط وجنوب وشمال آسيا وأوروبا وإفريقيا بشبكة طرق وسكك حديدية وممرات مائية مجهزة بالموانى المتقدمة. وتمتلك الصين ترسانة

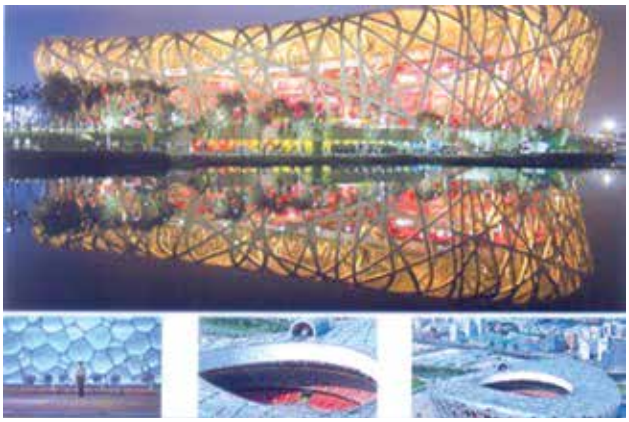

هبه مميش
حرم السفير عمرو رمضان

نووية معـــترف بها وجيشـــها هو الأكبر فى العالم من حيث تعـــداد نظامييه، وهو الثانى عالميـــاً فى ميزانية الدفاع كما حققت الصين طفرة فى تكنولوجيا التســـلح تكاد ترتفع بقدرات جيوشها إلى أعلى المستويات العالمية والمدعومة بقـــدرات بحرية وجوية متطورة وواســـعة الانتشـــار، بما فى ذلك القواعد العسكرية أو شبه العسكرية للصين فى الموانئ الإســـتراتيجية المطلة على المحيط الهـــادئ والهندى والبحـــر الأحمر «طرق التجارة الرئيســـة للصين التـــى تعد أكبر مصدر ومستورد عالمى»، وقد كان لكل هذه المقومات وقع خاص لدينا فى ضوء العلاقات الوثيقة بين البلدين والتعاون البناء فى كافة المجالات، ما أتاح لمصر الاســـتفادة الكبيرة من قدرات الصين فى دعم التنمية الشـــاملة المصرية من خلال شراكة إســـتراتيجية تعد من أهم الشراكات وأشدها محورية من بين الشراكات العالمية التى أقامها كل منهما فى تاريخه الحديث والمعاصر.

وتعتبر الصين مقصداً ســـياحياً متميزاً يزوره زهاء 50 - 60 مليون سائح سنوياً وأهم مزاراتها الســـياحية ســـور الصين العظيـــم، المدينة المحرمة، معبد الســـماء،

نهال متى
حرم السفير هانى سليم

متحف محاربين تراكوتـــا، الباندا والبوذا العملاق.. إلخ، غير مراكز التسوق المتطورة والضخمة والمـــدن بالغة التطور من الجيل الرابع والخامس، وبها شبكة طرق على أعلى مستوى. وتشـــتهر الصين بالطب الشعبى والإبـــر الصينية ومراكز زراعـــة الكبد فى تيانجين، وصناعات الحرير والمنســـوجات والأثـــاث ومـــزارع اللؤلـــؤ والحلى ولعب الأطفال، إضافة بالطبع إلى الصناعات عالية التقنية فى الإلكترونيات والاتصالات وأشباه الموصـــلات وتكنولوجيا الفضـــاء والأقمار الصناعية والطاقة النووية.. إلخ.

المطبخ الصينى ذو شهرة عالمية والطرق التقليدية الصينية للطبخ صحية وتقى من الأمراض، إضافة إلى الشاى الأخضر وأنواعه العديدة والمفيد للصحة بوجه عام فى متناول يد الجميع، ومن أهم تعليمات تناوله ألا يزيد استهلاكه اليومى عن 4 جرام. كذلك تشتهر الصين بالأوبرا التقليديـــة وفن الأكروبات الشهير ورياضة التايشـــيه الروحية وهى فلسفة الدفاع عن النفس ويمكن ممارستها من جميع الأعمار.

كانـــت تجربة الصين فريـــدة ومميزة بالنســـبة لى حيث علمت فور وصولى أننى مكلفة من قبل رئيس البعثة بالقيام بتمثيل مصر فى كل ما يختص بحرم الســـفير نظراً لعمل ســـيادتها فى رئاســـة بعثة أخرى، وهو ما دعانـــى أولاً للشروع فى تعلم اللغة الصينية، وكان هذا التشريف بمثابة إعداد لى للقيام بذات الدور كقرينة لزوجى لاحقاً كرئيس بعثة، حيث اكتســـبت خبرة واسعة فى مجـــال ترتيـــب وإدارة أجنحة مصر فى البازارات والمعارض الخيرية وهى متعددة فى دول آسيا وخاصة الكبرى كالصين، فكان لزامـــاً وعهدا أخذته عـــلى نفسى أن أضمن لمصر مكاناً مميزاً دائماً فى قلب هذه الأنشطة برغم ضعـــف الإمكانيـــات كزوجة لنائب رئيس بعثة، ولكن بفضل الله وبتشـــجيع وثقة كاملة من السيدين السفيرين القديرين اللذين تشرفنا بالعمـــل معهما خلال فترة عملنا فى الصين، بالإضافة إلى معاونة ودعم أعضاء البعثة وســـيدات السفارة والمكاتب الفنيـــة وخاصة مكتب الدفـــاع والمكتبين الســـياحى والإعلامى فقد كونا فريق عمل مشرف لمـــصر فى كل ما شـــاركنا فيه من أنشـــطة وكنا بمثابة أسرة واحدة يربطنا الود حتى الآن. ويضاف لما تقدم ما سعدت به وزميلاتى ســـيدات البعثة ومكاتبها من مصاحبة عشرات الوفود الرسمية والخاصة التى كانت تزور بكين فى مهام عديدة نتيجة العلاقـــات الوثيقة بين البلديـــن، وهو ما أكسبنا المزيد من الخبرة والمعرفة من واقع التفاعل مع هذه الشخصيات البارزة.

عرفت شـــعب الصين لا يهدأ ولا ينام يعمل بلا كلـــل وملتـــزم ومتفان لأقصى درجة ومنضبط فى أدائه وفى مواعيده، وقد تعلمت منهـــم أهمية الوصول لمكان الحدث قبل بدايته بـ15 دقيقة على الأقل ليتســـنى للنشـــاط البدء فى موعده المقرر، وليتسنى أيضاً حل أية مشـــكلة طارئـــة أو مفاجئة فى وقت مناســـب دون أى تعطيل للحدث. ويطول الحديث حول الصين ولكن ما وددت استخلاصه هو أنها كانت تمثل تجربة غير عادية بكل المقاييـــس أثرت ومازالت تثرى تجربتى كزوجة دبلوماسى حتى يومنا هذا.

«المعرفة، الأيديولوجية والحضارة: محاولة لفهم التاريخ»

الجزء الأول

يتناول هذا المقال كتاب «المعرفة، الأيديولوجية والحضـــارة: محاولة لفهم التاريخ» تأليف الأكاديمى الفلســـطينى د. على الجرباوى، بقراءة نقدية مفصلة. صدر هذا الكتاب فى العام الحالى عن دار الدراسات العربية حيث يقع فى 376 صفحة من القطع المتوسط ويحتوى على خمسة فصول يختمها المؤلف بنظرة مستقبلية ترى بأن «الصين هى الوحيدة التى تستطيع منافسة الحضارة الغربية» فى الوضع الحالى لكن ليس من الدقة القول بأن الحضارة الصينية هى الحضارة التى ستلى الحضارة الغربية فى هيمنتها.

ميسا جيوسي

حرم سكرتير أول جمـــال عطـــا

فهى من المرجح أن تساوى أو تتجاوز الولايات المتحدة الأمريكية ثقلاً فى مجال النظام الـــدولى والعلاقات الدولية، لكن فى ما يتعلق بتربعها على عرش «الريادة الحضارية» العالمية سيســـتغرق وقتاً طويلاً لعدم توفر عوامل انتشارها كما الحضـــارة الغربية لعل أهمها هو عامل اللغة.

تنبع أهمية هذا الكتاب من منشـــأ اهتمام الكاتب بإجابة تساؤلات لا تشغله وحده بل تشغل الكثيرين فى وطننا العربى وحول العالم فى آلية فهم التاريخ، ومتى بدأ، وأساس فهم التاريخ بربط المعرفة والأيديولوجيا وما نشأ عنهما من تجليات ثقافية وحضارية بشـــقيها المتموضعة والعالمية. بالإضافة إلى الجزئية المتعلقة بمحاولة فهم الكاتب للخلل الذى حصل ولازال مستمراً والمتصل بـ«ضعف الأداء العربى وتراجع مكانة العرب بين الأمم». ويحاول الجرباوى فى كتابه العمل على ربط مســـار التاريخ بـ«تعاقب صعود وهبوط الحضارات». ويرى بأن الإنسان الذى تعود دلائل وجوده المادية المتاحة لأكثر من 70 ألف عام هو «أكثر الأحياء ذكاء»، واســـتطاع باختراعاته المتعددة وابتكاراته المتتاليـــة أن يحفظ وجوده واستمرار نوعه بالرغم من ضعف بنيته الجسدية مقارنة بكائنات أخرى.

ويؤكد الكاتب أن للإنسان محورين يشكلان أصل واســـتمرارية حياته، ألا وهما علاقته بالبيئـــة المحيطة وعلاقته بأقرانه مـــن البشر. وفى الثانى ينشـــأ الكثـــير من الجدل لأن نظرة الإنســـان بحاجة لمن يعينه على استمراره وبقائه. وهذه العلاقة ليســـت ســـهلة باعتبار نظرة التفضيـــل التى يتبناها المرء نحو نفســـه. ويرى الجرباوى أن الإنســـان وعـــبر العصور نجـــح فى تكوين تراكم معرفى فيمـــا يتعلق بعلاقتـــه بالبيئة وعلاقته بالبـــشر. وما يعتقد البشر بأنه اختراع خـــارق فى وقتنا الحالى أياً كانت قدرته أو اســـتخداماته، ما هو إلا تراكم من اختراعات بدأت منذ عرف الإنســـان الأول النار واســـتخداماتها على سبيل المثال. حيث طوع كل مقدرات البيئة عبر الأزمنة لخدمته وفى ذات التطور عمل على تكوين مجتمعات «بها نســـق اجتماعية اقتصادية سياســـية» ولم يتوقف هنا بل «قـــاده التنافس إلى دخول صراعات وإشعال حروب دامية ومريرة» على حد تعبيره. وهذه التفاعلات التراكمية ما بين هذه المكونات أظهـــرت ثقافات متنوعة وأيديولوجيات ســـارت تجلياتها بتراكم معارفها عبر الأزمنة باتجاهين:

أولهما: أدى إلى نشأة النظام الدولى الذى يعود إلى القرن الســـابع عشر بعد تفكك الإمبراطوريات الأوروبية ونشـــوء الدول القومية فيها، وبـــدأ هذا النظام بتعدديـــة قطبية تلتهـــا ثنائية قطبية وانتهى بها الحـــال إلى أحادية القطبية فى وقتنا الحاضر. وأســـاس عمل النظام الدولى هو «محاولة ضبط إيقاع الشئون الدوليـــة حول مفهوم القـــوة بأبعادها المختلفة وكيفية اســـتخدامها فى تنظيم عمل العلاقات الدولية بشكل عام وضبط الـــصراع وتعزيز التعـــاون بين الدول تحديداً.

ثانيهما: البنيان الفكرى الأيديولوجى ومنظومة القيم الأخلاقية. وهنا يتطرق الباحث لنقطة شديدة الأهمية وموضع لنقاش بحثـــى مهم وهـــى أن بعض الثقافـــات قد «افتقـــر إلى رؤية عالمية فبقى محلياً محصوراً داخل نطاق بيئته مؤثراً فى مجتمعه فقط» بينما نوع آخر من الثقافـــات التى يصفها بذات الرؤية «تدفع بها للتوســـع والانتشار» والعمل على التأثير فى حضارات أخرى.

وينتقل المؤلف لرسم خط واضح لا لبس فيه ما بين الدول وحضاراتها وهو يرى بأن القوة المتصلة باستمرار صعود أو هبوط الدول هـــى «تفاعلات سريعة نســـبياً» وإنما الحضارات فإن تأثيرها يصل لقرون عدة. وبالتالى فإن منظور «صعود وهبـــوط الدول هو عامل القوة بينما تتبع تفاعل الحضارات مع بعضها البعض هو لب دراسة التاريخ البشرى».

بتر التاريخ:

يناقـــش المؤلـــف فكـــرة غاية فى الأهمية وهـــى فكرة «المركزية الأوروبية والمحورية الغربية» والتى أفرزت النظرة الاســـتعلائية المرتبطـــة «بالترويج لأن تاريـــخ تطور البشرية ابتـــدأ مع بعث أوروبا لنفسها» أى من عصر النهضة فى القرن الخامس عشر. كما يرى أن هذه الحضارة طرحت نفسها كبداية البدايات فاصلة نفسها بشكل مطلق عن التراكم المعـــرفى للحضارات الســـابقة وكأنها على حد تعبيره «نشـــأت من ذاتها». وفى محاولة تفنيد هذه النظرة غير الواقعية يناقش الكاتب أفكار فرانسيس فوكوياما فيما يتعلق بنهاية التاريخ مروراً بصدام الحضارات لصامويل هنتنجتون وانتهاء

بمدرسة «التحديث الأمريكية».

ويستهل الكاتب هذا الفصل بعرض بانورامى مفصل لأهم ملامح القرن العشرين وما شهد من تفاعلات وصدامات نتج عن مجمل تفاعلاتها على صعيد السياسة والاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا والمواجهات العسكرية الدامية ما بين القوى العظمى ما نحياه اليوم من نظام دولى أحادى القطبية. هذا الأخير تبع حقبتين مهمتين عاشهما العالم فيهما تعددية قطبية انتقالاً لثنائى القطبية قبل أن يستقر على نسقه الحالى. وفى مرحلة ثنائية القطبية يوضح المؤلف أن التنازع ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى حينذاك كان من أهم ركائزه الاختلاف فى الأيديولوجيا ما بين القطبين؛ وكان تشويه أيديولوجية الآخر أهم ما يعمل عليه الطرفان، مع الترويج لفرضية أن ما يتبناه من فكر ونسق حياة هو الاختيار الأفضل للبشرية. ويسهب المؤلف فى تفصيل أيديولوجية كل منهما وما ترتب على ذلك من خطاب سياسى وتنازع فكرى وصل أوجه بانهيار جدار برلين فى العام 1989 والذى تلاه تفكك الكتلة الشرقية بتسارع لم يتجاوز العامين على حد تقدير الباحث الذى يرى بأنه وتبعاً لهذا الانهيار المفاجئ «وجدت الولايات المتحدة نفسها تقبع لوحدها على رأس النظام الدولى ليس استحقاقاً لمنتصر وإنما لمجرد البقاء بعد وقوع الإزاحة». وفى محاولة تصويب أوضاعها كقوة عظمى ووحيدة يرى الجرباوى بأن أمريكا شعرت بحاجة لتأمين هذا الميراث «وأصبحت هناك ضرورة لصبغ ما حصل على أنه انتصار قطعى ونهائى غير قابل للارتداد» وبما حصل من انهيار للكتلة الشرقية فإن أمريكا حققت «حالة الكمال» على حد تعبير الباحث وبدأ منطق الترويج لخطاب «نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات».

وهنا يدخل الكاتب فى محاولة لفهم ونقاش لفكر فوكوياما صاحب مقال «نهاية التاريخ» الذى حوله بعد ثلاثة أعوام من نشره إلى كتاب بذات العنوان مضيفاً إليه «نهاية التاريخ والإنسان الأخير». وهنا يرى المؤلف بأن فوكوياما قدم فكرة «افتراضية مختزلة تفتقر للعلمية الرصينة فى كتابه ولكن رواج الفكرة فى الأوساط اليمينية الغربية وفى العالم بشكل عام يأتى فى خضم «الحاجة

إلى من يقدم أطروحة فكرية جديدة لملء الفراغ» على حد اعتقاده. وفى هذا السياق أسهب الجرباوى بالتقديم لفكرة فوكوياما بالترويج لأن الديمقراطية الليبرالية هى «الشكل النهائى لأى حكم إنسانى» وقدم لكل حيثيات طرح فوكوياما من النماذج السابقة سواء الاشتراكية أو النظام الإسلامى وغيرها وحاول أن يروج لأن نظام الديمقراطية الليبرالية والرأسمالية الاقتصادية يحقق رغبة الإنسان ويعد أفضل نظام حكم ومنظومة حياة للبشر حسب فوكوياما. وهنا يقول الجرباوى بأن فوكوياما عمل على «توليف خلطة تجميعية منتقاة من أفكار هيجل وأفلاطون» لدعم طرحه بأن الديمقراطية الليبرالية تمثل «الشكل النهائى للحكم الإنسانى بتثبيت الدولة التى تحافظ بالقانون على حرية المواطنين وتسعى بشكل متواصل لتحصيل مقبوليتهم كأساس لديمقراطية الحكم وتسبغ عليهم نعمة رخاء اقتصاد السوق وتفتح أمامهم أبواب الإنتاج وتطلق لهم طاقات الإبداع والابتكار. هذه الدولة الناتجة عن انتصار الإنسان العقلانى هى القائمة على الفكر الديمقراطى الليبرالى وهى التى تحظى بالشرعية الكاملة التى توصل التاريخ إلى نهايته وتنتج الإنسان الأخير» على حد تعبير الجرباوى الذى يرى بأن فوكوياما قد «أغلق على التاريخ نهايته» وبذلك قد حرم فوكوياما أى مجتمع لا يتبنى الفكر الغربى من إمكانية التطور بأى شكل من الأشكال واصفاً إياها بمجتمعات ما بعد التاريخ.

صدام الحضارات:

ينتقل الجرباوى من نقاش فكر فوكوياما لفكرة صامويل هنتنجتون فى مقاله «صدام الحضارات» الذى حاول من خلاله فهم نسق العلاقات الدولية فى ما بعد الحرب الباردة. ويعرض الباحث لفكرة هنتنجتون بأن الأصل فيها هو أن «التنافس وليس التعاون هو الصبغة الأساسية للعلاقات بين الناس وبأن الكره طبع إنسانى أصيل ومتأصل عند البشر» وبناء على هذه النظرة المستندة للكره فإن «الصراع هو الدينامية الحتمية لتلك العلاقة وبالتالى هو مستمر ولايمكن أن ينتهى». بمعنى آخر أن زوال الكتلة الشرقية كقطب ثان لا يعنى انتهاء صراع الرأسمالية الليبرالية مع غيرها من الأيديولوجيات. ويرى هنتنجتون بأن القادم من الصراعات فى فترة ما بعد نهاية الحرب الباردة هو أهمها لأنها تستند إلى الاختلافات الثقافية المرتكزة على روابط قوية وإرث إنسانى متشكل من انتماء المرء بروابط الدم والنسب واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد وفوق كل هذا وأهم منها جميعاً بالدين». فمن لا يشترك معنا بتلك هو غريب عنا وهم مرشحون بقوة لأن يكونوا أعداء لنا، وهنا يقتبس الجرباوى هنتنجتون فى وصفه للصراعات القادمة بأنها «ستكون بين شعوب تنتمى إلى كيانات ثقافية مختلفة». وهذه الكيانات هى الحضارات التى ستصطف فى معسكرات مختلفة ثقافياً ودينياً وفكرياً فى عالم متعدد القطبية الثقافية وسيكون شكل المواجهة بينها «صراع قبلى على نطاق كونى» يتسم بشدة الخطورة على ما يرى هنتنجتون. ويقترح فى هذا السياق أن تركز الحضارة الغربية على صيانة والمحافظة على ما وصلت إليه من ريادة قد لا يكون من حظها التفرد بها إلى الما لا نهاية وأن بزوغ حضارات جديدة سيكون من شأنه ترجيح صعود صراع ما بينها بشكل يهدد السلام العالمى. وهنا يرى هنتنجتون فيما يسرد الجرباوى بأن الحضارات الصينية واليابانية والهندية والإسلامية والأرثوذكسية السلافية والغربية والأمريكية اللاتينية والإفريقية» هى كلها حضارة دول مركزية ما عدا الحضارة الإسلامية التى تفتقر لدولة مركزية خاصة بها على حد تعبير الجرباوى.

«المعرفة، الأيديولوجية والحضارة: محاولة لفهم التاريخ»

القرن الواحد والعشرون:

يرى الباحث بأن الحضارة الغربية المتربعة على عرش العالم الحالى هى حضارة وصلت لمرحلة رفيعة من التقدم ويعد انخراط شعوب الأرض فى هذا النسق هو أكبر دلالة على هيمنتها وأضحى مقياس تبنى قيمها وأنماطها هو مقياس لتقدم وتخلف المجتمعات. ويصف الجرباوى بإسهاب الكثير من التحولات الكبرى التى شهدتها البشرية فى هذا العصر من تقدم على كافة الأصعدة العلمية والثقافية والتكنولوجية وطفرة فى صناعة الأدوية واللقاحات، وما إلى ذلك جنباً إلى جنب وصراعات طاحنة دارت ما بين قوى متعارضة ورطت العالم على حد تعبيره فى حربين عالميتين طاحنتين. ومع هذه التفاعلات وغيرها مر النظام الدولى خلال هذا القرن بأطواره الثلاثة من متعدد الأقطاب إلى ثنائى القطبية ثم أحادى القطبية إلى يومنا هذا.

وينتقل د. الجرباوى لتفصيل طرح فوكوياما فى افتراضيته المشهورة بانتهاء التاريخ الذى تبع الانهيار السريع والمفاجئ للاتحاد السوفييتى والتى خلص بها لأن «الديمقراطية الليبرالية هى الفائزة بالنصر النهائى لمسيرة تطور الفكر الأيديولوجى للجنس البشرى وأنه وفقاً لفوكوياما «لم يعد هناك إمكان بعد اليوم لأى تغير تاريخى نحو تقدم أكبر» مصدراً بذلك استنتاجه المنقوص القائل بـ«نهاية التاريخ». ويوسع الجرباوى نظرية فوكوياما بحثاً وتفصيلاً وتفنيداً لما يطرحه الأخير الذى قرأ كل المعطيات أو أراد أن يقرأها بطريقة توصله لاستنتاج مفاده وفقاً للجرباوى «توليف خلطة تجميعية منتقاة من أفكار لهيجل وأفلاطون المتكئ على تعاليم أستاذه سقراط ساقها لتصبح الديمقراطية الليبرالية «نهاية التاريخ».

ويستمر الجرباوى بالتبحر فى طرح فوكوياما وقوله بأن سعى الإنسان لتوفير احتياجاته المادية ينتج تطوراً فى أنماط المعيشة مع مرور الزمن. لكن يرى بأن الانعطافة حصلت عندما «طورت أوروبا المنهج العلمى التجريبى». مما مكّن الإنسان من فرض سيطرته على مقدرات البيئة بشكل أفضل وبالتالى تحسين الإنتاج وكنتيجة حتمية مراكمة الثروات. يخلص الكاتب بعد بحث مفصل فى فكر فوكوياما المستند لهيجل وأفلاطون بذكر ما رمى إليه فوكوياما قائلاً «لقد أوصل فوكوياما ترتيب تحليله بما يوصله إلى غايته بأن أغلق التاريخ نهايته التى تثبت الديمقراطية الليبرالية أيديولوجية وحيدة ودائمة للبشرية». مصدراً قرار الخلود لنظام أحادى القطبية تتربع أمريكا على عرشه. ويرى الجرباوى بأن «فوكوياما بتحليله المأدلج حول مسار الديمقراطية الليبرالية الغربية، بنموذجها الأمريكى القائم حالياً، إلى مسار حتمى لبقية العالم، مكرساً بذلك ديمومة التفوق الغربى والهيمنة الأمريكية. ومن نهاية التاريخ يعبر الكاتب لصدام الحضارات ومقالة هنتنجتون الصادرة فى العام 1993 بعنوان صراع الحضارات فى محاولة لفهم نسق التاريخ فيما بعد انهيار الاتحاد السوفييتى. ويذكّر الباحث بماهية طرح هنتنجتون القائل بأن «التنافس وليس التعاون هو الصبغة الأساسية للعلاقات بين الناس». ويفصل الكاتب هذا الطرح بسرد آلية وصول هنتنجتون لنظريته عبر دراسة تاريخ الصراع الأوروبى منذ 1500 عام وأصل الصراع بين الأفراد من أمراء وملوك وأباطرة مروراً بالصراعات المستندة للقومية والصراعات بين الدول ثم للصراعات بين الأيديولوجيات المختلفة فى القرن العشرين كما انتهى الحال بين الماركسية والديمقراطية الليبرالية. وهنا ستصبح الثقافة هى ركيزة الصراع لهنتنجتون قائلاً بأن «الصراعات المهمة والملحة والخطيرة ستكون بين شعوب تنتمى إلى كيانات ثقافية مختلفة» حسب هنتنجتون.

وبالنظر لما يعيشه العالم اليوم يمكن القول بما لا جدال فيه بأن العالم يعيش تحت صبغة الحضارة الغربية التى يعود وجودها لأكثر من 500 عام. ويدعى الغرب بأنها حضارة لا نهائية، لكن الكاتب يرى بأن هذا لا يقارب الصحة حيث إن الحضارة الغربية وبناء على الكثير من الباحثين فى هذا المجال فإن الحضارة الغربية فى مرحلة أفول. أخذاً بالاعتبار بأن هذا لا يعنى غياب الحضارة الغربية بين ليلة وضحاها وقد يستغرق هذا عقوداً أو حتى قد يحدث بعد مئة عام من الآن. لكن القاعدة الثابتة تؤسس لأن لا مطلق فى ديمومة الحضارات بغض النظر عن ما وصلت إليه من تطور واتساع وهيمنة بكافة أشكالها.

العرب فى الإطار الحالى:

يحاول الكاتب فهم تفاعل العرب مع الحضارة الغربية وكيفية تعاطيهم معها من كافة النواحى. وهنا يوجز الجرباوى كيفية استجابة الدول وشعوبها للحضارات المختلفة تاريخياً فى ثلاثة اتجاهات مختلفة تتمثل فى:

1 – المشاركة – ذكر فى هذا السياق اليابان كمثال على مشاركة كاملة الجوانب تبنت فيها الحضارة الغربية وتماهت مع مكوناتها. وذلك كان بعد جدل بين ثلاثة تيارات فى اليابان ما بين تيارات إصلاحية وأخرى تقليدية وثالثة طالبت بتغيير جذرى. وسرد الكاتب بأن أهم الإصلاحات التى تبنتها اليابان هى تبنى المناهج التعليمية الأمريكية. والتغيير الذى قامت به اليابان ما بعد تلقيها الضربة الأمريكية وتبنى مبدأ المشاركة لا المنافسة.

2 – المنافسة – الصين حيث عملت الصين على الوقوف فى وجه الذوبان فى الحضارة الغربية وتبنيها وعملت على طرح نفسها كمنافس قوى ووحيد فى عالمنا اليوم للحضارة الغربية الأمريكية. حيث لا يرى الكاتب زمناً طويلاً يفصلنا عن تربع الصين على عرش النظام الدولى لكن ليس على عرش الحضارة العالمية.

3 – أما التفاعل الثالث مع الحضارات السائدة يكون بالتقوقع والانغلاق – ويرى الجرباوى بأن العرب أخذوا القشور دون الأيديولوجيا من الحضارة الغربية. أى عملوا على استخدام كل تجليات الحضارة الغربية المتمثلة بما تنتجه من تكنولوجيا وغيرها ورفضوا تبنى الفكر الغربى أو تطويعه لما يتناسب معهم. طرح الكاتب نقاشاً جوهرياً حول تعرض العرب لصدمة ثقافية من الحضارة الغربية تعود لحملة نابليون وتعاطى العرب والمسلمين معها بشكل رافض استمر إلى يومنا هذا.

يمكن ختام هذا المقال بما أسس له الكاتب بالقول بالدلائل التاريخية بأن الحضارات تمرض وتموت بغض النظر عن سبب ذلك ويرى بأن فتور الأيديولوجيا هو أحد أهم مؤشرات اتجاه الحضارات نحو الأفول.

احتفال مصرى مميز هذا العام بمشروع قانون المسنين فى اليوم العالمى للمسنين فى 1 أكتوبر انطلاقة فى الإستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان

لعلّ الكثيرين لا يعلمون أن هناك يوماً عالمياً للمسنين وهو 1 أكتوبر من كل عام. كمـــا لا يدركون أن المبادرة الرئاسية «شارك بفكرة» التى بدأت منذ عام هى الانطلاقة الحقيقية للإستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان (سبتمبر2021)، وكان أهم مكاســـب مشـــاركة المواطنـــين مـــا جـــاء بمشروع الحكومة لقانون المسنين وإنشاء صندوق لتمويل أنشطة رعايتهم.

السفيرة د.عبير بسيونى
abassiouny@hotmail.com

وحيث إن مشـــاركة المواطنين على مختلف فئاتهم بأفـــكار لتطوير وبناء دولتهم وعالمهم الذى ينشدونه وهو لب المفهوم الشامل لحقوق الإنسان فى الدولة المصرية. وأفخر أن أحدثكم عن تجربتى مع فكرة قانون المســـنين التى تقدمت بها فى مارس2021 عـــن طريق موقع الرئاســـة وقد تواصل معى المسئولون فى الشـــهر التالى (إبريل2021) لإبلاغى بتبنى الرئاســـة المصرية لفكرتى هذه (وسبق لها تبنِ لأفكارى). وقد تقدمت فى حينها بتصوّر كامـــل لهيئة خاصة لهـــم والفئات الأولى بالرعايـــة تطبيقاً لحقوق المواطنة للجميع خاصة الفئات المهمشة مثل المسنين والأرامل واليتامى والتى لم نستكمل لهم بعد الإطار اللازم لحمايتهم وعلى غرار قانون 2018 لذوى الاحتياجات الخاصة ولائحته التنفيذية الخاصة بوضع الخطط الوطنية لحقوق الأشـــخاص ذوى الإعاقة. وأوضحت فى التصور أنه يمكن الاســـتفادة بتجارب الإمـــارات والكويـــت (مثـــل القانون الاتحادى لعام 2019 بشأن حقوق كبار المواطنين). وحيـــث كان الهاجس الملح هو ما نشهده من انتهاك واضح لحقوق المسنين لضعف قدراتهم فى التعامل مع واقعهم (خاصـــة ما تفرضه تكنولوجيا المعلومات والشـــمول المالى. . إلخ) مما يزيد من معاناتهـــم ويحتم أن تراعيهم هيئة خاصة توفر لهم الرعاية والاستقرار النفسى والاجتماعى والصحى. وبحيث يضمن قانون خـــاص بهم حقوقاً مثل: الحق فى الاســـتقلالية والخصوصية بما يشمل حقهم فى اتخاذ القرارات الخاصة بممتلكاتهـــم وأموالهم ومكان إقامتهم، والحماية من تعرضهـــم للعنف (حتى مـــن أقاربهم المقيمين معهـــم)، وعدم قدرتهـــم على الحصول عـــلى الخدمات الحكومية ومن ثم تســـيير فرق الإنقاذ والمتابعة لتوفير هذه الحماية ومنها فرق تبســـيط المعرفة الجديدة. كما اقترحت عدة آليـــات لتنفيذ مواد القانون الجديد ومتابعة إجراءات تســـهيل وتحســـين «جودة الحياة» لهم مثل أن يتم إصدار كارنيه خاص بكبار السن كارنيه «كبار المواطنـــين» ويوفر لهـــم مزايا ببعض الخدمات المجانية أو المخفضة فى وسائل المواصـــلات وتصاريح الركـــن وتذاكر مجانيـــة فى أماكن الترفيه. وكذلك إعادة تأهيل الأرصفة والأسانسيرات والسلالم وفقاً لكود بناء هندسى معين يسمح بأى كرسى متحرك يدخل الرصيف ويخرج منه بدون مســـاعدة. وكذلك إنشاء خط خاص لخدمة الإبـــلاغ للشرطة لحماية كبـــار الســـن وذوى الاحتياجات من الإســـاءة أو العنف معهم وتوفير الأمن والسلامة لهم. وهنا وجب تهنئة الدولة المصرية على انتقالها بحقوق الإنسان من الرعاية الاجتماعية إلى التنمية والاندماج الاجتماعى وهو الأمر الذى لن يتحقق إلا من خلال نشر حملات توعية عن كيفية التعامل مع كبار الســـن والمعوقين بما يحترم آدميتهم ويحفظ كرامتهم وعمل برامج ورسائل مجتمعية واحتفالات بهم

مصر وعالم البحر الأبيض المتوسط فى التاريخ والسياسة

أولاً: مصر منارة حضارات الشرق الأدنى القديم:

1 – يؤكد العالم البريطانى فلاندرز بيتريFlanders Petrie فى موسوعة تاريخ الأمم Hutchinson,s History of the Nations، chapel River Press ,London، vol.1، 1935، المجلد الأول حول تاريخ ونشـــأ ة الحضارة المصرية القديمة، بأن قواعد هذه المدنية الإنسانية نشأت مع تفاعل المصريين القدماء والنيل قبل عشرة آلاف عام، وكيف بدأ الإنســـان المصرى القديم فى تشييد دعائم حضارة مصر الأولى حول وادى النيل الخصيب خلال الألف الثامنة قبل ميلاد الســـيد المســـيح فى صراع مع البيئة من أجل البقاء، حيث كان يعيش على صيد الحيوان والتقاط الحبوب البرية وثمار الأشجار، كما اســـتطاع أن يصنع من حجر الظران آلات حجرية توصل عن طريقها إلى معرفة طريقة إيقاد النار التى سهلت له طهى فرائسه بدلاً من أكلها نيئة.

سفير د .عادل السالوسي
dr.adelelsaloussy@hotmail.com

وكان ذلك بالنسبة للمصرى القديم يمثل العصر الحجرى الحديث الذى بدأ مع الألف الثامنة قبل الميلاد نتيجة توقف الأمطار التى استمرت منذ حوالى ٢٠ ألف عام إلى ٨ آلاف عام قبل الميـــلاد، فيما كانت هجرة المصرى القديم حول مـــوارد المياه ونهر النيل الذى استقر على شـــاطئه فى واديه الضيق جنوباً ثم فى الوادى الأوسع شمالاً أى الدلتا بسبب تراكم طبقات الغرين، الأمر الذى أدى به إلى اكتشـــاف الزراعة ومعرفة أدواتها وتشييد المســـاكن وتنظيم الجماعات على أســـاس المصلحة المشتركة، وقد وفر له هذا الاستقرار ســـبل الحضارة والمدنية من خلال التفاعل مع البيئة، فيما كان عام ٤٢٤٢ قبل الميلاد وحضـــارة أون «هليوبوليس» موضع عين شمس الحالية نقطة تحول فى حياة المصرى القديـــم من حيث بدايـــة التاريخ ومعرفة الكتابـــة، فيما كان تأســـيس أول عاصمة موحدة لـــه فى منفMemphis عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد على أيـــدى الملك والقائد العظيم الذى يسميه علماء المصريات Egyptology ومنهم فلانـــدرز بترى وجيمـــس هنرى بريستد وأدولف إيرمان وماسبيرو وغيرهم باسم مينا Menes.

2 – ويجمـــع العالـــمان الأمريكـــى جيمس هنرى بريســـتد: J.H.Breasted: فجـــر الضمـــير The Dawn of Conscience ،New York، 1933، والألمانـــى أدولف إيرمـــان: A.Erman:literature of the Ancient Egyptians الأدب عند قدماء المصريـــين، London 1927، بأن الإنســـان المصرى القديم، والذى بنى دعائم أول حضارات الشرق الأدنى القديم مع بدايات الألف الثامنـــة قبل الميلاد، قد جعل الأمة المصرية مـــن أزهى أمم عصور التاريخ، وأنـــه ما عرفت أمـــة، ما عرفته مصر من عصور الكفاح والنصر والازدهار الحضـــارى عبر التاريخ ومـــاضى الزمان. فهى منـــذ عشرة آلاف عام تســـكن نفس الموضع من هذا الكوكب الأرضى بتضاريسه من أنهار وبحـــار ووديان وخلجان وجبال وهضاب وســـهول وصحـــارى، وقد مرت عليها العصور والدهـــور بخيرها وشرها، وما قامت لشـــعب من الشعوب على ظهر الأرض قائمة، واشتد له عود إلا قصد مصر بالحســـد أو الأذى جرياً وراء شهرة المرور بها، فقد عاشـــت مصر تاريخها على العلم والحكمة والمعرفـــة epistemology: The Theory of Knowledge ، فعالـــم مصر الأول هـــو الحكيم والطبيب إيمحوتب الذى وضع تصميم مدينة سقارة والهرم المدرج لزوسر منذ حوالى ٥٠٠٠ عام. ولقد استمر المصريون بعده فى اختراعات علوم الهندسة والطبيعة والفلـــك والكيميـــاء والقانون والأخلاق والفلســـفة والنبـــات والتشريح والرياضيات، كما جعله الإغريق فيلســـوفاً وإلهاً لهم. وهى كما قال المؤرخون والعلماء والفلاسفة: أم العالم، وإيوان الفكر والإيمان، وينبوع العلم والحـــرف والصنائع، وهى البلاد التى تشرق عليها الشـــمس وتمنحها الصبر والتوحيد والخلود، فحضارتها ضمير العالم القديم والفكر الإنسانى.

3 – فحاربت مصر الهكســـوس، وهم الذين دخلوا مصر من شـــبه جزيرة سيناء حوالى عـــام ١٦٤٠ قبل الميلاد، واتخذوا من أفاريـــس Avaris أو أواريـــس وموضعها الآن قرية صـــان الحجر بمحافظة الشرقية عاصمة لهم، وحكم ملوكها الرعاة الأسرتان ١٥، ١٦، ثم الأسرة ١٧ بالاشتراك مع ملوك طيبة «الأقصر الحالية»، حيث ظهر سقنن رع، ثم كامس وأخـــوه أحمس الذى طرد الهكســـوس حوالى عام ١٥٨٠ قبل الميلاد، وأســـس الأسرة الثامنة عـــشرة. وبدأ عهد الإمبراطورية حيث جدد أحمس شباب مصر بما أدخله فيها من فتح جديد وكفاح طويل بين مصر وغرب آســـيا وعالم الشرق الأدنى القديم دام ألف عـــام. وكما يقول العلامة ول ديورانت فى موســـوعته العظيمة قصة الحضارة AStory of Civilisation الجزء الثانى حول الـــشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، عن لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٠، إن تحتمس الأول لم يعزز قوى الدولة الجديدة فحســـب، ولكنه غزا سوريا أيضاً بحجة أن مصر يجب أن تسيطر على آســـيا لكى تمنع الاعتداء على أراضيها فيما بعد، وأخضـــع كل البلاد الواقعة بين ساحل البحر وقرقميش فى الداخل، ووضع فيها حاميات، وفرض عليهـــا الجزية، ثم عـــاد إلى طيبة Thebes مثقـــلاً بالغنائم. وفى العـــام الثلاثين من حكمـــه رفع ابنته حتشبسوت لتكون شريكة له فى الملك، وحكم بعده زوجها وأخوها لأبيها باســـم تحتمس الثانى، وأوصى وهو عـــلى فراش الموت أن يخلفه تحتمـــس الثالث ابن تحتمس الأول، وحتشبسوت هى الملكة التى اعتبرت نفسها ابن الإله الأعظم آمون رع، وســـمت نفسها «ابن الشمس» و«ســـيد القطرين». وكانت تظهر أمام شعبها بملابس الرجال، وتلتحى لحية مســـتعارة. وأرسلت بعثة عظيمة إلى بـــلاد بونت (موضع جيبوتـــى والصومال الحالية) لإحضار الطيور والبخور واللبان والمر والعاج والأخشـــاب وغيرها. وشيدت بالدير البحرى هيكلاً عظيماً، وأصلحت ما

خربه ملوك الهكســـوس الرعاة الآسيويين، ونقشـــت ذلك على معبدها بالدير البحرى، بأنها أصلحت مـــا كان مخرباً من قبل، ثم أنشأت لنفســـها قبراً سرياً مزخرفاً بجوار الجبال على الضفة الغربيـــه لنهر النيل فى مقابر وادى الملوك والملكات.

4 – وأضاف ول ديورانت: بأن تحتمس الثالث كان حكمـــه مليئاً بالحروب، بدأه فى الثانية والعشرين من عمـــره، ولما انتهزت سوريا موت حتشبسوت وثارت على مصر، ســـارع تحتمس على رأس جيشه والتحم بالقوات الثائرة عند ســـهل مجدو بالقرب من سلاســـل جبال لبنان وفلســـطين على الطريق الممتد بين مصر وأعالى الفرات وسار مظفراً مخترقاً كل مدن غرب آسيا، ثم عاد بعد ستة أشهر من الزحف. لقد كانت هذه أولى الحملات التى بلغت حوالى سبع عشرة حملة، أخضع فيها تحتمس الباسل كل بلاد الشرق الأدنى وغرب آسيا لحكم مصر، كما أنشأ أسطولاً أخضع لسلطانه كل عالم شرق البحر المتوسط، وأتم زعامة مصر على جزر رودس وقبرص وكريـــت وغيرها من بحر إيجة Aegean Sea.

5 – أما عن العقائد والحياة والجســـد والروح والخلود والدين والإيمان وإله النيل فى مصر القديمة، فيمكن تصور ما ســـجله العلامة أدولف إيرمان منذ حوالى مائة عام فى مؤلفـــه Adolf Erman : Literature of the Ancient Egyptians، London، 1927

The most striking feature of Ancient Egyptian religion، after its doctrine of the Pharaoh,s unlimited power، is its obessive preoccupation with life after death. We think immediately of elaborate tombs and carefully mummified bodies.

The earlier graves – including the pyramids themselves – and the accompanying inscriptions suggest a complicated concept of body and soul. The body had a double، called « ka» ,which survived the death of the body of daily life; the grave، the mummy، and the symbolic statues were all provided for the sake of this undying «ka». This is almost a belief in literal not – dying rather than a belief that the soul is immortal and that man has a choice between heaven and hell. This belief later did take on moral notions that one would be rewarded and punished in an after life for what one did in his life. Witnes this prayer to the Sun – god Amon: Amunre:

Amunre، who was the first to be King! The god of the beginning! The vizier of the poor!

Amunre judgeth the earth with his finger، and speaketh to the heart.Ultimately، the Egyptian cult of immortality was centered in the worship of a specific God، Osiris، who was identified with the Nile. His sister، Isis، whom he married، was identified with earth and fertility. That the Egyptians believed in a moral judgment of the soul after death we know from the Book of the Dead، the most important surviving piece of their Literature.

أيضاً نستشهد من بعض آيات الإيمان للمصرى القديم، فيما أورده العلامة جيمس هنرى بريستد فى مؤلفه فجر الضمير J. H. Breasted: The Dawn of Conscience، New York، 1933.

Hail to thee، great god، Lord of Truth»Osiris». I have come to thee، my Lord، and I am led «hither» in order to see the beauty. I ...have committed no sin against people... l have not done evil in the place of truth. I knew no wrong. I did no evil thing.. I caused no one to weep. I did no murder... I did not decrease the offerings of the gods. I did not hold back the water in its time. I did not dam the running water.

كما يشـــير عالم المصريـــات الفرنسى

كليوبترا السابعة

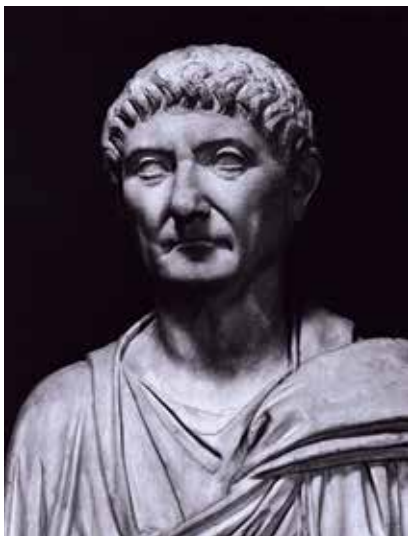

الامبراطور دقلديانوس

ماســـبيرو: Gaston Maspero: The Dawn of Civilisation فجـــر الحضارة والمدنية، بأن فكـــرة الوحدانية ظلت تراود الفكر المصرى القديـــم، وقد ظلت معه على صـــورة الإيمان بوحدة الخالـــق، ثم انتقل إلى القول بوحدة الربوبية، ثم انتهت أخيراً إلى الإيمان بوحدة المعبـــود، فكانت وحدة الإله الخالق قائمـــة فى مذهبى هليوبوليس Heliopolis ومنـــف Memphis أى بين سكان الوادى فى مصر السفلى ومصر العليا. فقد كان فى عين شمس باسم «أتوم» بمعنى التام المكتمـــل، ودعوه فى منف الميت رهينة باســـم «بتاح» بمعنى الفتـــاح أو الخلاق. وقد تلاقت فكـــرة هذين المذهبين مع فكرة المناجاة بإله واحد أكبر للدولة التى استقرت فى عهد بداية الأسرات الملكية، وترتب على هذا الالتقاء منذ الدولة القديمة عن إله وصفته بأنه «رب الأبـــد»، «ورب الكل»، وبأنه «إله عظيم لايدرك اسمه».... «سيد فرد». وقدم أهل منف Memphis ذلـــك فى قولهم بأنه الإله الخالـــق هو الذى خلق بقية المعبودات من نفسه وأمر بعبادتهم. وكان فى اقترابهم من هذه الفكرة، فكـــرة وحدة الربوبية، ما جعلهم قريبين من الاعتراف بوحدة الخلق.

ثانياً: مصر والإمبراطورية الرومانية:

1 – حكم الرومان مصر حوالى ســـبعة قـــرون بدأت مع عام ٣٠ قبـــل الميلاد بعد انتصار أوغسطس قيصر أوكتافيانوس على كليوباترا ومارك أنطونى فى موقعة أكتيوم عام ٣١ قبل الميلاد، ثم تعقبها إلى الإسكندرية حتـــى مصرعها فى ١٢ أغســـطس ٣٠ قبل الميـــلاد، وحتى هزيمة الـــروم البيزنطيين فى موقعة حصن بابليـــون أمام عمرو بن العاص، وانسحاب الرومان من الإسكندرية عام ٦٤٢ ميلادية. وتنقســـم هذه الفترة إلى حقبتين الأولى تبـــدأ منذ ٣٠ قبل الميلاد مع أغســـطس قيصر حتى اعتلاء الإمبراطور الرومانى دقلديانوس عرش روما عام ٢٨٤/

مصر وعالم البحر الأبيض المتوسط فى التاريخ والسياسة

٣٠٥ ميلادية، وهى التى أصبحت فيها مصر ولاية رومانية Provincia Romana تحكم من العاصمة روما. والفترة الثانية تبدأ من حكم الإمبراطور قسطنطين العظيم مع مطلع القرن الرابع الميلادى عام ٣٠٦/ ٣٣٧ميلادية وهو الذى اعترف فى مرسوم ميلان عام ٣١٣ بالمسيحية كديانة بالإضافة إلى الوثنية وعبادة الإمبراطور، كما أنه أنشأ مدينة القسطنطينية Constantium على أطلال مستعمرة بيزنطة القديمة على القرن الذهبى بالبسفور لكى تكون عاصمة جديدة لروما Roma Nova، وكانت مصر تتبع الإمبراطور الجالس على عرش القسطنطينية بعد تقسيم الإمبراطور ثيودوسيوس لأملاك الإمبراطورية بين ولديه فى عام ٣٩٥ ميلادية، وهو ما يسمى تاريخ مصر فى العصر البيزنطى أو مصر والإمبراطورية الرومانية الشرقية.

2 - وبالنسبة لمقدمات الفتح الرومانى، فيمكن القول بأن مصر تحولت إلى مملكة مستقلة أثناء حكم البطالمة بعد موت الإسكندر الأكبر المقدونى فى بابل وإحضار جثته إلى الإسكندرية عام ٣٢٣ قبل الميلاد. وكان حكم مصر من نصيب أحد قواده ويدعى بطليموس الذى استقلت أسرته بمصر، وكان آخر ملوكها كليوباترا السابعة التى لقيت مصرعها بثعبان الكوبرا فى ١٢ أغسطس عام ٣٠ قبل الميلاد. ويصف مؤرخو الحضارة اليونانية الرومانية تلك الفترة بمصر البطلمية أو تاريخ مصر فى عصر البطالمة، ويبدأ مع بطليموس الأول الذى خلع عليه أهل رودس لقب سوتير أى المنقذ وأصبح ملكاً Basileus.

3 - لا أنه لم يأت القرن الثانى قبل الميلاد، وانتقلت العلاقة بين روما والإسكندرية عاصمة البطالمة إلى دور جديد بدأ يشهد تدخلاً سياسياً من جانب الرومان فى شئون البطالمة. وكانت روما فى تلك الأيام قد ازدادت قوة، فيما ازدادت مصر ضعفاً، حتى طمع فى ممتلكاتها فيليب الخامس ملك مقدونيا، وأنطيوخس الثالث ملك سوريا، وسنحت لروما فرصة التدخل فى شئون مصر متذرعة بعدم اختلال التوازن الدولى rough equilibrium فى عالم الشرق الهيللينستى Hellenistic Orint.

4 - وكان الخلاف قد احتدم بين البطالمة Ptolemies والسلوقيين فى سوريا حول السيطرة على ما يعرف «بجوف سوريا» وهى فلسطين والأراضى المقدسة sacred lands وساحل فينيقيا phoenecia ورودس وقبرص وبعض جزر بحر إيجة وبرقة أو مستعمرة قورينى corenaica أى الجبل الأخضر حتى بنغازى التى وضع دعائمها بطليموس الثانى فيلادلفوس ثانى أعظم وأقوى حكام مصر البطلمية، وكانت كلها تتبع أملاك البطالمة فى مصر والإسكندرية Alexandiae ad Aegyptium فهى الإسكندرية المتاخمة لمصر، ولما ضعف حكم البطالمة، أدى انتشار الفوضى فى برقة إلى استيلاء الرومان عليها وتحويلها إلى ولاية رومانية عام ٧٤ قبل الميلاد تحكم من روما. وكانت الفرصة قد سنحت لروما فى الاهتمام بالشئون المصرية والتعرف على أحوالها، والطمع فى ثرواتها بسبب زيارة سكيبو Scipio الذى دمر مستعمرة قرطاج Carthage الفينيقية (موضع تونس الحالية)، والتى أسسها الفينيقيون فى القرن التاسع قبل الميلاد، وجاء آخر تدمير لقرطاج عام ١٤٦ قبل الميلاد، حيث عهد السناتو الرومانى إليه بتفقد الأحوال فى أقاليم الشرق الهيللينستى، ونزل الإسكندرية واستقبله ملكها بطليموس يوروجيتيس بحفاوة بالغة، ولما عاد Scipio إلى روما كتب تقريراً وافياً كان له أثر كبير فى توجيه سياسة السناتو الرومانى تجاه مصر، وتبعاً لذلك ظهر على مسرح السياسة الرومانية «مسألة مصرية» وهى مسألة استغلتها الأحزاب المتطاحنة فى روما لتحقيق مأربها وتدعيم مركز زعمائها.

5 - ولما ثار السكندريون على بطليموس الزمار والد كليوباترا بسبب تفريطه فى قبرص وتعسفه معهم، أكره على الفرار إلى روما، وأحسن بومبى وفادته، إلا أنه عاد إلى مصر وتوفى بالإسكندرية عام ٥١ قبل الميلاد، وأوصى بعرشه لكبرى بناته كليوباترا السابعة وكانت تبلغ من العمر ١٨ عاماً، وأخيها بطليموس الثالث عشر. وفى عام ٤٨ قبل الميلاد انهزم بومبى فى إحدى المعارك ببلاد اليونان ولجأ إلى الإسكندرية، إلا أن أحد الرومان قتله عندما اقترب من الساحل المصرى بأمر من بطليموس الثالث عشر شقيق كليوباترا وشريكها فى الحكم، ولم تمض إلا أيام حتى وصل يوليوس قيصر إلى الإسكندرية، وحدثت الحرب المعروفة «بحرب الإسكندرية» بين جنود قيصر والبطالمة، والتى انتهت بهزيمة قوات بطليموس شقيق كليوباترا السابعة وموته غرقاً، وحسم قيصر مشكلة الخلافة باشتراك كليوباترا مع أخيها بطليموس الرابع عشر، واصطحب أختها أرسينوى إلى روما وزج بها فى السجن عقاباً لها على مقاومة الرومان، وغادر إلى روما ولحقت به كليوباترا عام ٤٦ قبل الميلاد ونزلت فى أحد قصور قيصر على نهر التيبر. وأنجبت كليوباترا السابعة من قيصر

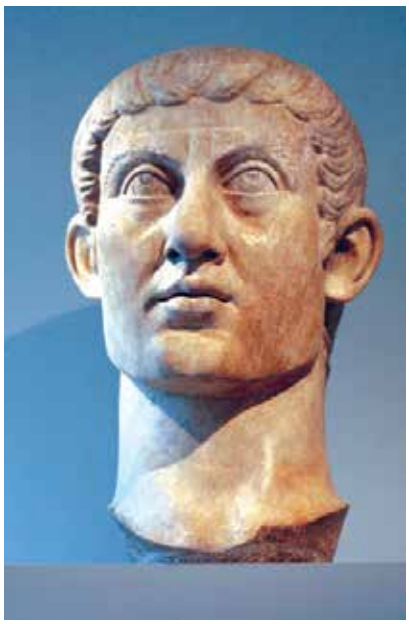

قسطنطين العظيم

ولداً أسمته بطليموس قيصر، أطلق عليه السكندريون «قيصرون Caesarion» أى قيصر الصغير. ثم كان اغتيال قيصر داخل السناتو الرومانى فى ١٥ مارس عام ٤٤ قبل الميلاد. ثم بدأت علاقة كليوباترا السابعة مع القائد مارك أنطونى والذى انتحر بعد هزيمته وكليوباترا فى موقعة أكتيوم أمام أوكتافيانوس، واختارت أن تموت بلدغة ثعبان الكوبرا خشية أن تساق مثلما ساق قيصر أختها أرسينوى فى موكب نصره بعد عودته إلى روما، وكان اختيار الكوبرا له مغزاه، لأن الكوبرا كانت أفعى مصر السفلى، وخادمة رع إله الشمس، التى لاتمنح لدغتها الخلود وحسب بل الألوهية أيضاً، وكان ذلك يوم ١٢ أغسطس عام ٣٠ قبل الميلاد. واعتلى أغسطس قيصر أوكتافيانوس بعد ذلك عرش روما وبدأ تاريخ روما فى عصر الإمبراطورية، ونشر ما يسمى السلام الرومانى فى ربوع البحر المتوسط، حيث تسمى عهده بالسلام الأوغسطى Pax Augusta، وتلى ذلك بعد وفاته ما يسمى بالسلام الرومانى Pax Romana والذى شمل كل ولايات الإمبراطورية الرومانية فى الشرق الأدنى القديم وعالم البحر المتوسط وبلاد غالة وبريطانيا وجرمانيا حتى قرطاجنة وإسبانيا وأعمدة هرقل فى أقصى غرب المتوسط، ثم تلى ذلك منح مواطنى ولايات روما المواطنة الرومانية Civitas Romana التى كفلت لتلك الولايات حماية روما الإمبراطورية.

ثالثاً: مصر والإمبراطورية البيزنطية:

1 - يقول د. رأفت عبدالحميد فى كتابه: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، دار الموقف، القاهرة ١٩٧٢ حول مقومات

وســـمات الهوية والشـــخصية المصرية فى العصر البيزنطى، وكيف هى رحلة الزمان البعيـــدة. فهل تلك الشـــخصية هى مصر البيزنطية، أو مـــصر فى العصر البيزنطى. .. مثلمـــا كانت مـــصر البطلمية.. ومصر الرومانية؛ ثم بعد الإسلام: مصر الطولونية.. ومصر الإخشـــيدية.. ومـــصر الفاطمية.. ومصر الأيوبيـــة.. ومصر المملوكية.. ومصر العثمانية.. ومصر عهد محمد على والعصر الحديث.

2 – ويستطرد: هذه كليوباترا السابعة، آخر ملكات وملوك البطالمة فى مصر، والتى سعت بكل الســـبل لتجعل من مصر قاعدة لإمبراطورية عالمية فى عالم البحر المتوسط يدور الرومـــان فى فلكهـــا، تزينت بلباس الفراعنة، ووضعت تيجانهم على رأســـها، وعاشت ملكة مصرية فرعونية، فلما آثرت حياة الخلود على أن تساق أسيرة فى شوارع روما، ســـلكت طريق الخلود المصرى عن طريق لدغة الكوبرا المصرية.

3 – إن هذه الفـــترة البيزنطية تعالج القرون من الرابع إلى الســـابع الميلادى، أى منذ اعتراف الإمبراطور قسطنطين العظيم بمرســـوم ميلان عـــام ٣١٣ ميلادية، ثم إنشاء القسطنطينية عام ٣٣٠ ميلادية، ثم اعتراف الإمبراطور الرومانى ثيودوسيوس عام ٣٩٥ ميلادية بالمســـيحية ديناً رسمياً فى جميع ولايـــات الإمبراطورية الرومانية، وانتهاء عـــصر الوثنية Paganism وعبادة الإمبراطور الرومانى، وتقسيم الإمبراطورية بين ولديه أركاديوس وهونوريوس أى بين القســـطنطينية وروما، وكانت ولاية مصر من نصيب الإمبراطـــور الجالس على عرش القسطنطينية، وهو ما اصطلح على تسميته بالعصر البيزنطى، وحتى دخول الإســـلام مصر عـــام ٦٤٢ ميلادية على عهد الخليفة عمر بن الخطاب والقائد عمرو بن العاص.

4 – تلك الفـــترة البيزنطية التى تحول فيها الإمبراطور الرومانـــى Imperator باللاتينيـــة مرادفـــاً لكلمـــة Basileus اليونانية، هـــذا الإمبراطور تحول إلى نائب المســـيح عـــلى الأرض Vicarius christi، فيما أصبحت القوانين الرومانية مســـيحية الطابع واصطبغت الفنون والآداب بالطابع المسيحى بعد حرب الأيقونات.

5 – ولقد كان تغيير الحروف بحروف أخرى أو إســـقاط بعضها أمـــراً وارداً مع اختلاف طبيعـــة النطق، وليجيء اســـم إيجيبتوس Aegyptus لترتبط بها مجموعة من الروايات الأســـطورية كان منها اســـم منـــف Memphis، ويرجـــع فى الأصل إلى ابنة الملك الذى بناها وهـــو ميناس Menes ، تلك الفتـــاة التى أحبها إلـــه النيل وأنجب منها إيجيبتوس الذى اشـــتهر بالفضيلة، فأطلق الناس اسمه على «مصر». وقد ذكر

أغسطس قيصر اوكتافيانوس

هوميروس شـــاعر الإغريق الأعظم فى القرن الثانـــى عشر قبل الميلاد وشـــاعر«الإلياذة والأوديسا»ملحمة حرب طروادة Troy، ذكر فى ملحمة الأوديسا اسم إيجيبتوس، فيقول على لســـان مينيلاوس ملك اليونان فى رحلة العودة: فى نهر إيجيبتوس مكثت ســـفنى. وعلى النحو نفسه تم إســـقاط النهايةUS للأبجدية اليونانية والإبقاء على جذر الكلمة، لنراهـــا فى الإنجليزية Egypt والفرنســـية l,Égypte والألمانيـــة Aegypten. كمـــا عرفـــت فى العربية بـــ«قبـــط Qipt» حيث أبقى على جذر الكلمة الرئيسى gypt. ويأتى فى المصريـــة القديمة من «اجبة» أى الأرض السوداء أو السمراء، إشارة إلى سمرة تربتها الطينية وخصوبتها، كما يرتبط الاسم أيضا بمعنى أرض الفيضان.

وهكـــذا أصبحت كلمـــة قبطى تعنى مصر ومصرى. فالقبطية إذاً ليســـت ديناً، فمن الخطأ القـــول الديانة القبطية، إلا إذا انصرف الذهن إلى الإلهة المصرية القديمة. والقبطية بالتالى لاتعنى المسيحية. ومن ثم فإن كلمة الأقبـــاط تعنى مصر والمصريين جميعاً مسلمين ومســـيحيين. أى أن القول بمصر القبطية أو مصر فى العصر القبطى لايستقيم مع التاريخ أو المنطق أو المعتقد.

6–ويمكـــن القول بـــأن علاقة مصر بالعـــرش البيزنطـــى Byzantium، أى الإمبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية Constantium التى أنشأها الإمبراطور قســـطنطين العظيم عام ٣٣٠ ميلادية وأســـماها روما الجديدة Roma Nova، لتكون عاصمة جديدة للإمبراطورية بعيدة عن تقاليد العبـــادة الوثنية، وعبادة الإمبراطور، وهجمـــات البرابرة من القوط والجرمان والهون Huns والماغيار والوندال، ويتفـــق علمـــاء تاريخ أوروبـــا العصور اليونانيـــة الرومانيـــة، وكذلـــك حضارة العصور الوسطى، ومنهم المؤرخ جونز.A H.Jones: Egypt and Rome ، وأتفـــق معهم جميعاً باعتبارى من دارسى الحضارة اليونانية الرومانيـــة Graeco – Roman Civilisation وأيضـــاً اللغتـــين اليونانية القديمة الكلاسيكية واللاتينية ودرستها منذ ما يزيد عن خمسين عاماً بكلية الآداب جامعة عين شمس، بأن العلاقة الوثيقة التى كانت تربط مصر بالإمبراطورية الرومانية ابتداء من عهد أغسطس قيصر أوكتافيانوس عام ٣٠ قبل الميلاد هـــى القمح والنقود. فيذكر المؤرخ والسياسى الرومانى تاكيتوس والذى زار مصر فترة حكـــم الإمبراطور تراجان، وأدرك قيمة موضعها وموقعها، هذا المؤرخ نوه بمركز مصر الجغـــرافى فى قول مأثور باللاتينية:

مصر مفتاح البر والبحر Aegyptium claustra Terrae et Maris.. حيث أدرك أهمية هذا الموقع والمكانة بالنســـبة لعالم الشرق الأدنى وشرق البحر المتوسط مهبط الحضـــارات القديمة والديانـــات والإيمان والتوحيـــد، وأيضًا لمدن ودويلات آســـيا الصغرى، وبلاد ما بـــين النهرين، وفارس وسوريا الكبرى وفلسطين وساحل فينيقيا Phoenicia من صور وصيدا وجبيل وجزر قـــبرص ورودس وكريت وبـــلاد اليونان، وجزر بحـــر إيجة والبحر الأحمر حتى باب المنـــدب. وأن أغســـطس قيصر عزل مصر بعد مـــصرع كليوباترا عـــن بقية ولايات الإمبراطوريـــة الرومانية مخافة أن يحتلها أحد، فبجانب الأســـباب العسكرية، مصر غنية بالقمح.كما يقـــر الخطيب الرومانى Plinius بأن رومـــا عاصمة الإمبراطورية لاتستطيع أن تطعم نفسها دون ثروة وقمح مصر. ويقول المؤرخ الســـكندرى فى القرن الأول الميلادى يوســـيفوس: بأنه فضلاً عن الأموال التى تمد مصر بها روما، فإنها تعد أقيم جزء فى الإمبراطورية بسبب القمح الذى تمونها به. وأنه من أيام أغســـطس قيصر تولى حكم مصر فرســـان رومان فى منزلة الملوك، ورأى أن مـــن مصلحته أن تخضع هذه الولاية لسيطرته المباشرة.

رابعاً: تقدير الموقف التاريخى والسياسى:

1 – يمثـــل مجيء الإســـكندر الأكبر المقدونى إلى الـــشرق: Levant .. Orient، عام ٣٣٢ قبل الميـــلاد بداية حقبة جديدة فى التاريخ والحضارة والفكر السياسى بين الشرق والغرب هى ما اتفق على تســـميتها بالحضـــارة الهيللينســـتية Hellenistic Civilisation.

وهى تشمل كل بلاد الشرق الأدنى القديم من مصر والشام وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس وساحل فينيقيا من صور وصيدا وجبيل وجزر بحر إيجة وبلاد اليونان Hellas أصحاب الحضارة الهيللينية Hellenism والبلقان وبرقة Corenaica وكل عالم شرق البحر المتوسط والغرب حتى قرطاج Carthage وأعمدة هرقل وروما.

2 – فلقد كانت أفكار الإسكندر الأكبر المقدونى تلميذ الفيلسوف اليونانى العظيم أرسطو هى مزج حضارات الشرق الأدنى مع حضارة بلاد اليونان فى مزيج واحد ولغة عالمية واحدة هى الكوينى Koine أى اللسان العام سادت هذا العالم، وأن تلك الفلسفة والرؤية هى الحقبة التى اصطلح على تسميتها الهيللينستية Hellenistism، فقامت النهضات العلمية والفكرية والفلسفية طوال تلك الفترة، وظهرت فيها مجموعات ضخمة من الفلاسفة والعلماء والمفكرين، وكانت هناك مدن عظمى عواصم لتلك الحضارة أهمها الإسكندرية وأثينا وبرجامة وأنطاكيا وقيصرية وأفيسوس ورودس وروما. فلقد كانت الإسكندرية طوال العصر الهيللينستى، حاضرة وعاصمة الشرق الأدنى الثقافية والعلمية والأدبية، تلك الإسكندرية التى دامت حوالى ١٠٠٠ عام منذ مجيء الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ قبل الميلاد وحتى الفتح العربى عام ٦٤٢ ميلادية، فملأت جامعتها العالم نوراً ومعرفة، وازدهرت فيها أفكار الفلاسفة والعلوم والفنون، حيث كانت تدرس بها طوال تلك القرون، وحتى بعد أن دخلتها المسيحية وتم الاعتراف بها فى مرسوم ميلان عام 313 ميلادية عهد الإمبراطور قسطنطين العظيم الذى أنشأ القسطنطينية عام 330 ميلادية على أنقاض مستعمرة بيزنطة Byzantium على البسفور بالقرن الذهبى، وتم الاعتراف بها كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية عام 395 ميلادية عهد الإمبراطور ثيودوسيوس، كل مجالات العلوم والفنون والآداب والتاريخ والجغرافيا والفلك والفلسفة والنبات والحيوان والتشريح وعلوم الطب المختلفة والرياضيات والكيمياء وغيرها.

3 – ومن أشهر عظماء التاريخ المصرى فى ذلك العصر المؤرخ والعالم مانيتون السمنودى الذى كلفه بطليموس الثانى فيلادلفوس عام ٢٨٠ قبل الميلاد بكتابة تاريخ مصر القديمة والأسرات الملكية، فكتب مؤلفه باللغة اليونانية، وهى لغة مصر البطلمية والعصر الهيللينستى، وقسم التاريخ إلى ٣ دول قديمة ووسطى وحديثة. كما قسم الأسرات إلى ٣٠ أسرة حاكمة تنتهى بدخول الإسكندر الأكبر المقدونى مصر عام ٣٣٢ قبل الميلاد. وهو نفس التاريخ والتقسيم الذى يقوم عليه علماء المصريات حتى الآن. فلم تكن هذه المكانة غريبة على علماء مصر والإسكندرية التى عرفت طريقها إلى الشهرة منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وأضحت الإسكندرية قصبة الشرق والعالم الهيللينستى، بل بريق العالم ودرة الحضارة والفكر والمدنية، كما وصفها العلامة وليام تارن فى مؤلفه الحضارة الهيللينستية.

4 – وبالنسبة لكليوباترا السابعة آخر سلالة الأسرة البطلمية فقد أثنى عليها العلامة تارنTarn فى موسوعة تاريخ كامبردج القديم Cambridge Ancient History المجلد العاشر، واصفاً إياها بأنها أعظم خلفاء الإسكندر الأكبر المقدونى، وأن منزلتها رفيعة، ولكنها لم تتبوءها دون جدارة واستحقاق. فقد كانت امرأة ذات عبقرية، جديرة بأن تهابها روما كخصم. ويضيف تارن: «بأن روما التى لم تستسلم إطلاقاً للخوف من أية دولة أو شعب، قد خشيت شخصيتين، إحداهما هانيبال ملك قرطاجنة Carthage التى دمرها سكيبيو Scipio عام ١٤٦ قبل الميلاد، والأخرى امرأة ، وقصد ملكة مصر البطلمية كليوباترا السابعة.

5 – وكان لابد وأن تحظى مصر، باعتبارها مخزناً للغلال، ومورداً للأموال بنظام للحكم يختلف منذ الوهلة الأولى عنه فى سائر الولايات الأخرى، فتم اختيار حاكمها من طبقة الفرسان، وليس من أعضاء السناتو مثل الولايات الأخرى. ولم يكن يحمل لقب بروقنصل Proconsul أو بروبرايتور Propraetor مثل باقى الولايات، وإنما سمى حاكم عام الإسكندرية ومصر Praefectus Alexandriae et Aegypti، وحرم على أعضاء مجلس الشيوخ الرومانى زيارة مصر خوفاً من أن يدفع الطموح أحدهم للاستقلال بمصر، معتمداً على وفرة مواردها ومنعة حصونها وموقعها.

6 – ولعل هذه النظرة بدأت تزداد، وتسمو مصر بنفسها، بعد أن شهدت الإسكندرية قيام مدرستها اللاهوتية التى حملت عبء الدفاع عن المسيحية، وأن يكون لكنيستها القول الفصل فى قضايا اللاهوت ومسائل العقيدة والإيمان التى دار حولها الخلاف على امتداد القرنين الرابع والخامس لسبب آراء الآباء آريوس Arius وأثناسيوس Athnasius حول طبيعة السيد المسيح، ودارت رحاها بين كنائس الإسكندرية والقسطنطينية وأفيسوس وروما وأنطاكية وقيصرية والقدس، حيث لم تنس مصر أن حضارتها سبقت حضارة الرومان بعشرات القرون. كما لم تنس الإسكندرية أنها كانت يوماً ما عاصمة البطالمة خلفاء الإسكندر الأكبر سليل حضارة بلاد اليونان Hellas.

7 – أما القضية فى جوهرها.. فكانت عداء شخصياً بين الإمبراطور والأسقف السكندرى، مرجعه الخلاف الفكرى العميق بين الدولة والكنيسة. فالفكر السياسى الرومانى كان يقوم على سيادة الإمبراطور المطلقة على كل رعاياه فى كافة الأمور. وكان هو الحاكم المدنى والقائد العسكرى. .. كما أنه الكاهن الأعظم Pontefix Maximus فى الوثنية، والأسقف الأعلى ونائب المسيح على الأرض فى المسيحية Vicarius Christi. الأمر الذى كان فى الفكر السياسى الرومانى يرفض تماماً وجود كيان مستقل داخل سلطان الدولة.

اهم المراجع:

– ول ديورانت: قصة الحضارة A story of Civilisation، الجزء الثانى، الشرق الادنى، ترجمة محمد بدران، الدار المصرية للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٠.

– وليام تارن: الحضارة الهيللينستية Hellenistic Civilisation، ترجمة عبد العزيز جاويد، مراجعة، زكى على ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٦.

– د. عبداللطيف احمد على: مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الاوراق البردية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥.

– د. رأفت عبدالحميد:بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، دار الموقف، القاهرة ١٩٧٢.

– السفير الدكتور عادل السالوسى: مصر فى ميزان التاريخ والجغرافيا والقانون والسياسة وسد النهضة، مجلة الدبلوماسى، السنة الثامنة والعشرون، العدد ٢٩٠، القاهرة ابريل ٢٠٢٠.

– J.H.Breasted : The Dawn of Conscience، فجر الضمير، New York، 1933.

– A. Erman: Literature of the Ancient Egyptians، الادب عند قدماء المصريين، London، 1927.

– Hutchinsons: History of the Nations، vol. 1، London 1935، chapter 1، The Egyptians، professor Flanders Petrie، Egypt before 10,000 Years Ago

مبادئ الأمم المتحدة للمدفوعات الرقمية

بناء الثقة وتخفيف المخاطر ودفع الاقتصادات الشاملة

ينتقل العالم إلى المدفوعات الرقمية لأنها أسرع وأكثر أماناً وشـــفافية من النقـــد والأمر الذى يكون معه جنى فوائد تلك المنظومة العالمية الجديدة وهى المدفوعات الرقمية، لذلك يجب عدم التغاضى عن مســـئولية التصميم والضمانات والتنفيذ من خلال رقمنة المدفوعات بشـــكل مســـئول، يمكننا من الوصول بسرعة إلى المساواة المالية وتعزيز أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة. لذلك نعرض لأهم المبادئ التى قررتها مؤخراً:

1 – تعامل مع المستخدمين بإنصاف.
2 – ضمان حماية الأموال وإمكانية الوصول إليها.
3 – إعطاء الأولوية للمرأة.
4 – حماية بيانات العميل.
5 – تصميم للأفراد.
6 – تحلى بالشـــفافية، خاصة فيما يتعلق بالتسعير.
7 – توفير خيار المستخدم من خلال إمكانية التشغيل البينى.
8 – اجعل اللجـــوء واضحاً وسريعاً وسريع الاستجابة.
9 – نظم المساءلة وسلسلة القيمة.

أولاً: تعامل مع المستخدمين بإنصاف:

إن إجراء المدفوعات بمسئولية هو أكثر بكثير من مجرد حماية المســـتهلك، من أجل تحســـين المدفوعـــات الرقمية على النقـــد، تعتبر المعاملة للمســـتخدمين أمراً ضرورياً وبالتالى العدل هو الأساس الذى تقوم عليه المسئولية، وضمان عدم إساءة استخدام السلطة، وتحيز الخوارزميات فى الذكاء الاصطناعى فى الدفع.

ثانياً: ضمان حماية الأموال وإمكانية الوصول إليها:

وفقاً لـ GSMA اعتمد 1,2 مليار شـــخص المدفوعـــات الرقمية بين عامى 2017، 2020 فى ظل هذا الطوفان، اتســـعت المشكلات المنهجية، لكى تتجـــاوز المدفوعات الرقمية النقد، يجب أن يشعر المســـتخدمون بالثقة فى أن أموالهم آمنة ويمكن الوصول إليها فى جميع الأوقات. ومن هذه الضمانات ضرورة توافر البنية التحتية للدفع فى الوقت الفعلى لتقليل الخسارة وانقطاع الخدمة للمســـتخدم النهائى، ضمانات لحماية الأموال فى حالة فشـــل النظام، الحوافز المقدمة لضمان الوصول والسيولة للمستخدم النهائى للوصول إلى الأموال.

ثالثاً: إعطاء الأولوية للمرأة:

تستجيب الحكومات والقطاع الخاص للقوة التحويلية للمدفوعات الرقمية على النساء، لذلك فإن نهج إعطاء الأولوية للمرأة يحتاج إلى إصلاح شـــامل يمكن للحكومات والشركات إعادة البناء من خلال إعطاء الأولوية للشـــمول المالى الرقمى للمرأة، من خلال تتبع البيانات المصنفة حســـب الجنس مـــن شركات الدفـــع الرقمى، وضمان التركيز فى جميع الأبحاث المستقبلية لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعى.

رابعاً: حماية بيانات العميل:

يعد منع إســـاءة اســـتخدام البيانات أمراً أساســـياً لتعزيز ثقة المســـتخدم فى المدفوعات

د .علاء مبروك
alaa.mabrouk4444@gmail.com

الرقمية، ومـــع نمو المدفوعات الرقمية والبيانات بأحجام غير مســـبوقة، أصبحت نماذج حماية البيانات الحالية والامتثال للخصوصية تســـتند إلى الموافقة، ولكـــن فى كثير من الأحيان، لا يفهم المستخدمون ما يوافقون عليه، مما يجعل الموافقة بلا معنى. لذلك أصبح عـــلى مقدمى الخدمات الرقميـــة ضرورة معالجة المخـــاوف الخاصة بتنظيم البيانات الشـــخصية التى تســـتند إلى إطار حقوق الإنسان، مدعومة بسياسات تؤمن الأشخاص وأنظمة البيانات التى يعتمدون عليها، ضمان شفافية اســـتخدام البيانات الشخصية مع ضمان الحماية لتلك المعلومات الشـــخصية، ضمان حماية النساء اللائى يستخدمن الأجهزة المشتركة فى أسرهن، إبلاغ المســـتخدم بحقوقه وكيفية ممارستها.

خامساً: تصميم للأفراد:

تســـاعد التطورات فى تحليلات البيانات فى تشكيل مســـتقبل، حيث يتم فيه تحليل تجارب المســـتخدم بغض النظر عن عمـــق المحفظة، لذلك فإن المدفوعـــات الرقمية مصممة فى المقام الأول للمستخدم العادى، ويلاحظ وجود نقص فى الوعـــى بتنوع الاحتياجـــات والمتطلبات بين الأفراد، ولتوفير خدمات أفضل من النقد لجميع المســـتخدمين، يجب تصميم المدفوعات الرقمية لتتناسب مع جميع شرائح المجتمع.

سادساً: تحلى بالشفافية، خاصة فيما يتعلق بالتسعير:

النمـــو المزدهر للمدفوعـــات الرقمية يعنى أن مقدمى الخدمات يتفاعلون بشـــكل متكرر مع مســـتخدمين جدد، غالباً ما يشـــعر هؤلاء المستخدمون بالحيرة من المصطلحات القانونية، وإخلاء المسئولية عن البيانات، وواجهات البرامج، ونماذج التســـعير المعقدة والمبهمة. يعزز سوء الفهم عدم الثقة، كمـــا يولد عدم الثقة، التراجع عن النقد، لذلـــك يحتاج مقدمو الخدمات تزويد المســـتخدم بالمعرفة التى يحتاج إليها وذلك من خلال توصيل معلومات يســـهل فهمها، وتعطى معلومات مفيدة حول فوائد ومخاطر استخدام المدفوعـــات الرقميـــة مقابل النقـــود، وكيفية الوصول إلى الأموال الرقمية واستخدامها بأمان.

سابعاً: توفير خيار المستخدم من خلال إمكانية التشغيل البينى:

توجد حواجز تمنع المستخدمين من التعامل بحرية، والقـــدرة على تحمل تكلفـــة أكثر من النقد بالنســـبة لبعض الأفراد، الأمر الذى يسبب بعض القيـــود الاجتماعيـــة والاقتصادية حيث إن التكاليـــف المباشرة للرســـوم الإضافية على المعاملات بين مقدمى الخدمة تكون باهظة وغير مناســـبة لشريحة من المجتمـــع، لذلك يجب أن تكون التكاليف مناسبة، بهدف زيادة الوصول إلى المدفوعـــات الرقمية، كما أنه لابد من التعاون المشترك بين المنافسين للاســـتثمار فى متطلبات البنية التحتية المشتركة للمدفوعات الرقمية مثل نقاط قبول التاجر لدى تجار التجزئة.

ثامناً: اجعل اللجوء واضحاً وسريعاً وسريع الاستجابة:

كان الإقبال عـــلى المدفوعات الرقمية مذهلاً بالفعـــل، ثـــم ضاعـــف COVID – 19 حجم المدفوعات الرقمية للمستخدمين الجدد إلى ثلاث مرات، الأمـــر الذى أدى إلى زيادة متناســـبة فى النزاعات، كما أنه توجد أنظمة قديمة لم تواكب التطور المتزايـــد لمنصات الدفع الرقمى، كما يتم التأكد من أن آليات الشـــكوى مجانية، حتى لا يضطر المســـتخدمون إلى الدفع لطلب المساعدة، ضرورة رفع مســـتوى الخدمة المقدمة لتشمل حوافز لإنشـــاء آليات انتصاف قابلة للتشغيل المتبادل وسريعة الاستجابة.

تاسعاً: نظم المساءلة وسلسلة القيمة:

تســـارع الشركات إلى رقمنـــة المدفوعات عبر سلاســـل التوريد الخاصة بهـــا، حيث تم إنشـــاء المزيد من المجمعات على واجهات برمجة التطبيقات المفتوحـــة (APIS)، ويعمل الوكلاء على توسيع نفوذهم، وبالتالى أصبحت العلاقات بين أولئك الذين يستخدمون المدفوعات الرقمية وتلك التى توفرها أكثر تعقيـــداً. لذلك لابد من تحديد من هو المســـئول عن اكتشاف المشكلات، وهنـــا يكمن احتمـــال وجود عالـــم تكون فيه المسئولية بناء مشتركاً– مع ثقة مستخدم أقوى وعروض قيمة أفضل واعتماد متزايد للمدفوعات الرقمية، لابد من تقييـــم مقدمى خدمات الدفع من خلال الفحص الدورى وتقييم المستخدمين للوكلاء، واستطلاع الرأى ونشاط المتسوق السرى لاقتراح التطور.

عائلة عبدالرسول.. محاولة للإنصاف

فى السبعينيات من القرن 19 ظهرت فى الأسواق، فى مصر وفى أوروبا، قطع أثرية فرعونية غير معروفة وغير مسجلة فى إدارة الآثار. أثار ذلك ريبة مدير الإدارة الفرنسى جاستون ماسبيرو بأن هناك من اكتشف موقعاً أثرياً ويقوم ببيع محتوياته دون الإبلاغ عنه وبدأ فى تحرى الأمر. واستمرت التحريات لمدة تكاد تصل إلى عشر سنوات، وأخيراً حدثت الانفراجة بالعثور على كتاب الموتى الخاص بكاهن آمون الأعظم Pinudjem لدى الإنجليزى Campbell الذى أفاد أنه اشتراه أثناء زيارته للأقصر بمبلغ أربعمائة جنيه.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

لم يكن من الممكن فى هذا الزمن أن تقف مصر أمام واحد من رعايا الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وإمبراطورة الهند والمطالبة برد الأثر الفريد، وحتى ماسبيرو لم يستطع أن يستعين ببلده فرنسا فى الفترة التى خرجت فيها مهزومة فى حربها مع بروسيا وسقوط إمبراطورها نابليون الثالث.

الحديث مع المستر كامبل أفاد أنه حصل على الكتاب عن طريق سمسار يدعى مصطفى أغا آيات، وهنا ظهرت مشكلة جديدة لأنه كان يعمل وكيلاً قنصلياً لبلجيكا وروسيا وبريطانيا ويتمتع بالحصانة طبقاً لنظام الامتيازات فكان من المحظور المساس به. إلا أنه بالاتفاق بين الشرطة وإدارة الآثار أرسل له عميل متخفٍ بأنه يرغب فى شراء قطع أثرية لم يعترف له بشىء محدد لكنه أشار فى حديثه إلى الأخوين محمد وأحمد عبدالرسول وهما من سكان قرية القرنة فى الأقصر والمعروف أنها تقع فوق مستودع كبير للآثار المدفونة ويعمل أهلها على استخراجها وبيعها كوسيلة ارتزاق.

تم القبض على الأخوين أحمد ومحمد لكنهما امتنعا عن الاعتراف وظلا فى السجن لمدة شهرين تعرضا خلالهما للضرب والتعذيب وأخيراً انهارت مقاومة محمد فاعترف تفصيلياً بالقصة كاملة:

ذكر فى اعترافاته أنه أثناء تجواله فى محيط معبد الدير البحرى الذى أقامته الملكة حتشبسوت عثر على فتحة بئر عميقة فنزل إليها واكتشف سرداباً طويلاً مفعماً بالآثار، وخشى من طمع مرافقيه فى محتويات السرداب وسطوهم عليها فخرج صارخاً من البئر متصنعاً الفزع الشديد، ولما سألوه عن سبب فزعه فقال لهم إنه وجد عفريتاً يسكن البئر! ولحبك قصته ذبح حماراً وألقى بجثته فى البئر فأنتنت الجثة وانبعثت منها رائحة كريهة لتوافق فكر الفلاحين البسطاء الذين يعتقدون أن الأماكن المسكونة بالعفاريت نتنة الرائحة. وصار مع أخيه يستخرج قطعاً من البئر تدريجياً حتى لا يثير الشبهات وباع خلال هذه المدة عدداً من تماثيل الأوشابتى وصحائف البردى والأوانى الفخارية والمرمرية وقطع الكتان.

كان ذلك فى عام 1881 فهرع ماسبيرو إلى الموقع وبهت مما وجد. فقد وجد ما عرف لاحقاً بخبيئة الدير البحرى التى تضم خمسين مومياء بعضها لأشهر فراعنة وملكات مصر منهم سقنن رع الذى سقط شهيداً على أرض المعركة وهو يحارب الهكسوس وأحمس الأول والتحاسمة الأول والثانى والثالث وسيتى الأول والرعامسة الثانى والثالث والتاسع فضلاً عن عدد من مومياوات كبار كهنة آمون وسيدات القصر.

ولكن كيف وصلت كل هذه المومياوات إلى نفس المكان ليدفنوا معاً مكدسين مثل مقابر الصدقة؟

حدث هذا فى عصر الفرعون رمسيس الحادى عشر آخر فراعنة الأسرة العشرين عندما بدأ عصر الاضمحلال، وبدأ اللصوص ينتهكون المقابر الملكية وينهبون كنوزها فخشى الكهنة على مومياوات الفراعنة والكهنة فنقلوها إلى مقبرة واحدة يسهل حراستها. لكن من الواضح أن العملية شابها الفساد الشديد الذى استشرى فى عموم الدولة، فالمومياوات وضعت فى صناديق خشبية رخيصة مدون عليها اسم الفرعون أو الكاهن وألقابه الملكية أو الكهنوتية فأين ذهبت التوابيت الذهبية؟ وأين ذهبت الأقنعة الجنائزية الذهبية؟ وأين ذهبت أغطية أصابع اليد والقدم الذهبية وقلائد الرقبة الذهبية التى أحاطت برقاب المومياء والتمائم الموجودة فى لفائف الكتان التى تحيط بالمومياء مثل جعران القلب وعلامة عنخ وعامود جد وعقدة إيزيس وعين الوادجت.

ولقد رأينا نماذج مبهرة من هذه الأشياء فى مقبرة الملك الصغير توت عنخ آمون ولنا أن نطلق العنان لخيالنا لنتصور هذه الأشياء فى مقابر الفراعنة الكبار مثل رمسيس الثانى أو أحمس وتحتمس.

ولحرص ماسبيرو على المومياوات سارع بنقلها إلى القاهرة على باخرة نيلية أبحرت من ميناء البر الغربى إلى ميناء بولاق فى القاهرة ووقف آلاف الفلاحين البسطاء على ضفتى النيل، الرجال يهللون ويطلقون الرصاص والنساء تولولن فى موكب وداع مهيب لأجدادهم العظام.

وأودعت المومياوات فى متحف بولاق وظلت فيه حتى هددته مياه الفيضان فنقلت إلى المتحف الجديد فى ميدان التحرير عام 1910 ثم نقلت مرة أخيرة فى عام 2021 إلى متحف الحضارة فى موكب مهيب لم يصاحبه البكاء والعويل

جاستون ماسبيرو

عالم المصريات البريطانى هوارد كارتر

بل صاحبه الفخر والإعـــزاز والتيه من جموع الشعب المصرى بجدوده العظام والانبهار من العالـــم أجمع الذى تابع الحدث.

ومـــن المفارقات أن ماســـبيرو لم يعاقب عبدالرسول على فعلته لكنه أمر له بمكافأة ماليـــة وعينه خفيراً فى معبد الكرنك.

وأثناء خفارتـــه فى عام 1898 قاد الأثريـــين إلى خبيئة جديـــدة فى مقبرة أمنحوتب الثانى نســـبها إلى نفســـه الأثرى الفرنسى Victor Loret الذى خلف ماســـبيرو فى رئاسة إدارة الآثار دون أن يعترف بفضل عبدالرســـول الـــذى كوفئ بجزاء ســـنمار حيث تم فصلـــه من وظيفته بدعـــوى أنه كان يعلم بـــسر الخبيئة وأخفاه لمدة طويلة حتى تمكن من بيع بعض محتوياتها، وهو أمـــر لم تثبت صحتـــه. وضمت الخبيئة الجديدة عشر مومياوات منها مومياء أمنحتب الثانى صاحب المقبرة وأمنحتـــب الثالث وتحتمـــس الرابع ورمسيس الثالث.

لم تكن هذه نهاية مشـــاركة أسرة عبدالرسول فى الكشوفات ولكن فى عام 1922 كان الصبى حسين عبدالرسول أول من اكتشـــف درجات السلم المؤدية إلى مقبرة توت عنخ آمـــون، ولم يذكر هـــوارد كارتر كلمة عـــن ذلك ولولا أن قـــام Harry Burton المصور المحترف الذى استعان به كارتر لتصوير المقبرة وكنوزها بالتقاط صورة للصبى حسين عبدالرسول الذى لم يتجاوز عمره اثنتا عشرة ســـنة مرتدياً قـــلادة ذهبية من قلادات الملك لما عرف العالم عنه أى شىء.

منذ أن ألقى القبـــض على الأخوين محمد وأحمد عبدالرسول منذ 140 سنة وتعرضهما للســـجن والضرب بإيعاز من ماســـبيرو ليقوده إلى خبيئة الدير البحرى واسم عائلة عبدالرسول مقرون بالشـــجب والتنديد ووصفهـــم بأنهم لصوص آثار وناهبوا قبور فهل هذا من العدل والإنصاف؟ وهل يجوز أن نحكم عليهم بمعايير اليـــوم أم يكون الحكم بمعايير العصر الذى نشأوا وعاشوا فيه؟

عاشـــت أسرة عبدالرسول يحيطها الجو الذى ســـاد مصر خلال القرن 19 والذى لم ير فى آثار مصر إلا مواد يتربح منهـــا دون تقدير أو قدســـية: الذهب تتم إذابته وتحويلـــه إلى نقود، الأحجار من الأهرامـــات والمعابد لاســـتخدامها فى البناء والبرديـــات والمومياوات وقود يحرق. كانت التماثيل تسمى أصناماً أو مساخيط آثار الكفار الوثنيين إذا وجدت يتم تحطيمها حتـــى لا توصم الأرض بالشر.

تناقلـــت الأجيال قصـــة أحمد بن طولون الذى كشف عن كنز ذهبى موّل به بناء جامعه الشـــهير، وهو حتماً كان مقبرة فرعونه محمد على، أثناء الســـات ســـمبونيين عن هدم الهرم لاستخدام حجارته فى بناء قناطر محمد على، عباس أهدى مقتنيات متحف بولاق إلى ولى عهد النمسا لأنه أبدى إعجابه بها، وإسماعيل الذى ادعى أنه راعى الثقافة والحضارة هدم بعض أجمل المعابد الفرعونية منها معبد أرمنت ليبنـــى بحجارتها مصانع الســـكر. قصور الحياة فى المعابد التى كانت تضم أرشيف المعبد ومكتبته من البرديات المســـجل عليها التاريخ والعلم والحكمة نهبها السباخون لاستخدامها ســـباخاً للأرض. المومياوات استخدمت وقـــوداً للقمائن والمســـتوقدات وحتى لقاطرات الســـكة الحديد. فى هذا الجو أدرك آل عبدالرســـول أن ما وجدوه له قيمة وباعوه لمـــن يقدر قيمته ويحافظ عليه.

لم تخل بعثة تنقيب أثرى من ريس عمال من عائلة عبدالرســـول كان لهم فضل كبير فى تحقيق الكشوفات وامتدت إنجازاتهم من قبل خبيئة الدير البحرى منذ عام 1824 عندما اكتشـــف واحد من آل عبدالرســـول بردية تورين التى كانت تعد أقدم خارطة فى التاريخ ولازال عطاؤهم ممتداً إلى اليوم.

لعل مرور قرابة مئتى عام على نشاط آل عبدالرسول وما حققوه من إنجازات باتوا يستحقون الإنصاف وأن ندرك أن التجـــاوزات التى وقعت منهم فى البداية سببها المناخ الذى نشأوا فيه.

ولعل مئوية اكتشـــاف مقبرة توت عنخ آمون وافتتاح المتحف الكبير العام القادم تكون فرصـــة لرد الاعتبار لهذه الأسرة ولآلاف من العمال المصريين الذين ســـاهموا إســـهاماً كبيراً فى الكشوفات الأثرية التى نســـب الفضـــل فيها إلى الأوروبيين دون المصريين.

مصر وعودة الروح

عندما تمر ذكرى ميلاد أحد أضلاع التنوير المضيئة فى حضارتنا المصرية، والتى شرف بها الزمان، عبر عصوره المختلفة، وجب علينا أن نستدعى روح مصر الناهضة، بتراثها الروحى، الذى زرعه فى أرضها رواد الثقافة والفكر وهم كثر، أضاءوا شموع المعرفة بكل روافدها، وأسهموا فى بناء حضارتها العريقة، ونسجوا وجدان وعقول المصريين، وقدموا إبداعاتهم بكل أطيافها فى كل أرجاء المحروسة.

عادل عبدالصمد

adelabdelsamed@yahoo.com

مرت فى شهر أكتوبر الذكرى الـ (123) على ميلاد توفيق الحكيم، الملقب بعصفور من الشرق، من أهم رواد ورموز الإبداع المصرى ممن غرسوا فى ترابها زهرات فى بستان المعرفة والعلم.

توفيق الحكيم الذى ولد فى (19 أكتوبر 1898) صاحب مدرسة فكرية متفردة، له الفضل فى تخصيب عقول ووجدان أمتنا، بما قدمه من ثقافة بناءة، أصبحت شموعاً مضيئة لا يخبو نورها عبر الأزمنة.

رائد مدرسة الفكر الوطنى المصرى، ومؤسس لأهم الفنون المسرحية فى الأدب المصرى الحديث، وهو فن الدراما، وكانت مسرحيته (أهل الكهف) عام (1933) حدثاً مهماً فى الدراما العربية، فكانت ميلاداً جديداً لنشوء تيار مسرحى عرف بالمسرح الذهنى، وتأتى روايته (عودة الروح) أنشودة مصرية فى قالب نثرى روائى، نشرها فى ثلاثينيات القرن العشرين وفى خضم وأعقاب الثورة المصرية الخالدة ثورة 1919 بقيادة زعيم الأمة سعد زغلول، ثورة أعادت لمصر شخصيتها وللمصريين مواطنتهم، وإحساسهم العميق بمصر، وجسدت الروح الوطنية، ليلتف حولها أبناء الوطن بكل أطيافهم، حول قيادة واعية لقضايا الوطن، والتى أهمها رفض المحتل والدعوة لبناء وطن حر كريم. تقوم الرواية على فكرة الواحد فى الجميع والجميع فى الواحد، أو توحد الشعب فى الزعيم أو القائد لتعود الروح الجماعية، والعمل لصالح الوطن دون فرقة أو خلاف.

يؤكد الحكيم فى روايته متحدثاً عن عودة الروح العائدة من ضباب بعد الحرب العالمية الأولى والثانية واصطفاف المصريين حول فكرة واحدة حرية الوطن واستقلاله:

(إن روح مصر الأصيلة ستعود إذا وجدت الزعيم المخلص، الذى ينطق بهوى النفوس وتنبض روحه بأحاسيس قومه وشعبه).

رؤية مثقف مصرى كانت لها مفعول السحر فى إيقاظ واستنهاض عزائم كل مصرى، للالتفاف حول القيادة الوطنية المخلصة، الحريصة على التنمية والبناء واستقلال الوطن. سجل التاريخ أن مصر، الوطن والحب والسلام، تنطلق من تراثها الثرى، والذى هو مقومات قوتها الناعمة، فتقف شامخة على مر الأيام والدهور، فتعبر بقوة نحو مستقبل تسمو إليه، وتعود الروح المصرية الخالدة، لتثبت للأعداء أن مصر بوعى شعبها قادرة على الصمود والتحدى والبناء، ويكتب الحكيم روايته (عودة الروح) ويستشهد، بنشيد (الموتى) عند المصريين القدماء:

عندما يصير الزمن إلى الخلود
سوف نراك من جديد لأنك صائر إلى
هناك حيث الكل فى واحد.

انشغل كاتبنا الكبير فى بداياته بعشق مصر، حيث كانت الروح القومية فى بداية القرن العشرين مشتعلة، وقوية، أشعلها الزعيم الوطنى مصطفى كامل بخطبه، التى ألهبت حماس الأمة المصرية، فى أرض المحروسة كافة.

يفتخر بالنيل والأرض والسماء، فيقول على سبيل المثال:

(يقول الجهلاء والفقراء فى الإدراك إنى متهور فى حب مصر، وهل يستطيع مصرى أن يتهور فى حب مصر، إنه مهما أحبها فلن يبلغ الدرجة التى يدعوه جمالها وجلالها وتاريخها والعظمة اللائقة بها، ألا أيها اللائمون انظروها وتأملوها وطوفوها، واقرأوا صحف ماضيها، واسألوا الزائرين لها من أطراف الأرض، هل خلق الله وطناً أعلى مقاماً وأسمى شأناً وأجمل طبيعة وأجل آثاراً وأغنى تربة وأصفى سماء وأعذب ماء وأدمى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز).

إحساس رومانسى بديع، نابع من روح مصرى أصيل عاشق لتراب وطنه.

تلك هى الروح التى كانت سائدة، وسيطرت على عقل ووجدان الكاتب فى هذه الفترة، وهو يكتب روايته (عودة الروح).

وكان الزعيم الوطنى مصطفى كامل يشعل أبناء الوطن بخطبه الوطنية ويردد شعارات وطنية تعيش معنا حتى الآن، (لو لم أكن مصرياً، لوددت أن أكون مصرياً).

ومن أبدع خطاباته التاريخية، وكانت ميثاقاً لقيمة مصر فى قلوب أبنائها وصارت نشيداً لمصر:

بلادى.. بلادى لك حبى.. وفؤادى

توفيق الحكيم

مصطفى كامل

سعد باشا زغلول

لك حياتـــى.. ووجودى لك دمى.. ونفسى
لك عقلى.. ولسانى لك حياتى.

ويكتب بديع خيرى نشـــيد «أحسن جيوش فى الأمم جيوشـــنا»، ويســـاهم الفنان المتمرد ســـيد درويش فى إشعال الثورة بألحانه وأغانيه التى كانت قنابل موقوتة على الاحتلال.

وفى هذه الفترة نجـــد محمد تيمور متحمســـاً لأدب مصرى، يهدف لإبراز الشـــخصية المصرية والروح المصرية، ويدعو من أجل ذلك إلى الكتابة بالعامية المصرية.

وذاكرة الوطـــن متخمة بالأمثلة على تلك الروح الوطنية، وقد نشـــأ الكاتب فنياً فى هـــذه الفترة، فهـــو ابن الثورة القومية التى كانت تبحث عن الشخصية المصرية، وتثبت للذيـــن ينكرونها أنها موجودة، لم تمت.

وعشق الوطن ليس غريباً على أبناء مصر قديماً وحديثاً، من أهل الفن وكتاب وعلماء وسياسيين، ألم يفعل هيكل ذلك فى روايته (زينب) وكذلك طه حسين فى (الأيام) ومحمود حسن فى (أغانى الكوخ) ومحمود مختار فى تمثال (نهضة مصر).

وعظمة روايـــة (عودة الروح) تعود إلى اكتشـــاف أصالة الشخصية المصرية ومسيرة كفاحها المشرف وسحر طبيعتها الخالـــدة، المتمثلة فى قوتهـــا الناعمة، المتمسكة بتراث عريق شـــيده أبناؤها على مر الزمان، تلك القوة التى جسدت أحلام الأمة المصرية بعد الانكسار المؤلم فى 1967 فتحولت الهزيمة إلى نصر غير مسبوق على مستوى العالم، وسرعان ما تعود روح الأمة، وتتماسك وتلتف حول قائدها لتحقيق النصر فى أكتوبر 1973، المسجل على أعمدة التاريخ وجدرانه، كما سجل التاريخ عظمة الحضارة المصرية القديمة على معابد وجدران لا تمحى.

ونتوقف هنا لنقـــرأ ونفتخر بقوة مصر الناعمة التى أضاءت الدنيا بفنونها وإبداعاتها لنؤكد أننا هزمنا الهزيمة.

يتســـابق أبناء مصر مـــن المبدعين ليسجلوا لحظات النصر، ونتج عن هذا التنافس الوطنـــى الخلاق، أكثر من 50 أغنية للعبور الذى أزاح ســـتائر النكسة وآلامها منها مقـــال كاتبنا الكبير توفيق الحكيـــم صاحب عودة الـــروح (عبرنا الهزيمة)، وغنتها الفنانة شادية وتقول كلماتها البديعة:

عبرنا الهزيمة يا مصر ياعظيمة
وباسمك يا بلادى تشتد العزيمة
باسمك يا بلادى عدينا القنال

وقاد الفنان الملهم والمبدع بليغ حمدى كوكبة من النجوم ليعـــبروا عن فرحة العبور والالتفاف حـــول قائد العبور. فيكتب عبدالرحيم منصور أغنية (بسم الله.. الله أكـــبر) ويلحنها بليغ وكانت أول أغنية بعد العبور وغنتها المجموعة، وتســـتمر روح أكتوبر وتعبر بنا أحداثاً مدمرة فى 2011، والتى كان مخططها تدمير الوطن، وبـــث الفتنة بين أبنائه، وطمـــس هوية الوطـــن، ولكن سرعان ما عادت روح الشـــخصية المصرية إلى جذورها، فتكون الملحمـــة التى كتبت بحروف من نور، والتى كانت فارقة فى حياة المصريـــين، وانقلبت فيها الموازين رأساً على عقب وحقق المصريون إرادتهم فى الالتفاف حول عبدالفتاح الســـيسى، قائد من أبنائها الأبرار، وحملوه آمالهم ومساعيهم فى مســـتقبل آمن ومزدهر يليـــق بمكانة مصر التى تســـتحقها، فالتـــف المصريون بمســـيرتهم الواعية الناضجة، حول القائـــد، رأوا فيه قوة الشـــخصية، صاحب رؤى مســـتنيرة، مؤمن برسالة الوطن وآمالها فى وطن حر مستقل، وحياة كريمة، فكانت مسيرته بوطنه نحو التنمية والبناء بعد تحقيق الأمـــن فى ربوع البلاد، وعـــبر بالأمانى لينجز وبإصرار على تشـــييد جمهورية جديدة حديثة، تتناســـب مع قيمة مصر والمصريين، وأخذ على عاتقه تحمل أمانة أمتـــه بصدق وهمة، جســـدتها التنمية والبناء فى ربوع البلاد.

ومع استمرار مسيرة الوطن، تكون عودة الروح لكاتبنا المستنير، رسالة لكل الأجيال للتمســـك بقيمة الوطن وتراثه الممتدة جذوره إلى أعماق التاريخ، وعليه من الضرورى أن يلم شبابنا فى المدارس والجامعات بـــرواد مصر فى كل مناحى الفكر والثقافـــة والعلم، لتحفيز موهبة أبنائنا مـــن أجل أن يكـــون الوطن فى مكانته المرموقة.

سفير فخرى عثمان

الفنانة نيفين عامر

أقامت الفنانة نيفين عامر معرضاً لأعمالها الفنية فى قاعة زياد بكير بالمكتبة الموسيقية بساحة دار الأوبرا . والفنانة حاصلة على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة، وتمارس الفن التشكيلى كهاوية منذ الطفولة، وكانت الممارسة فى البداية باستخدام القلم الرصاص ومادة الفحم، ثم تطور الأداء بالرسم على الحرير لسنوات ثم تطورت الممارسة باستخدام العديد من الخامات والمواد المتنوعة كالألوان الزيتية والإكريليك والرسم بالسكين. وهوايتها المفضلة هى فن البورتريه الذى تصعب ممارسته من بعض الفنانين، وقد شاركت فى العديد من المعارض فى داخل مصر وخارجها.

يتسم إبداع الفنانةبطابع المذهب الكلاسيكى والواقعية واستخدام الألوان الساخنة سواء فى المناظر الطبيعية أو فى فن البورتريه الذى توج إبداعها فى المرحلة الأخيرة والذى يتسم بالرومانسية العاطفية، وخاصة بعد إضافة اللمسات التى تشع بعض خطوطها ونقاطها التألق برفاهية الأرستقراطية التى تشع صداها الذى يستوقف المتلقى كثيراً ليس

إشباعاً لمتعة حاسة الإبصار فقط بل جميع حواس الإنسان وتدفعه للتحليق فى سماء الرومانسية الراقية التى تعبر عن الدقة والرقة الوقورة .. رأيت الفنانة تؤمن بالمثالية واكتمال مواصفات سمات القيم الجمالية الشكلية والموضوعية فى كافة مجالات الحياة الإنسانية وفى إطار رفض أنصاف الحلول والإيمان بالحسم فى لحظة الحسم وتحت مظلة القانون وعدالة القضاء.

ومع إعجابى بإبداع الفنانة المتميزة فلها تقديرى واحترامى .

الفنانة نازلى مصطفى

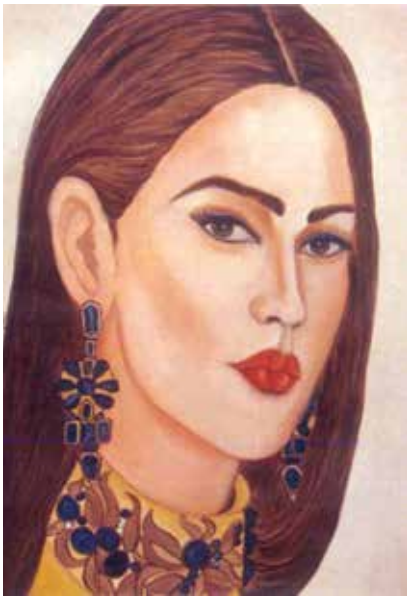

أقامت الفنانة نازلى مصطفى معرضاً لأعمالها الفنية فى قاعة زياد بكير بالمكتبة الموسيقية بساحة دار الأوبرا وكان لها منذ مرحلة الطفولة الموهبة والشغف بالرسم، وقد درست الفن التشكيلى منذ عام 1996 على يد الفنان ماجد السجينى ولمدة أربع سنوات وأثناء وجودها فى باريس وتطور أدائها نتيجة التأثر بأداء الكثير من الفنانين العظماء وصولاً لمذهب التأثيرية، وكان التطوير الأخير بالأداء الإبداعى باستخدام السكين، وسبق للفنانة إقامة العديد من المعارض الشخصية بالإضافة إلى الاشتراك فى العديد من المعارض الجماعية.

وقد سبق لى منذ فترة زمنية غير قصيرة مشاهدة عدة معارض للفنانة وكانت غالبيتها باستخدام الفرشاة والألوان الزيتية، وكان موضوع غالبية لوحاتها المناظر الطبيعية واستخدام الألوان الزيتية الهادئة المتناغمة فيما بينها وبما يناسب الطبيعة التى أبدعها الخالق وأحاط بها الإنسان الذى خلقه وكرمه ليسعد بصداها الذى يرقى بالإنسان ويعمق من القيم الإنسانية والأخلاقية والسلوكية، وختاماً كان لمحتوى معرضها الأخير ما يؤكد اجتهادها فى تطوير بصمتها الإبداعيةمروراً بتنوع المذاهب والمدارس الكلاسيكية فى عالم الإبداع.. كل تحياتى واحترامى للفنانة .

الإنسان والاكتئاب

سفير د. فتحى مرعى

مما الذى يجعل الإنسان.. أى إنســـان.. يكتئب؟ نحاول فى هذه العجالة أن نســـتخلص الأسباب - ولا نســـتنفدها - فأقول، إن الإنسان يكتئب إما لأنه يشـــعر بأن حياته لم تحقق له ما كان يتمناه أو يصبو إليه، أو لأنه فقد إنساناً عزيزاً عليه ويحس بأن الحياة بدونه لا معنى لها ولا طعم لها، أو أنه أضاع فرصة كان يعتبرها فرصة العمر

، أو لمرض عضـــال ألم به وجعله يشـــعر بأن النهاية باتت قريبة، أو لخيبة أمـــل فى زواج كان يبدو واعداً ثم حـــدث الانفصال الـــذى لم يكن منـــه بد، أو ابن ضل الســـبيل وأخذ طريقاً معوجاً لا أمل فى الرجوع عنه أو الهروب منه، أو شـــخص لم يلق التقدير الـــذى كان ينتظره ويتوقعه من معاصريه.

أشـــياء كثيرة تســـلب الحياة إما قيمتهـــا أو مضمونهـــا أو بهجتها بالنســـبة للبعض، وبخاصة بالنسبة لمن هم شديدى الحساسية من الناس.

والذين يصابون بالاكتئاب لسبب من الأســـباب التى ذكرناها آنفاً أو لغيرها من الأســـباب، إنما يأخذون الحياة الدنيا بمعزل عن الآخرة.

فالذين يربطون الحيـــاة الدنيا بالآخـــرة فى غالبيتهـــم لا يصابون بالاكتئاب، لأنهم لا يعولون كثيراً على حظوظ الدنيا ومآلاتهم فيها فالدنيا منصرمة، وهى تنتهى بالنسبة لأهلها على وجه مـــن الوجوه، قـــد يكون متوقعاً، وقد يكـــون غير متوقع، قد تنتهى بأن يموت الإنسان غيلة وهو فى قمة مجـــده أو فى قمـــة عطائه، والأمثلة على ذلك كثيرة ولا حصر لها.. جون كينيدى اغتيل وهو رئيس لأكبر وأقوى وأغنـــى دولة فى العالم، وكان فى ريعان شبابه، وغير معروف حتى الآن الجهة التـــى كانت وراء اغتياله، حيث اغتيل قاتلـــه «لى أوزوالد» بعد تنفيذ الاغتيال بقليل ودفن وسره معه واغتيل المهاتما غاندى فى الهند وكان هو الزعيم الروحـــى للهنود واغتيل عمر بـــن الخطاب أمـــير المؤمنين، واغتيل عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وكلاهمـــا كان أميراً للمؤمنين وغير هؤلاء كثير على مر العصور.

نعـــود إلى الاكتئـــاب ونقول إن الدنيـــا لا تعنى الكثير بالنســـبة لمن ينظرون إلى الحيـــاة الدنيا على أنها

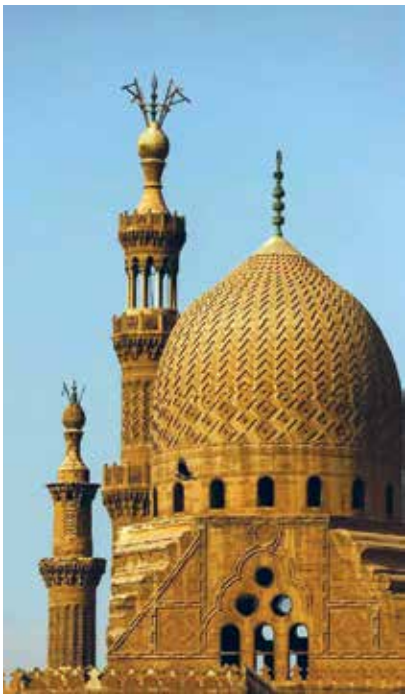

معبر للآخرة وهى كذلك ولا يرجون منها شـــيئاً كثيراً لأنهم يهتمون أكثر بما بعدها أى إلى ما يعبرون إليه إما الجنة وإما النار ولذلك فهم يعملون ويكدون ويجتهـــدون فى الدنيا حتى يضيفوا شيئاً يذكر لهم أو يذكر بهم ولكنهـــم لا يأبهون بما يصيرون إليه فيها، فهم لا يعلقون آمالاً كباراً عليها وســـواء اعترف المجتمع بهم وقدرهم حق قدرهم أم لم يفعل، فلا يؤثر ذلك فيهم كثيراً.

المهم أنهم يفعلـــون ما يفعلون، وأملهم يتعـــدى الدنيا وما فيها ومن فيها، ولا يريـــدون إلا وجه الله فهو الذى يقدر لهم سعيهم ولا يبخسهم شـــيئاً حاشـــا لله «ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً» (الإسراء 19).

وكل الأسباب التى أشرنا إليها لو نظر أصحابها إلى الأمر هذه الوجهة ما ضرهم ما هـــم فيه وما ضرهم ألا تتحقق آمالهم أو يتأخر تحقيقها أو يصابوا بمرض عضال أو يحدث لهم حادث غير ســـعيد فكل ذلك موقوت وسينتهى «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابـــاً وخير أملاً» (الكهف 46).

مع CIB GROWTH،
حلمك أولى بوقتك!

القطاع المصرفي الجديد المصمّم للشركات الصغيرة لإنجاز معاملاتك بسهولة في أي وقت ومن أي مكان.

رقم التسجيل الضريبي [٢٠٤-٨٩١-٩٤٩]

لمزيد من المعلومات

SCAN ME

تُطبق الشروط والأحكام

CIB | Growth

بنك تثق فيه

/CIBEgypt

WWW.CIBEG.COM